الجزء التاسع من مسالك الابصا

٢١
عدد

فهرست ما فيه من الاسماء

محمد بن حاجي على عيسى بن داود بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي عفا الله عنهم

عام ٧٦١

التاسع من مسالك الابصار في ممالك

تاليف الشيخ الامام البارع العلامة
ابي العباس شهاب الدين احمد
ابن يحيى ابن فضل الله العمري
رحمه الله

الجزء التاسع مسالك

الحمد لله حق حمده

وقف وحبس وسبل المعز الاشرف [illegible] محمود [illegible]
[illegible] جميع هذا المجلد وما قبله وما بعده من المجلدات من كتاب مسالك الابصار [illegible]
[illegible] ابن فضل الله العمري وعدة ذلك [illegible] وعشرون مجلدا [illegible]
الحادي والعشرون [illegible] على طلبة العلم الشريف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

نابت طبيب المعتضد • صاعد بن بشر بن عبدوس • ديلم • بطيفا القس الرومي • ابن بطلان
احمد ابن ابي الاشعث • ابو سهل النيلي • ابن الواسطي طبيب المستظهر • ابو طاهر • ابو غالب
ابن صفية النصراني • امين الدولة ابن التلميذ • معتمد الملك ابن صاعد • ابو البركات البلدي
هبة الله بن الفضل البغدادي • فخر الدين الماريني • ابو نصر المسيحي • ابو الفرج ابن توما ::
طبقات الاطباء ببلاد العجم ميادورس • زين الطبري • علي بن سهل الطبري
احمد بن محمد الطبري • ابو منصور ابن نوح • ابو سهل المسيحي • السيد ابو عبد الله الايلاقي
ابو عبد الله البيروني • ابن منذويه الاصبهاني • ابن ابي صادق • السموال بن يحيى ::
الشريف اسمعيل • اطباء الهند شاناق الهندي • منكه الهندي • صالح بن
بهله الهندي • اطباء الشام ابو الفرج اليبرودي • ظافر بن جابر السكري •
ابو الحكم الباهلي • ابنه ابو المجد ابن ابي الحكم • ابن البذوخ • ابو الفضايل الغسانى ::
المهذب ابن النقاش • شكر اليهودي الحلبي • اسعد ابن المطران • ابن اللبودي • الرضي
الرحبي • ابنه ابو الحسن • عمران الاسرايلي • يعقوب بن صقلاب النصراني • الرشيد
الصوري • السديد بن رقيقه • صدقه السامري • المهذب يوسف السامري • امين الدولة •
المهذب الدخوار • الرشيد بن حليقه • ابن قاضي بعلبك • العماد الدنيسري • العز السويدي •
الموفق السامري • ابو الفرج ابن القف • المهذب يوسف كاتب الزردكاش • النفيس
السامري • الامين سليمن • ابو الفتح السامري • غنايم السامري • اطباء الغرب
اسحق بن عمران • اسحق بن سليمن الاسرايلي • ابو جعفر ابن الجزار القيرواني • حمدون ابنا •
يحيى بن اسحق • ابو داود ابن جلجل • ابو جعفر ابن حسداي • ابو جعفر الغافقي • امية
ابن ابي الصلت • ابو مروان ابن زهر • ابنه ابو العلاء • ابنه ابو مروان • ابو محمد ابن الحفيد •
ابو جعفر ابن الغزال • ابو العباس ابن الرومية • ابن الاصم • اطباء مصر بلطيان
سعيد بن نوفيل • سعيد ابن البطريق • ابو عبد الله التميمي • ابن الهيثم • علي بن رضوان
افرايم الاسرايلي • سلامة بن رحمون • بلمظفر بن معرف • اولاد ابي الحوافر ثلثه • الخونجي
ابو سليمن ابن فانه • ابنه الموفق • الرشيد ابو حليقه • ابنه المهذب ابو سعيد • الرشيد ابو سعيد •
ابن البيطار • علاء الدين ابن النفيس • شهاب الدين المغربي • السديد الدمياطي • فرج الله بن صغير • ناصر الدين ابن صغير

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن

واذا انتهت بنا الأوبة في العلماء الى نوبة الحكماء فلنطبق بذكرهم المفاصل
ونطلق من عمود الجود المناصل وننبه منهم عيونا طال ما طال نومها ونأتي
بفوايد فيه كم كثر حسادها ونقتصر على المشاهير والأعيان الذين
يكادون يعدون من المشاهيد ونأتي منهم بمن تكلم في العلوم الثلاثة الطبيعي
والرياضي والالهي او احدها واجاد في جميعها او مفردها فنذكرهم على اختلاف
فرق مللهم ونحلهم وبلادهم وتلادهم كل فرقة على حدتها بما وقع في قسمة الجانبين
ولم نشم منهم الا من لم تسامت في افقه ولا يساهم اوي كوكبه الى
سمايه او اخلد ضبثه الى نفقه بمنزله في علم الكلام اقدام لا يدانيه ليث
الشرى وتلطف لا يحاكيه طيف الكرى فقصر على طلبة الاشغال
وقصد في التزيد من مكسبه الايغال ومن هو بالطب طب بتفقد
احوال المزاج لا تخفى عليه نبضة عرق ولا يموه عليه ومضة حذق ولا
يدق مدخل سقام الادواء بتتبعه وسقاوه سوس يذل له سبعه
واولهم **الهرامسة الثلاثة** واليهم تنسب اصول هذه العلوم
وقال ذلك ابو معشر البلخي وقال ان اقليبنتوس الذي يزعم اكثر الحكماء
انه اول من استنبط الحكمة وسياتي ذكره لم يكن بالمتاله الاول
في صناعة الطب ولا بالمبتدي بها بل انه عن غيره اخذ ولمنهج من سبقه سلك
وقال انه كان تلميذ هرمس المصري قال ابن المطران في اختصار
كتاب الادواء للكسدانيين **هرمس المثلث بالنعمة** وقال
في معنى تسميته بالمثلث انه كان ملكا عمت مملكته اكثر المعمورة ونبيا
ذكره الله تعالى وقال هو ادريس عليه السلام وهو عند اليهود خنوخ وقيل

اخنوخ وحكيما فيلسوفا له تصانيف كثيرة في ايدي الناس باقية الى
اليوم كتاب الطول وكتاب العرض وكتاب قضيب الذهب
وغير ذلك قال فهذه ثلث نعم اجتمعت له لم يسمع انها اجتمعت لغيره من
الامم ورفعه الله في عمود من نور والهند والصابية يزعمون انه وقع في نار
بعثها الله اليه ولهذا الهند تحرق اجسادها بعد الموت ومنهم من يحرقها قبل
الموت ويزعم انه تقرب الى الله وعبادة له قال ابن ابي اصيبعة
اما هرمس الاول وهو المثلث بالنعم فانه كان قبل الطوفان وهرمس لقب كما
يقال كسرى وقيصر وتسميه الفرس في سيرها اللجهد وتفسيره ذو عدل
وهو الذي تذكر الحرانية يعني الصابية نبوته ويقول الفرس ان جده كيومرث
وهو آدم عليه السلام ويقول العبرانيون انه خنوخ وهو بالعربية ادريس
قال ابو معشر هو اول من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات
النجومية وان جده كيومرث وهو ادم علمه ساعات الليل والنهار
وهو اول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها واول من نظر في الطب وتكلم
فيه وانه الف لاهل زمانه كتبا كثيرة باشعار موزونة وقواف معلومة
في الاشياء الارضية والعلوية وهو اول من انذر بالطوفان وراى ان آفة
سماوية تلحق الارض من الماء والنار وكان مسكنه صعيد مصر فبنا هنالك
الاهرام ومداين التراب وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي وهو
في الجبل المعروف ببرباه اخميم وصور فيها جميع الصناعات واشار الى صفات
العلوم لمن بعده حرصا منه على تخليد العلوم بعده وخيفة ان يذهب رسم ذلك
من العالم قال وفي الاثر ان ادريس اول من درس الكتب ونظر
في العلوم وانزل الله عليه ثلثين صحيفة ورفعه اليه مكانا عليا **قلت**

وقد مرّ في ذكره ما فيه غنيّ **واما هرمس الثاني** فانه من اهل بابل
قال ابن ابي اصيبعة سكن مدينة الكلدانيين بابل وكان بعد
الطوفان في زمن بابل الذي هو اول من بني بابل بعد نمرود بن كوش وكان
بارعًا في علم الطب والفلسفة عارفًا بطبايع الاعداد وكان فيثاغورس
الارثماطيقي وهرمس هذا جدّد من هذه العلوم ما كان قد درس بالطوفان
قال وهذه يعني بابل مدينة الفلاسفة من اهل المشرق وفلاسفتهم اول
من حدّ الحدود ورتّب القوانين **واما هرمس الثالث** فانه سكن مدينة
مصر وكان بعد الطوفان قال ابن ابي اصيبعة وهو صاحب كتاب الحيوان
ذوات السموم وكان طبيبًا فيلسوفًا عالمًا بطبايع الادوية القتالة والحيوانات
المؤذية وكان جوالًا في البلاد طوافًا بها عالمًا بنصبة المداين وطبايعها وطبايع
اهلها وله كلام حسن نفيس في صناعة الكيمياء ينتقل منه الي صناعات كثيرة
كالزجاج والخرز والغضار وكان له تلميذ يقال له اسقيليبيوش وكان مسكنه
بارض الشام **واما فلاسفة اليونان** فاعظمهم قدرًا خمسة وهم
بندفليس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطوطاليس وهو ابن نيقوماخس
فاولهم بندفليس وهو اول من خاض منهم اللجج وخاصم بالحجج الا انه زلّ
به العقل واصرا مهتده كثرة الصقل قال ابو القسم صاعد بن
احمد بن صاعد انه كان في زمان داود عليه السلام واخذ الحكمة عن لقمان الحكيم
بالشام ثم انصرف الي بلاد اليونان فتكلم في خلق العالم باشياء يقدح ظاهرها
في امر المعاد فهجره بعضهم ولطايفة من الباطنية ميل الي حكمته وتزعم ان له
رموزًا قل ما يوقف عليها قال ابن ابي اصيبعة والي قوله في الصفات
ذهب ابو الهذيل العلاف

ومنهم فيثاغورس وهو ممن خرق الفجاج حيث يتشكي طالع الصباح
المسري ونترامي طوالع الرياح حسري وقد كان يروع الليل وثغر افقه
اشنب ويجر مفرقه مقنب ويفاحي البيد وحبالها قد كثرت له انياب
اغوال ورمالها قد حطت له نوايب اهوال لا يرده قول مؤنب ولا يصده
ليل يا فاقه مطنب ولا يثني عزماته الموقنه من بارقه سوحها ولا من مطوقه
في حصر الغصون جنوحها قال ابو القسم صاعد انه اخذ الحكمة عن
سليمن عليه السلام بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام وكان قد اخذ الهندسة
من المصريين ثم رجع الي بلاد اليونان وادخل عندهم علم الهندسة وعلم الطبيعة
وعلم الدين واستخرج علم الالحان وتوقيع النغم وله رموز عجيبه واغراض بديعه
وله في المعاد مذاهب قارب فيها بندفليس وكان يري السياحة واجتناب
مماسّة القاتل والمقتول وكان يقول انه امر بتقديس الحواس وتعلم العلم
بالعدل وجمع الفضايل والكف عن الخطايا والبحث عن طبيعة كل شيء والتجارب
والتادب لشرح العلوم العلوية ومجاهدة المعاصي وعصمة النفوس وتعلم الجهاد
واكثار الصيام والقعود علي الكراسي ومواعظ الملوك وقراءة الكتب
وان يعلم الرجال الرجال والنساء النساء وكان قد اتخذ اكلًا غير مجوع ولا معطش
لا يتعداه ولم يكن يفرح بافراط ولا يحزن بافراط ويحكي انه اول من
قال ان اموال الاخلاء مشاعة غير مقسومة وكان يامر باداء الامانة في الوديعة
وصدق الوعد وكان يتكهن فلا يخطي وكان يرمز حكمته ومنها قوله
لا تلبس تماثيل الملايكة علي فصوص الخواتيم اي لا تجهر بديانتك واسرار العلوم
الالهية عند الجهال وكان ممن استوطن انطاليا بعد ان سافر الي بلاد شتي
طلبًا للعلم واخذ عن الكلدانيين والمصريين وغيرهم واخذ عن الكهنة واخر

امر انه كفر فبقي مذبذبا لا يليقه بلد ثم انحاز الى هيكل تحصن فيه ولبث
فيه اربعين يوما لا يغتذي فاطيف به واحرق عليه الهيكل فهلك هو ومن
معه ؛ ومن كلامه قوله الاقوال الكثيرة في الله تعالى علامة تقصير الانسان
عن معرفته وقوله ما انفع الانسان ان يتكلم بالاشياء النفيسة فان لم
يمكنه فليسمع قايلها وقوله ليكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيايك
من كل احد وقوله ليكن قصدك من المال اكتسابه من حلال وانفاقه في مثله
وقوله اذا سمعت كذبا فهون على نفسك الصبر عليه وقوله ما لا ينبغي
ان تفعله احذر ان تخطره في بالك وقوله لا تدنس لسانك بالقذف ولا
تصغ باذنيك اليه وقوله الاشكال المزخرفة والامور المموهه في اقصر
الزمان تتبهرج وقوله متى التمست امرا ابدا الى ربك بالابتهال في
النجح فيه وقوله الانسان الذي اختبرته بالتجربة فوجدته لا يصلح ان يكون
صديقا وخلا احذر من ان تجعله لك عدوا وقوله ما اخلق بالانسان ان يفعل
ما ينبغي لا ما يشتهي وقوله ما احسن بالانسان ان لا يخطي فان اخطا فما
اكثر انتفاعه بان يعلم بانه اخطا ويحرص ان لا يعاود وقوله الدنيا دول
مرة لك واخرى عليك فان توليت فاحسن وان تولوك فلن وقوله ليس
الحكيم من حمل عليه بقدر ما يطيق فصبر واحتمل ولكن الحكيم من حمل عليه اكثر ما يحتمل
فصبر وقوله ان اكثر الآفات انما تعرض للحيوانات لعدمها الكلام وتعرض
للانسان من قبل الكلام وقوله استعمل الفكر قبل العمل وقوله وقد
نظر الى شيخ يحب النظر في العلم ويستحيي ان يرى متعلما يا هذا اتستحيي ان
ترى في اخر عمرك افضل منك في اوله وقوله وقد قيل له ما احلا الاشياء قال
ما يشتهيه الانسان

ومنهم سقراط وهو المعروف بسقراط الحب والحب وعاء من فخار
كان يجلس فيه ويستغني به عن اللباس اتخذه رياشا له دون اللباس اعرض عن
ملاذ الدنيا ورفضها وفرغ منها يديه ونفضها وتجرد من الدنيا الا حب يستر
وحب يشهن كانما يتوقى من حبائل الفجر اشراكا حايله ومن رواشق النجوم
نبالا قاتله فكان لا يستطيب من دياره مقيلا ولا يستطيب لعثاره مقيلا
فلم ياو جدارا ولا اطما ولا الجم راسه عذارا ولا خطما حتى انتهى الى ما بلغ
وشفى كلب الموت من دمه ما ولغ قال ابو القسم صاعد هو من تلاميذ
فيثاغورس واقتصر على العلوم الالهيه وخالف اليونان في عبادة الاصنام وحاج
روساهم بالادلة فنفدوا العالم عليه واضطروا ملكهم الى قتله فاودعه السجن ثم سقاه
السم وله وصايا شريفه وآداب فاضله وحكم مشهوره ومذاهب قريبه من فيثاغورس
وبندقليس الا ان له في العدد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفه خارجة
عن المذاهب المحققه وكان لا يستودع الحكم الصحف والقراطيس تنزيها لها
ويقول الحكمة طاهرة مقدسة غير فاسدة ولا دنسة فلا ينبغي ان نستودعها
الا الانفس الحيه وننزهها عن الجلود الميته ونصونها عن القلوب المتمرده ولم
يصنف كتابا ولا املى على احد من تلاميذه ما اثبته في قرطاس وانما كان يلقنهم
علمه تلقينا وكان من عادة ملوك اليونان اذا حاربوا اخرجوا معهم حكماءهم
فاخرج الملك سقراط معه في سفرة خرج فيها وكان سقراط ياوي الى زير مكسور
يستكن فيه من البرد واذا طلعت الشمس خرج منه فجلس عليه يستدفي بالشمس
ولهذا سمي سقراط الحب ؛ ومن كلامه قوله املا الوعا طيبا اي حكمة وقوله
لا تاكل الاسود الذنب اي احذر الخطيه وقوله لا تتجاوز الميزان اي لا
تتجاوز الحق وقوله ازرع بالاسود واحصد بالابيض اي ازرع بالبكا واحصد

بالسرور وقوله لا تشيلن الاكليل اي السنن الجميلة لا ترفعنها لا
تحوط حياطة الاكليل للراس وقوله عجبا لمن علم فناء الدنيا كيف تلهيه
عما ليس له فناء وقوله اتفاق النفوس باتفاق هممها واختلافها باختلاف
مرادها وقوله من بخل على نفسه فهو على غيره ابخل وقوله ما ضاع من
عرف نفسه وما اضيع من جهل نفسه وقوله ستة لا تفارقهم الكآبة
الحقود والحسود وحديث عهد بغني وغني يخاف الفقر وطالب رتبة يقصر قدره
عنها وجليس اهل الادب وليس منهم وقوله العقل مواهب والعلوم مكاسب
وقوله اتقوا من تبغضه قلوبكم وقوله اذا وليت امرا بعد عنك الاشرار
فان جميع عيوبهم منسوبة اليك وقوله انما اهل الدنيا كصور في صحيفة كلما
نشر بعضها طوي بعضها وقوله ينبغي للعاقل ان يخاطب الجاهل مخاطبة
الطبيب المريض وقوله طالب الدنيا قصير العمر كثير الفكر وقوله
من كان شريرا فالموت سبب راحة الناس من شره وقوله انما جعل للانسان
لسان واحد واذنان ليكون ما يسمعه اكثر مما يتكلمه وسئل اي الاشياء
الذ فقال استفادة الادب واستماع اخبار لم تكن سمعت وقوله انفع ما
اقتناه الانسان الصديق المخلص وقوله الصامت ينسب الى العي ويلم
والساكت ينسب الى الفضول ويندم وقوله من سره الزمان في حالة
ساءه في اخرى وقوله لا ضرر اضر من الجهل ولا شر اشر من النساء
وقوله لتلميذ له يا بني ان كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك لهن كاكل
الميتة لا تاكلها الا عند الضرورة وقوله وقد قيل له ما تقول في النساء
فقال هن كشجر الدفلى له رونق وبهاء فاذا اكله الغر قتله وقوله لا
يصدنك عن الاحسان جحود جاحد النعمة وقوله الجاهل من عثر بحجر مرتين

وقوله اعلم انك في اثر من مضى سائر وفي محل من مات مقيم والى العنصر الذي
بدات منه تعود وقوله رب محترز من الشيء تكون منه آفته وقوله
داووا الغضب بالصمت وقوله لاهل الاعتبار في صروف الدهر كفاية
وكل يوم ياتي عليك منه علم جديد وله شعر باليونانية عرب فكان شعرا وهو

انما الدنيا وان ومقت خطرة من لحظ ملتفت

وعاش نحو ثمانين سنة

ومنهم افلاطون رجل ترى النجوم لديه اسافل والخصوم بين
يديه جوافل والخيوم معتذرة اليه اذا انته جوافل يطاه الاراقم ويطاول الخطب
المتفاقم ويكف بعقله النوازي ويحلب بعقايله الجوازي وتقصر رويته الافكار
اذا ارتجل ويقصي اذا ارتجل وتقدم النظراء اليه ثم لا ترى الا مبسله وتقدم
الاراء ثم لا تنفد الا وسهامها مرسله قال ابن جلجل هو من
مدينة اثينا رومي فلسفي يوناني طبي عالم بالهندسة وطبايع الاعداد وله
في الطب كتاب بعثه الى طيماوس تلميذه وله في الفلسفة كتب واشعار وله
في التاليف كلام لم يسبقه احد اليه ضبط به صنعة الديباج وهو الكلام
المنسوب الى الخمس لسبب التاليفية التي لا سبيل الى وجود غيرها ثم
استشرف الى علم العالم كله وعرف موانع الاجزاء المؤتلفات الممتزجات
باختلاف الوانها واصباغها وايتلافها على قدر الشبه فوصل الى علم التصوير
فقامت له صناعة الديباج وصناعة كل مؤتلف به وله في الفلسفة كلام عجيب
وكان قد اخذ في اول امره في تعلم علم الشعر واللغة فبلغ من ذلك مبلغا عظيما
الى ان حضر يوما سقراطيس وهو يثلب صناعة الشعر فاعجبه ما سمعه منه وزهد
فيما كان عنده منه ولزم سقراط وسمع منه خمس سنين ثم مات سقراط فقصد

مصر للقاء اصحاب فيثاغورس وكان يتبع سقراط في الاشياء المحسوسة ويتبع فيثاغورس في الاشياء المعقولة وكان يتبع سقراطيس في امور التدبير ثم رجع الي بلده ونصب فيه بيتي حكمته وعلم الناس وفعل الجميل واعان الضعفاء وكان حسن الاخلاق كريم الافعال كثير الاحسان الي كل ذي قرابة منه والي الغرباء ثبتا حكيما صبورا وكان يرمز حكمته ويشير اليها ويتكلم بها ملغوزة حتي لا يظهر مقصده الا لذوي الحكمة وصنف عدة كتب وكتبه يتصل بعضها ببعض اربعة اربعة يجمعها عرض واحد ويخص كل عرض منها عرض خاص يشتمل عليه ذلك العرض العام ويسمي كل واحد منها رابوع وكل رابوع منها يتصل بالذي قبله ∴ وكان محبا للخلوات والصحاري والوحدة وكان في الاكثر لا يستدل علي موضعه الا بصوت بكائه وكان يسمع علي ميلين وكان منقوشا علي خاتمه تحريك الساكن اسهل من تسكين المتحرك ∴ ومن كلامه قوله للمادة علي كل شي سلطان وقوله وقد قيل له لم لا تجتمع الحكمة والمال فقال لعز المال وقوله غاية الادب ان يستحي المرء من نفسه وقوله اذا خبث الزمان كسدت الفضايل وضرت ونفقت الرذايل ونفعت وكان خوف الموسر اشد من خوف المعسر وقوله العزيز النفس هو الذي لا يذل للفاقة وقوله الحسن الخلق من صبر علي السيي الخلق وقوله اشرف الناس من شرفته الفضايل لا من تشرف بالفضايل وقوله الامل خداع النفوس وقوله المشورة تريك طبع المستشار وقوله الطلب في حياتك العلم والمال والعمل الصالح فان الخاصة تفضلك بما تحسن والعامة بما تملك والجميع بما تعمل وقوله وقد سيل عند موته عن الدنيا فقال خرجت اليها مضطرا وعشت فيها متحيرا وها انا اخرج منها كارها

ولم اعلم فيها الا انني لا اعلم ∴ وعاش ثمانين سنة

ومنهم ارسطوطاليس وهو ابن سقوماخس ذهب مذهب فيثاغورس رجل لا يقاس به احد ولا يقال ان مثله البحر فيخص بحد انواع العلماء عليه ضيوف واقوال الحكماء لديه زيوف طلع صباحه فطمي جدوله علي الكواكب وطمسها وطم جرف نهاره المنهار خفرا الغياهب ودمسها وعرف فضله بالضرورة وفعله بالمآثر المبرورة وعني بمداواة الافهام فابرا سقيمها وانتج عقيمها فشفي من لم واسمع من صمم وجارا بانضواء الاسكندر الذي هو احد ملوك العالم اليه فخرا اصبح به زنده بفخم وصدته برغم اذ كان لا تناط لديه اشاراته باهمال ولا تنال عنده الا بالتعويل عليه اعمال وحسب واصفه ان لا يجد غير قابل ولا يجد الا شلب الناس وهو قايل ∴ ذكره ابو القسم ابن صاعد وقال انتهت اليه فلسفة اليونان وكان خاتم حكمايهم وسيد علمايهم وهو اول من خلص البرهان من الصناعات المنطقيه وصورها بالاشكال الثلثة وجعلها الة العلوم النظرية حتي لقب بصاحب المنطق وله في جميع العلوم الفلسفيه كتب شريفة كليه وجزيه قال ابن جلجل كان فيلسوف الروم وعالمها وجهيذها ونحريرها وخطيبها وطبيبها وكان اوحدا في الطب وغلب عليه علم الفلسفة قال المبشر بن فاتك كان ارسطو كثير التلاميذ من الملوك وابناء الملوك وغيرهم وعد منهم اناسا منهم الاسكندر وسماه الاسكندروس قال ابن ابي اصيبعة كان سقوماخس ابو ارسطوطاليس طبيب فيلبس ابي الاسكندر وكان كل من ابيه وامه من ولد قلينيوس واخذ ارسطو عن افلاطون وكان ارسطو خليفه علي دار التعليم ولما قدم افلاطون من صقليه انتقل ارسطو الي لوقيون واتخذ هناك دار التعليم المنسوبة الي المشايين ثم رجع

الي مدينة الحكماء ثم صار الي مقدونيا يعلم الي ان تجاوز الاسكندر بلادا اسيا
ثم استخلف في مقدونيا فسعي اليه بعض الكهنة في ارسطو ونسبه الي
الكفر لكونه كان لا يعظم الاصنام التي كانت تعبد فشخص ارسطو الي بلاده
وبقي بها الي ان مات وهو ابن ثمانين سنة ∴ ثم ان اهل اسطا نقلوا بدنه وصيروه
في الموضع المعروف بالارسطوطاليسي وصيروا عنده مجتمعهم للمشاورة في
جلايل الامور وكانوا يرون عنده تفريج احزانهم واذا صعب عليهم شيء من فنون
العلم اتوا الي مكان قبره فتناظروا ما بينهم فيظهر لهم ما اشكل وكانوا يرون اجتماعهم
عنده يذكي عقولهم ويصحح فكرهم وكانوا لا يزالون في اسف لفراقه وحزن لما
فقدوه من ينابيع حكمته وذكر المسعودي انه في ملدم من صقليه وكان جليل
القدر في الناس مكرما عند ملوك زمانه وكان يحسن السفارة عندهم للرعية
حتي اتخذوا عمودا ونقشوا عليه اسمه وحسن ما كان يصنعه معهم الا فرد رجل
غاب عن رايهم في هذا العمود وغاب ارسطو وهم بازالة نقش العمود فامسك وقتل
ثم عمدوا الي عمود آخر فرسموه بالبناء عليه كالاول وذكروا المتعرض المخالف الذي
قتل ولعنوه وتبرأوا منه قال ابن ابي اصيبعة ان الاسكندر لما ملك
صار ارسطو الي التبتل والتخلي مما كان فيه من الاتصال بالملوك والملازمة لهم
ولزم موضع التعليم وهو رواق المشاين واقبل علي العناية بمصالح الناس ورفد
الضعفاء واهل الفاقة وتزويج الايامي وعول اليتامي ورفد طلب العلم والتأديب
من كانوا واي نوع من العلم والادب طلبوا والصدقة علي الفقراء ولم يزل في غاية
لين الجانب والتواضع وحسن اللقاء للصغير والكبير والقوي والضعيف واما
قيامه بامر اصدقائه فلا يوصف وقال المبشر بن فاتك ان ارسطو
لما بلغ ثمان سنين حمله ابوه الي بلد الحكماء وضمه ابوه الي الشعراء والبلغاء والنحويين

فاقام متعلما منهم تسع سنين وكان اسم هذا العلم عندهم المحيط اعني علم اللسان
لحاجة جميع الناس اليه لانه المودي لكل حكمة وبه يتحصل كل علم ثم بلغه ان قوما
من الحكماء ازروا بعلم البلغاء واللغويين وعنفوا المتشاغلين به وزعموا انه لا تحتاج
اليه الحكمة لان النحويين معلموا الصبيان والشعراء اصحاب اباطيل وكذب
والبلغاء اصحاب تمحل ومراء فادركته الحفيظة لهم فناضل عنهم واحتج لهم وقال ان
فضل الانسان علي البهائم بالنطق واحقهم بالانسانية ابلغهم فيه واذا كانت الحكمة
اشرف الاشياء فينبغي ان تكون العبارة عنها باشرف المنطق لان العي يذهب
بنور الحكمة ويقطع عن الاداء ويقصر عن الحاجة ويلبس علي المستمع ويفسد
المعاني فيورث الشبهة ثم انتقل ارسطو الي افلاطون ليتعلم العلوم الاخلاقيه
والسياسيه والطبيعيه والتعليميه والالهيه وكان افلاطون اذا استدعي
منه الكلام يقول اصبروا حتي يحضر الناس فاذا جاء ارسطو قال تكلموا فقد
حضر الناس وربما كان يقول اصبروا حتي يحضر العقل فاذا حضر ارسطو قال
تكلموا فقد حضر العقل وقال حنين كان منقوشا علي منقوشا علي خاتم
ارسطو المنكر لما لا يعلم اعلم من المقر بما لا يعلم ومن كلامه قوله بالفكر
الثاقب يدرك الراي العازب وبالتاني تسهل المطالب وبلين الكلمة تدوم المودة
في الصدور وبخفض الجناح تتم الامور وبسعة الاخلاق يطيب العيش ويكمل
السرور وبالانصاف يجب التواصل وبالتواضع تكثر المحبة وبالعفاف تزكو
الاعمال وبالعدل يقهر العدو وبالحلم تكثر الانصار وبالرفق تستخدم القلوب
بالوفاء يدوم الاخاء بالصدق يتم الفضل الايام تفيد الحكم ومن الساعات تتولد
الآفات بالعافية يوجد طيب الطعام والشراب وبحلول المكاره تتكدر النعم
وبالمن يمحق الاحسان وبالجحود يستوجب الحرمان والبخيل ذليل وان كان غنيا

والجواد عزيز وان كان مقلاً الطمع الفقر الحاضر واليأس الغني الظاهر لا ادري نصف العلم الادب يغني عن الحسب التقوي شعار العالم والرياء لباس الجاهل مقاساة الاحمق عذاب الروح الاشتغال بالفايت يضيع الاوقات التمني سبب الحسرة الصبر تاييد العزم صديق الجاهل مغرور المخاطر خايب من عرف نفسه لم يضع المجرب احكم من الطبيب اذا فاتك الادب فالزم الصمت من لم ينفعه العلم لم يامن من ضرر الجهل من افتخر ارتطم من عجل تورط من تفكر سلم من سال علم للعادة علي كل احد سلطان كل شي يستطاع نقله الا الطباع كل شي يحتال له الا القضاء من عرف الحكمة لحظته العيون بالوقار لا يوتي الناطق الا من سوء فهم السامع الجزع عند مصايب الاحزان احمد من الصبر وصبر المرء علي مصيبته احمد من الجزع ليس شي اقرب الي تغيير النعم من الاقامة علي الظلم من طلب خدمة السلطان بلا ادب خرج من السلامة الي العطب اذا اردت الغناء فاطلبه بالقناعة فان من لم يكن له قناعة لا يغنيه المال وان كثر لا تبطل لك عمرا في غير نفع ولا تضع لك مالا في غير حق ولا تصرف لك قوة في غي ولا رايا في غير رشد العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما الطلب الغني الذي لا يفني والحياة التي لا تتغير والملك الذي لا يزول والبقاء الذي لا يضمحل اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعا لك افترص من عدوك الفرصة واعمل علي ان الدهر ذو دول لا تصادم من كان علي الحق ولا تجاذب من كان متمسكا بالدين لا فخر فيما يزول ولا غني فيما لا يثبت لا تغفل فان الغفلة تورث الندامة لا ترج السلامة لنفسك حتي يسلم الناس من جورك ولا تعاقب غيرك علي امر ترخص فيه لنفسك اعتبر بمن تقدم واحفظ ما مضي والزم الصحة يلزمك النصر الصدق قوام امر الخلايق

الكذب داء لا ينجو من نزل به من تجبر علي الناس احب الناس ذلته من افرط في اللوم كرهت حياته من مات محمودا كان احسن حالا ممن عاش مذموما من نازع السلطان مات قبل يومه اي ملك نازع السوقة هتك شرفه من مات قل حاسده الحكمة شرف من لا قديم له سوء الادب يهدم ما بناه الاب الجهد شر الاصحاب النميمة تهدي الي القلوب البغضا ومن واجهك فقد شتمك ومن نقل اليك نقل عنك الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقا لغيره الوفاء نتيجة الكرم لسان الجاهل مفتاح حتفه الحاجة تفتح باب الحيلة بتركك ما لا يعنيك يتم لك الفضل ليس زيادة القوة بكثرة ما يرد البدن من الغذاء ولكن بكثرة ما يقبل منه امتحن المرء في وقت غضبه لا في وقت رضاه وفي وقت قدرته لا في وقت ذلته خير الاشياء اجدها الا المودات خيرها اقدمها وكتب الي الاسكندر اذا اعطاك الله الظفر فافعل ما احب من العفو وكتب اليه الارديا ينقادون بالخوف والخيار ينقادون بالحياء فميز بين الطبقتين واستعمل في اوليك البطش والخوف وفي هولاء الافضال والاحسان وكتب اليه ليكن غضبك بين المنزلتين لا شديدا فاشيا ولا فاترا ضعيفا فان هذه من اخلاق السباع وهذه من اخلاق الصبيان

ومنهم يعقوب بن اسحق الكندي ابو يوسف فيلسوف العرب من ولد الاشعث بن قيس والاشعث من ولد معوية الاكبر ابن الحرث الاصغر ابن معوية ابن الحرث الاكبر وكان الاشعث ملكا علي كندة وله صحبة وللاعشي فيه مدايح وكان من ابايه ملوك بالمشقر واليمامة والبحرين وكان اسحق بن الصباح علي الكوفة للمهدي والرشيد وكان ابنه يعقوب هذا عظيم المنزلة عند المامون والمعتصم وابنه احمد املاكه بالبصرة وتادب ببغداد وكان عالما بالطب والفلسفة

والحساب والمنطق واللحون والهندسه وطبايع الاعداد والنجوم ولم نجد
في الاسلام فيلسوف خلف ارسطو سواه له تصانيف كثيرة في فنون
العلم خدم الملوك وترجم كثيرا من كتب الفلسفة وبين ما جمع على اهل المعرفة
واحجم عن مشاورته كل قسورة وخاتل دون مساورته كل ابن بهماء مقفرة واثرى
بعلمه كل مملق وارتى في بهمه كل محلق وقصر لديه حجة كل مناظر ودرس محجة
كل خاطر ورد من عادى كندة من كنود الابطال واكبد بفضلها كبود
اهل المطال حتى خشي من كان ذكنه وخزي بالقبيح لحسن ما عنده فلو نشر
ملكها الضليل لما فخر بلسانه قدر ما فخر باحسانه ولما حمل راية الشعراء بيده
الابعد اخذ امانه ولا طلب ثار ابيه ولو قدر عليه الى زمانه ‹‹ ذكره ابن ابي اصيبعة
وذكر من كلامه قوله في وصية وليتق الله المتطبب ولا يخاطر فليس عن
الانفس عوض وقوله كما يجب انه يقال كان سبب عافية العليل وبرؤه
احذران يقال انه كان سبب تلفه وموته وقوله مما اوصى به ولده يا بني
الاب رب والاخ فخ والعم غم والخال وبال والولد كمد والاقارب عقارب وقول
لا يصرف البلاء وقول نعم يزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان
ليسمع فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت والدينار محموم
فان اصرفته مات والدرهم محبوس فان اخرجته فر والناس سخرة فخذ شيهم
واحفظ شيك ولا تقبل ممن قال اليمين الفاجرة تذر الدار بلاقع قلت
وهذا الكندي هو الذي حضر ابا تمام حين انشد احمد بن المعتصم قوله فيه
ما في وقوفك ساعة من باس
وهو صاحب الواقعه معه فيها وهي في موضعها من ذكر ابي تمام اشبه

ومنهم احمد بن الطيب

السرخسي ابو العباس مفتن جليل المفاخر
متقن لعلوم الاوايل وطرف من علوم الاواخر هذا الى خشن مناظره وحسن
محاضره ونوادر راجوبة حاضره وفوائد ما انث كرارها اهل بادية ولا حاضره
ومع هذا كله يزن عقله الجبال ويوقر فضله الجمال ويقتدي بقبضه البحر الا
انه لا يثمر والسحاب الا انه الذي يتسكب ولا يدر قال ابن ابي اصيبعة
هو ممن ينتمي الى الكندي وعليه قرا وكان متفننا في علوم القدماء والعرب حسن
المعرفة جيد القريحة بليغ اللسان مليح التصنيف احذا في النحو والشعر فصيح
الشعر مليح النادرة وسمع الحديث الشريف وكان خليعا ظريفا وولي حسبة
بغداد ايام المعتضد وكان قبل هذا يعلمه وينادمه وكان يفضي اليه باسراره
ويستشيره في امور ملكه وكان يغلب علم السرخسي على عقله وقتله بحيلة
دبرها الوزير عليه حتى اخذ خط المعتضد بقتل رجال دسه بينهم فلما قتل سال
عنه المعتضد فاخبره القاسم انه قتل فانكر فاراه خطه فسكت ومضى
بعد ان بلغ السماء رفعة

ومنهم كنكه الهندي

من اقدم الحكماء واقوم القوم
ببث ما انزل في الارض من خير السماء واعلم الكل بما بنيت من العقاقير ذوات
الاسماء اخذ عنه الحكماء اصحاب النواميس واستمد اليونان مما وصل من
كتبه الى ارسطاطاليس وهو الذي لا يرتفع معه ذكر نابه ولا يقاومه
قدر مشابه قال ابن ابي اصيبعة انه حكيم بارع من متقدمي
حكماء الهند واكابرهم وله نظر في صناعة الطب وقوى الادويه والطبايع
المولدات وخواص الموجودات وكان من اعلم الناس بهيئة العالم وتركيب
الافلاك وحركات النجوم وقال ابو معشر ان كنكه هو المتقدم
في علم النجوم عند جميع علماء الهند في سالف الدهر وعدد كتبه قلت

ومنها كتاب في احداث العالم والدور والقران وهذا كتاب نجد لو وجد
وهيهات

ومنهم صنجهل الهندي وهو ثانية في الرتبة وثالثة في صعود الهضبة فلو نطقت النجوم لما عدت شكره او العلوم لما عدت الابره قال ابن ابي اصيبعة كان من علماء الهند وفضلائهم المحررين بعلم الطب والنجوم

ومنهم ابو نصر الفارابي محمد بن محمد بن اوزلع بن طرخان من اهل مدينة فاراب من مدن الترك في ارض خراسان وكان ابوه قايد جيش وهو فارسي المنتسب وكان ببغداذ مدة ثم انتقل الي الشام واقام به الي حين وفاته وكان رحمه الله فيلسوفا كاملا واماما فاضلا بحرا منه يغرف وحبرا لمه معرف قد اتقن العلوم الرياضية زكي النفس قوي الذكاء متجنبا عن الدنيا متقنعا منها بما يقوم باوده ويسير سيرة الفلاسفة المتقدمين وكان له قوة في صناعة الطب وعلم الامور الكلية منها ولم يباشر اعمالها ولا حاول جزئياتها قال ابن ابي اصيبعة وحدثني سيف الدين ابو الحسن علي ابن الآمدي رحمه الله ان الفارابي كان في اول امره ناطورا في بستان بدمشق وهو علي ذلك دايم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع الي اراء المتقدمين وشرح معانيها وكان ضعيف الحال حتي انه كان في الليل يسهر بالمطالعة والتصنيف ويستضي بالقنديل الذي للحارس وبقي كذلك مدة ثم انه عظم شانه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار اوحد زمانه وعلامة وقته واجتمع به الامير سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي واكرمه اكراما كثيرا وعظمت

١١ منزلته عنده وكان له موثرا ونقلت من خط بعض المشايخ ان ابا نصر الفارابي سافر الي مصر سنة ثمان وثلثين وثلث مايه عند سيف الدولة علي بن حمدان وفي خلافة الراضي وصلي عليه سيف الدولة في خمسة عشر رجلا من خاصته ويذكر انه لم يتناول من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوي اربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ولم يكن معتنيا بهيئة ولا مكسب ويذكر انه كان يغتذي بما في قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط ويذكر انه كان في اول امره قاضيا فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك واقبل بكليته علي تعليمها ولم يسكن الي نحو من امور الدنيا البتة ويذكر انه كان يخرج الي الحراس في الليل من منزله يستضي بمصابيحهم فيما يقراه وكان في علم صناعة الموسيقي وعملها قد وصل الي غاياتها واتقنها اتقانا لا مزيد عليها ويذكر انه صنع الة غريبة يسمع منها الحان بديعة يحرك بها الانفعالات ويذكر ان سبب قراته للحكمة ان رجلا اودع عنده جملا من كتب ارسطوطاليس فاتفق انه نظر فيها فوافقت منه قبولا وتحرك الي قراءتها ولم يزل الي ان اتقنها فهما وصار فيلسوفا بالحقيقة ونقلت من كلام لابي نصر الفارابي في معني الفلسفة قال اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل الي العربية وهو علي مذهب لسانهم فيلسوفا ومعناه ايثار الحكمة وهو مركب من فيلا ومن سوفيا ففيلا الايثار وسوفيا الحكمة والفيلسوف مشتق من الفيلسفه وهو علي مذهب لسانهم فيلوسوفوس فان هذا التغير هو تغير كثير من الاشتقاقات عندهم ومعناه الموثر للحكمة والموثر للحكمة هو الذي يجعل الوكد من حياته وغرضه من عمره الحكمة وحكي ابو نصر الفارابي في ظهور الفلسفة ما هذا نصه قال ان امر الفلسفة اشتهر

في ايام ملوك اليونانيين بعد وفاة ارسطوطاليس بالاسكندرية الي آخر ايام المراة وانه لما توفي بقي التعليم بحاله فيها الي ان ملك ثلثة عشر ملكا وتوالي في مدة ملكهم من معلمي الفلسفة اثني عشر معلما احدهم المعروف باندرونيقوس وكان آخر هولاء الملوك المراة فغلبها اوغسطس الملك من اهل رومية وقتلها واستحوذ علي الملك فلما استقر له نظر في خزاين الكتب وصنعتها فوجد فيها نسخا من كتب ارسطوطاليس قد نسخت في ايامه وايام ثاوفرسطس ووجد المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتبا في المعاني التي عمل فيها ارسطو وتلاميذه ان يكون التعليم منها وان ينصرف عن الباقي وحكم اندرونيقوس في تدبير ذلك وامره ان ينسخ نسخا يحملها معه الي رومية فصار التعليم في موضعين وجري الامر علي ذلك الي ان جاءت النصرانيه فبطل التعليم من رومية وبقي بالاسكندرية الي ان نظر ملك النصرانية في ذلك واجتمعت الاساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا العلم وما يبطل فراوا ان يعلم من كتب المنطق الي آخر الاشكال الوجودية ولا يعلم ما بعده ما بعده لانهم راوا ان في ذلك ضررا علي النصرانية وان فيما اطلقوا تعليمه لا يستعان به علي نصرة دينهم فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار وما ينظر فيه من الباقي مستورا الي ان كان الاسلام بعده بمدة طويلة فانتقل التعليم من الاسكندرية الي انطاكيه وبقي بها زمانا طويلا الي ان بقي معلم واحد فتعلم منه رجلان وخرجا ومعهما الكتب وكان احدهما من اهل حران والآخر من اهل مرو فاما الذي من اهل مرو فتعلم منه رجلان احدهما ابرهيم المروزي والاخر يوحنا بن حيلان وتعلم من الحراني الاسقف وفوتري وساروا الي بغداد فتشاغل ابرهيم بالدين واخذ فويري في التعليم واما يوحنا بن جيلان فانه تشاغل

ايضا بدينه وانحدر ابرهيم المروزي الي بغداد فاقام بها وتعلم منه متي ابن يونان وكذلك سعلم في آخر الاشكال الوجودية وقال ابونصر الفارابي عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن جيلان الي اخر كتاب البرهان وكان يسمي ما بعد الاشكال الوجوديه الجزء الذي لا يقرا الي ان قري بعد ذلك وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الامر الي معلمي الاسلام ان يقرا من الاشكال الوجوديه الي حيث قدر الانسان ان يقرا فقال ابونصر انه قرا الي اخر كتاب البرهان وحدثني عمي رشيد الدين ابو الحسن علي ابن الخليفة ان الفارابي توفي عند سيف الدولة ابن حمدان في رجب سنة تسع وثلثين وثلث مايه وكان اخذ الصناعة عن يوحنا بن جيلان ببغداد وكان في ايام المقتدر وكان في زمانه ابو البشر متي بن يونان وكان اسن من ابي نصر وكان ابو نصر احذ ذهنا منه واعذب كلاما وتعلم ابو البشر متي من ابرهيم المروزي وتوفي ابو البشر في خلافة الراضي فيما بين سنة ثلث وعشرين الي سنة تسع وعشرين وثلث مايه وكان يوحنا بن جيلان وابرهيم المروزي قد تعلما جميعا من رجل من اهل مرو وقال الشيخ ابو سليمن محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني في معلقاته ان يحيي بن عدي اخبره ان متي قرا ايساغوجي علي انسان نصراني وقرا قاطيغورياس وبارمينياس علي انسان يسمي روبيل وقرا كتاب القياس علي ابي يحيي المروزي وقال القاضي صاعد بن احمد بن صاعد في كتاب التعريف بطبقات الامم ان الفارابي اخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن جيلان المتوفي بمدينة السلام في ايام المقتدر فبذ جميع اهل الاسلام فيها واربي عليهم في التحقيق بها وشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وجمع ما يحتاج اليه منها في كتب

صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبهة على ما اغفله الكندي وغيره من صناعة
التحليل وانحا التعاليم واوضح القول فيها عن موآد المنطق الخمسة وافادة وجه
الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تصرف وجوه القياس في كل
مادة منها فجآءت كتبه في ذلك الغاية القصوي الكافية والنهاية الفاضلة
ثم له بعد ذلك كتاب شريف في احصآء العلوم والتعريف باغراضها لم
يسبق اليه ولا ذهب احد مذهبه فيه لا يستغني طلاب العلوم كلها عن
الاهتدآء به وتقديم النظر فيه وله كتاب في اغراض فلسفة افلاطون
وارسطوطاليس يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقيق بفنون الحكمة
وهو اكبر عون على تعلم طريق النظر وتعرف وجوه الطلب اطلع فيه على
اسرار العلوم وثمارها علما وبين كيف التدرج من بعضها الي بعض
ثم بدا فلسفة افلاطون فعرف بعرضه منها وسمي تواليفه فيها ثم اتبع
ذلك بفلسفة ارسطو فقدم له مقدمة جليلة عرف فيها بتدرجه الي فلسفته
ثم بدا بوصف اعراضه في تواليفه المنطقية والطبيعية كتابا كتابا حتي
انتهي به القول في النسخة الواصلة الينا الي اول العلم الالهي والاستدلال
بالعلم الطبيعي عليه ولا اعلم كتابا اجدي على طالب الفلسفة منها فانه يعرف
بالمعاني المشتركة لجميع العلوم والمعاني المختصة بعلم علم منها ولا سبيل
الي معاني قاطيغورياس وكيف بين الاوايل الموضوعة لجميع العلوم ثم له
بعد ذلك في العلم الالهي والعلم المدني كتابان لا نظير لهما احدهما المعروف
بالسياسة المدنية والآخر المعروف بالسيرة الفاضلة عرف فيها بجمل
عظيمة من العلم الالهي على مذهب ارسطوطاليس في مبادي الستة الروحانية
وكيف توجد عنها الجواهر الجسمانية على ما هي عليه من النظام واتصال الحكمة

وعرف فيها مراتب الانسان وقواه النفسانية وفرق بين الوحي والفلسفه
ووصف اصناف المدن الفاضلة واحتياج المدينة الي السيرة الملكيه والنواميس
النبوية اقول وفي التاريخ ان الفارابي كان يجتمع بابي بكر ابن
السراج يقرا عليه صناعة المنطق وكان الفارابي يشعر ايضا وسال بعضهم
ابا نصر ايما اعلم انت ام ارسطو فقال لو ادركته لكنت اكبر تلامذته ويذكر
عنه انه قال قرات السماع لارسطو اربعين مرة واري انني محتاج الي معاودته
ومن شعر ابي نصر

لما رايت الزمان نكسا وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال وكل راس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضا به من العزة انتفاع
اشرب مما اقتنيت راحا لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها نداماي ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم قد اقفرت منهم البقاع

وقال ايضا

اخي خل حيز ذي باطل وكن للحقايق في حيز
فما الدار دار خلود لنا ولا المرء في الارض بالمعجز
وهل نحن الا خطوط وقعن على كرة وقع مستوفز
ينافس هذا لهذا على اقل من الكلم الموجز
محيط السموات اولى بنا فلم ذا التنافس في المركز

ومنهم يحيي بن عدي ابو زكريآء المنطقي حكيم علمه والورق
شبان وقلمه والبرق سيان كان اول حاله علما في ملته ومعلما لاهل قبلته

وعرف بالمنطق مع انه بعض علومه ومن جملة ما دخل من الخصايص في عمومه واضاف له من الادب لمع تممت فضايله ونمت هلاله والبدور الكوامل متضايله قال ابن ابي اصيبعة انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته وكان اوحد دهره في مذهب النصارى اليعقوبية وكان كثير الكتابة وكتب تفسير الطبري مرتين وقال لعهدي بنفسي اكتب في اليوم والليلة مايه ورقة واقل واوصى ان يكتب على قبره

رب ميت قد صار في العلم حيا ومبقى قد مات جهلا وغيا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودا لا تعدوا الحياة في الجهل شيا

ومنهم ابو بكر محمد بن زكرياء الرازي لم يبق علم ما اتى منه بحذق ولا عالم الا ولديه حبوه تفنن في انواع العلوم فقرا منها ما اوقر حمل خاطره وملا اناه ماطره وكان فكره المقترح شرر زناد ونظره الملتمح شرك ازدياد وفضله المتنوع جمع المذاهب جماع المحاسن الذواهب واكثر النقل يقف عنده سلسلته واعمق المشكل به تعرف مسالته قال ابن ابي اصيبعة مولده ومنشاوه بالري وسافر الى بغداذ واقام بها مدة وكان نهما في العلوم العقلية مشتغلا بها وتعلم الادب ونظم الشعر قال وكان سبب تعلمه الطب انه لما اتى مدينة السلام دخل البيمارستان العضدي فراى الصيدلاني به فساله عن الادوية وممن كان المظهر لها فقال له ان اول ما عرف منها حي العالم وذلك ان رجلا كان به ورم حار في ذراعه فلما اشفى منه ارتاح الى الخروج الى شاطي نهر فحمل اليه وكان عليه نباته فوضع يده عليه تبردا به فخف المه بذلك فاستطال وضعها عليه ثم اصبح ففعل ذلك فبرا فلما راى الناس سرعة برؤه علموا انه انما كان بما وضع يده عليه فسموه حياة العالم ثم جففوه ثم لم يزل الرازي

يسال حتى حسن له التعليم فتعلم قال والذي صح عندي ان الرازي كان اقدم زمانا من عضد الدولة بن بويه وانما كان تردده الى المارستان قبل ان يجدد وقال ابن جلجل ان الرازي كان في ابتداء امره يضرب بالعود ثم اكب على النظر في الفلسفة والطب فبرع براعة المتقدمين وقال صاعد انه لم يوغل في العلم الالهي ولا فهم غرضه الاقصى فاضطرب رايه وتقلد اراء سخيفة وانتحل مذاهب خبيثة وذم اقواما لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم وكان يتنقل في البلدان وكان كريما متفضلا بارا بالناس محسنا الى الفقراء يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم وكان لا يفارق التسويد والتبييض وكان في بصره رطوبة لكثرة اكل الباقلاء ثم عمي اخر عمره قال التنوخي ان غلاما قدم الري وهو ينفث الدم فاحضر اليه الرازي فلم تظهر له علايم سل ولا قرحة فساله متى بدا به المرض فقال من الطريق فساله عن المياه التي شربها في طريقه فاخبره انها من الصهاريج ومستنقعات الارض فوقع في نفس الرازي انه ابتلع علقة وان نفث الدم منها فقال له اذا كان في غد جيتك فداويتك ثم لا انصرف عنك حتى تبرا بشرط ان تامر غلمانك ان يطيعوني فيك بما امرهم فقال نعم فلما اصبح اتاه بطحلب كثير وقال له ابتلع هذا فابتلع يسيرا ثم قال لا استطيع فامر الغلمان بان ينيموه على قفاه ويفتحوا فاه ثم جعل يبلعه الطحلب كرها ويطالبه ببلعه والرجل يستغيث والرازي لا يكف الى ان ذرع الرجل القيء فقذف ما في جوفه واذا به قد اعتلقت به العلقة لان الطحلب لما وصل اليها رمت اليه بالطبع والتفت عليه ثم قام الرجل معافى وقال ابن معروف كان الرازي يقول انا لا اسمي فيلسوفا الا من علم صناعة الكيمياء لانه يكون قد استغنى عن الناس وتنزه عما في ايديهم وحكي ان الوزير

اكل عند الرازي اطعمة استطابها فتحيل في مشتري طباخته ثم لم تجد بطبخها
له ما في نفسه فسالها عن السبب فاخبرته ان قدور الرازي وماعونه كله
ذهب وفضة فساله ان يعلمه علم الكيمياء فانكره فخنقه بوتر ؛ ومن كلامه
قوله الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بالكتب دون عمل الحكيم الماهر برايه
خطر ؛ وقوله العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض فعليك بالاشهر
مما اجمع عليه واقتصر على ما جربت ؛ وقوله الامراض الحادة اقتل من الباردة
لسرعة حركة النار ؛ وقوله ينبغي للطبيب ان يوهم المريض ابدا الصحة وان كان
غير واثق بها فمزاج البدن تابع لاخلاق النفس ؛ وقوله ينبغي للمريض ان يقتصر
على واحد يثق به من الاطباء فخطاؤه في جنب صوابه يسير جدا ؛ وقوله من تطبب
عند كثير من الاطباء يوشك ان يقع في خطاء كل واحد منهم ؛ وقوله بانتقال الكواكب
الثابتة في الطول والعرض تنتقل الاخلاق والمزاجات ؛ وقوله ان استطاع الحكيم
ان يعالج دون الادوية فقد وافق السعادة ؛ ومن شعره

لعمري ما ادري وقد اذن البلى بعاجل ترحالي الى اين ترحالي
واين محل الروح بعد خروجها من الهيكل المنحل والجسد البالي

ومنهم ابو سليمان السجستاني حكيم حكى من فضله العجايب
وجنى من نخله بالسحايب وبعد في العلم الجم قلبه وسعد بالسقيا به بعيده
وقريبه انبعث طبه في الهيكل انبعاث النفوس في الابدان والشموس في البلدان
ولم يزل حتى اطلع بعلم واضطلع من كل مهم فاستعطفت الاجسام ارواحها
واستكفت المنايا رماحها فاضحت به الصحة مضمونه والسلامة محققة
وكانت مظنونه اللهم الا ما آن لبقية انظرت وآجال بها علمت نفس ما احضرت
وتلك العقرب التي لا يتوقى لها دبيب والداء الذي اعيا دواءه كل طبيب

قال ابن ابي اصيبعة هو ابو سليمن محمد بن طاهر بن بهرام المنطيقي
كان متقنا للعلوم الحكمية مطلعا على دقايقها واجتمع بيحيى بن عدي واخذ عنه
وكان له نظر في الادب وشعر ومنه قوله

لا تحسدن على تظاهر نعمة شخصا تبيت له المنون بمرصد
او ليس بعد بلوغه آماله يفضي الى عدم كان لم يوجد
لو كنت احسد ما تجاوز خاطري حسد النجوم على البقاء السرمدي

وقوله

الجوع يدفع بالرغيف اليابس فعلام اكثر حسرتي ووساوسي
والموت انصف حين ساوى حكمه بين الخليفة والفقير البايس

وقوله

اصبحت رمة تزايل عنها فضلها الجوهري والعرضي
وتلاشى كيانها الحيواني واودى بيانها المنطقي
والحواس الخمس التي كن فيها ولادراكهن فعل وحي
ذهبت تلكم الصفات جميعا ومحال ان يذهب الازلي

ومنهم ابن الخمار وهو ابو الخير الحسن بن سوار بن بابا طبيب
شفى طبه الامراض وكفى قربه منافيا للاعراض لم يوجد في كلامه الفضول
ولم يوجد الا الفضول وقع بحدسه الصايب على الوجع واستعاد ذاهب الصحة
وارتجع واحسن الاستدلال بالعلامات والاستقلال بعلاج من حيي ومات
ولم يزل وما ان طر شاربه ولا استقل بحمله غاربه مكبا على الطلب وقد
وكل به منه طرفا لا يهجع وانسان عين يسوى فقد النظر لا يفجع حتى
انتقلت الى احناء صدره تلك الاوقار وبقي على هذا حتى تقضت تلك اللبانات

والأوطار قال ابن ابي اصيبعة كان نصرانيًا عالمًا باصول صناعة
الطب وفروعها خبيرًا بغوامضها كثير الدراية لها ماهرًا في الحكمة
وكان في نهاية الذكاء والفطنة قال ابن رضوان في حل شكوك
الرازي على جالينوس ما هذا نصه كما فعل في عصرنا هذا الحسن بن سوار بن
بابا المعروف بابن الخمار فانه وصل بالطب الى ان قبّل له محمود الملك
الارض وكان محمود عظيمًا جدًا وذلك ان هذا الرجل فيلسوف حسن
العقل حسن المعرفة حسن السياسة لفقهاء الناس ورؤساء العوام والعظما
والملوك وكان اذا دعاه زاهد مشى اليه راجلًا وقال له جعلت هذا المشي
كفارة لمزوري الى اهل الفسق والجبابرة واذا دعاه السلطان ركب اليه
في زي الملوك والعظماء حتى ربما صحبه ثلث مائة غلام يركب الخيل الجياد
بالملابس البهية ووفى الصناعة حقها في اللين للضعفاء والتعاظم على العظماء
وهذه كانت طريق ابقراط وجالينوس وغيرهما من الحكماء

ومنهم ابو الفرج ابن هندو منقب عن البيان يكشف خباءه
ويبعث له في كل معنى نشاءه ويبعث فيه روحًا كانه يحس لكل فكرة نباءه
ويفتق لحام الادب فقل كزرع اخرج شطاءه له سر دقيق فتن الناس
وخمر رحيق يذهب بالباس لا كالتي تدخل بالالتباس على الحواس وسحر
يستلذه الذوق وينقطع عنده القياس لو ان للدهر رقته لان قاسيه
او للجاني ذكر العهد ناسيه او للامل القى الى قبضة اليد مراسيه وما
اعيى شهاده ولا امير الحسنى الا امتاز بزياده وكانت بضاعته من
الطب غير مزجاه وصناعته تحقق للمتطبب ما يرجاه لفضل تجلبب
بشعاره وجلب زيادة الحكمة الى اشعاره وعلو همته الى علومها وقراءة

مادة كل علم على عليمها الى ان جنى ثمر الفنون وجرب كل شيء ولم يقدر على دفع
المنون وكان له بالخدم في صناعة الكتابة ارتزاق وببيست بضاعة ارزاق
الا انه لم يقدر عليه بها قوته وما كان للمرء لا يفوته وبقي على تعلاته واختلاف
علاته الى ان اتاه هادم الاعمار ووافاه قادم الموت مبسوط الاعذار قال
ابن ابي اصيبعة هو الاستاذ السيد الجليل ابو الفرج علي بن الحسين بن
هندو ومن الاكابر المتميزين في علوم الحكمة والامور الطبية والفنون الادبية
له الالفاظ الرايقة والاشعار الفايقة والتصانيف المشهورة والفضايل
المذكورة وكان يتخدم بالكتابة واشتغل على ابن الخمار وكان من افضل المشتغلين
عليه وقال الثعالبي في اليتيمة فيه هو مع ضربه في الاداب
والعلوم بالسهام الفايزة وملكه رق البلاغة والبراعة فرد الدهر في الشعر
وواحد اهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ونظم القلايد وترصيع الفرايد
مع تهذيب الالفاظ البليغة وتقريب الاغراض البعيدة ويذكر الذين يسمعون
ويرون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون وانشد له قوله

يقولون لي ما بال عينيك اذ رات محاسن هذا الظبي ادمعها هطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه فكان لها من صوب ادمعها غسل

وقوله

قوض خيامك عن ارض تضام بها وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كانت الاوطان منقصة فالمندل الرطب في اوطانه حطب

وقوله

ان رحت عن بلدة غدوت الى اخرى فما تستقر احمالي
كانني فكرة الموسوس لا تبقى مدى لحظة على حال

وقوله

ما للمعيل وللمعالي انها تسمو الیهن الوحيد الفارد
فالشمس بجنات السماء فريدة وابو بنات النعش فيها راكد

وقوله

قالوا اشتغل عنهم حينا بغيرهم وخادع النفس ان النفس تنخدع
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواه فيه متسع

وقوله

عارض ورد الخدود وجنته فاتفقا في الجمال واختلفا
يزداد بالقطف ورد وجنته وينقص الورد كلما قطفا

وقوله

تمنيت من اهوى فلما لقيته بهت فلم املك لسانا ولا طرفا
وقد كان في قلبي امور كثيرة فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا

وقوله

عابوه لما التحى فقلنا عبتم وغبتم عن الجمال
هذا غزال ولا عجيب تولد المسك في الغزال

وقوله

لا يوئسنك من مجد تباعده فان للمجد تدريجا وترتيبا
ان القناة التي ابصرت رفعتها تنمي وتصعد انبوبا فانبوبا

وقوله

تقول لو كان عاشقا دنفا اذا بدت صفرة خديه
لا تنكريه فان صفرته غطت عليه دماء عينيه

وقوله

كم من مليح على اذاه يستل من فكه حساما
صب قذا القول في صماخي فصار حلمي له فداما

وقوله

يسر زماني ان اناط بجهده وآنف ان اعزا اليه بجهله
ويعجبني ان اخرتني صروفه فتاخيرها الانسان برهان فضله
فاثارا بنا قايم السيف كلما تقلده الانسان قدام نصله

وقوله

اوحي لعارضه العذار فما ابقى على روعي ولا نسكي
فكان نملا قد دببن به غمست اكارعهن في مسك

وقوله

يا شعرات جميعها فتن تتيه في كنه وصفها الفطن
ما تميزوا من عذاره سفها قد كان غصنا فاورق الغصن

وقوله

رب روض خلت اذريونه لما توقد
ذهب اشعل مسكا في كوانين زبرجد

وقوله

عجبت لقولنج للامير واني ومن اين قد جاءه
وفي كل يوم له حقنة تفرغ بالزيت امعاءه

ومنهم الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين ابن علي بن سينا رجل الدنيا وواحدها وعديم النظراء وواجدها ولد المعاني

وولدها وعقم القرايح وواْدها لايجيء ارسطومنه سينه ولا افلاطون
في جبلته طينه لو انه في زمن اليونان لجلس في صدر الرواق ولا ستقلت
طوايف المشايين حوله المشي على الاحراق لعلم جمع بين علوم الاسلام واليونان
ووقع على ما لا يلتقط مثله من الافنان ولم يقنع الا بجل عباب ولا رضي من
جنات التصانيف حتى دعي اليها من كل باب لو قرن به الفارابي لفر او الكندي
لما كد نفسه ولا كر بل لو تقدم في عصور الاوايل لتكلم وسكت كل قايل
واقر كل طاير الصيت بانه ما هو عنده طايل علم اعلام وحملى كلام ومالك طروس
واقلام شعلة ذكاء لم يبق شرق ولا غرب حتى اضاء فيه شعاعها وامتد
اليه شراعها واشرقت عليه شمسها وانبسطت به شمسها وعلى عليه
صيتها وغل به عفريتها ومشت فيها الحكماء على قانونه وراءت الشفاء
بمضمونه وعرفت الحكم باشاراته وسلكت مثل النحل سبلها ذللا بعباراته
وعلمت انه فيلسوف الاسلام والمسلم اليه في كل علم بسلام والمقدم في
سائر الطبقات والمعظم على الاوقات والمحترم من العلم المحترم اليه في الميقات
كان ندرة في العالم وزهرة في بني آدم والمفاض عليه من العلوم ما لا تزجر
بحار ولا يزخر الا لج فوايد فرايده وصدره بحار منبع العلم وموضع الحلم
ومرتع الفضايل ومربع الكرم ووسمي الربيع متضايل اعجوبة الزمان وغريبة
آل سامان فخرت دولة ما وراء النهر منه بوزير شرف دستها وصرف
بجمعه لجهات الممالك شتها وتقلد امورها وقلد المنة بولايته اميرها وترتبا
بزي ارباب الدول واصبح في اصحاب الخول واقتنى الغلمان الاتراك ووقع
بالحب في الاشراك وكان غلمانه يلبسون الديباج المنسوج بالذهب ويشدون
مناطق الذهب المرصعة بالجواهر ويزهر بهم جلوته وتعمر خلوته يبيت

معهم الليالي في الحمام ويبادر بتنعمه بهم صروف الحمام حتى قال له ملكه
كيف تنهانا عن الاتيان في الحمام فقال لان الملك يحب ان يعيش طويلا وانا احب
ان اعيش طيبا وكان لا يملك صبرا عن غلمانه ولا يشغل الا بهم فراغ زمانه حتى
كانوا سبب حمامه وجلب سمامه وكان السبب في قتلتهم ومرشدهم في هذا الى
ضلتهم انهم سرقوا له مالا جليلا ثم خافوه وسئموا فعله الطويل بهم وعافوه
فشابوا له درياق مثرود يطوس كان يستعمله لسم اتى الا انه يقتله فتعلل
به عامه حتى ساق الاجل اليه حمامه وكانت الوزارة نقصا عيب به والتفت
الحكماء السنتها فيه بسببها وقالوا اذل العلم ورضي من الفانية بالاستكثار
فقال لي اسوة بارسطو في صحبة الاسكندر وفيما قاله نظر لان ارسطو كان
معلما للاسكندر ومشيرا وابن سينا كان متملقا ووزيرا قال
ابن ابي اصيبعة هو اشهر من ان يذكر وفضايله اعظم من ان تسطر قال
ونحن نقتصر من وصفه على قدر ما ذكره عن نفسه ووصفه ابو عبيد الجوزجاني
صاحبه من احواله والذي ذكره هو قال كان ابي رجلا من اهل بلخ وانتقل
الى بخارا في ايام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف وتولى العمل في اثناء ايامه
بقرية يقال لها خرميثن من ضياع بخارا وهي من امهات القرى وبقربها قرية
يقال لها افشنه وتزوج منها بوالدتي وقطن بها وسكن وولدت منها بها ثم
ولدت اخي بها ثم انتقلنا الى بخارا واحضرت معلم القرآن والادب واكملت العشر
من العمر وقد اتيت على القرآن وعلى كثير من الادب حتى كان يقضى مني العجب
وكان ابي ممن اجاب داعي المصريين وتقبل مذهب الاسماعيلية وقد سمع منهم ذكر
النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك اخي وربما كانوا
يذكرونه بينهم وانا اسمع وادرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي وابتدأوا يدعونني

اليه ويجرون على السنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند واخذ
يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى اتعلمه منه ثم جاء
الى بخارا ابو عبد الله البابلي وكان يدعي التفلسف فانزله ابي الى دارنا رجاء
تعليمي منه وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه والتردد فيه الى اسمعيل الزاهد
وكنت من اجود السالكين وقد الفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب
على الوجه الذي جرت عادة القوم به ثم ابتدات بكتاب الساغوجي على البابلي
ولما ذكر لي حد الجنس انه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما
هو واخذته في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل التعجب وحذروا
الذي من شغل بغير العلم وكان اي مسالة قالها لي اتصورها خيرا منه حتى
قرات ظواهر المنطق عليه واما دقايقه فلم يكن عنده منها خبر ثم اخذت اقرا
الكتب على نفسي واطالع الشروح حتى احكمت علم المنطق وكذلك كتاب اوقليدس
فقرات من اوله خمسة اشكال او ستة عليه ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب
باسره ثم انتقلت الى المجسطي ولما فرغت من مقدماته وانتهيت الى الاشكال
الهندسية قال البابلي تولى قراتها وحلها بنفسك ثم اعرضها علي لابين لك
صوابه من خطايه وما كان الرجل يقوم بالكتاب فاخذت احل ذلك الكتاب
فكم من شكل ما عرفه الى وقت ما عرضته عليه وفهمته اياه ثم فارقني البابلي
متوجها الى كركانج واشتغلت انا بتحصيل الكتب في الفصوص والشروح
من الطبيعي والالهي فصارت ابواب العلم تنفتح علي ثم رغبت في علم الطب وصرت
اقرا الكتب الصعبة فيه وعلم الطب فليس من العلوم الصعبة فلا جرم
اني برزت فيه في اقل مدة حتى بدا فضلاء الطب يقرون علي علم الطب وتعاهدت
المرضى فانفتح علي من ابواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف

وانا مع ذلك اختلف الى الفقه واناظر اليه وانا في هذا الوقت من ابناء ستة عشر
سنة ثم توفرت على العلم والقراآت سنة ونصف فاعدت قراءة المنطق وساير
اجزاء الفلسفة وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت في النهار
بغيره وجمعت بين يدي ظهورا فكل حجة انظر فيها اثبت مقدمات قياساته ورتبتها
في الظهور ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق
لي حقيقة الحق في تلك المسئلة وكلما كنت اتحير في مسئلة ولم اكن اظفر بالحد
الاوسط في قياس ترددت الى الجامع وصليت وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح
الى المنغلق وتيسر المتعسر وكنت ارجع بالليل الى داري واضع السراج بين
يدي واشتغل بالقراءة والدرس والكتابة فمهما غلبني النوم او شعرت بضعف
عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ثم ارجع الى القراءة
ومهما اخذني ادنى نوم احلم بتلك المسايل اتضح لي وجوهها في المنام وكذلك
حتى استحكم معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني وكلما
علمته في ذلك الوقت فهو الذي علمته لم ازدد فيه الى اليوم حتى احكمت علم
المنطق والطبيعي والرياضي ثم عدلت الى الالهي وقرات كتاب ما بعد الطبيعة
فما كنت افهم ما فيه والتبس علي غرض واضعه حتى اعدت قراءته اربعون
يوما وصار لي محفوظا وانا مع ذلك لا افهم المقصود به وايست من نفسي
وقلت هذا كتاب لا سبيل الى فهمه واذا انا في يوم من الايام حضرت وقت
العصر في الوراقين وبيد الدلال مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته متبرم
معتقد ان لا فايدة في هذا العلم فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص ابيعكه
بثلثة دراهم وصاحبه محتاج الى ثمنه فاشتريته واذا هو كتاب لابي نصر
الفارابي في اغراض كتاب ما بعد الطبيعة فرجعت الى بيتي فاسرعت قراته

فانفتح علي في هذا الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انه كان لي محفوظا علي
ظهر القلب وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشي كثير علي الفقراء شكرا
لله عز وجل وكان سلطان بخارا في ذلك الوقت نوح بن منصور واتفق له
مرض يلح الاطباء فيه وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر علي العلم والقراءة فاجروا
ذكري بين يديه وسالوه احضاري فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته
فسالته يوما الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب
الطب فاذن لي فدخلت دارا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق من الكتب
منضدة بعضها علي بعض في بيت منها كتب العربية والشعر وفي اخر الفقه وكذلك
في كل بيت كتب علم مفرد وطالعت فهرست كتب الاوايل وطلبت ما احتجت اليه
منها ورايت من الكتب ما لا يقع اسمه علي كثير من الناس قط وما كنت رايته من
قبل ولا رايته ايضا من بعد فقرات تلك الكتب وظفرت بفوايدها وعرفت
مرتبة كل رجل في علمه فلما بلغت ثمانية عشر سنة من عمري فرغت من هذه
العلوم كلها وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ولكنه اليوم معي انضج والا فالعلم واحد لم
يتجدد لي بعده شي وكان في جواري رجل يقال له ابو الحسين العروضي فسالني
ان اصنف له كتابا جامعا في هذا العلم فصنفت له المجموع وسميته به واتيت فيه
علي ساير العلوم سوي الرياضي ولي اذ ذاك احد وعشرون سنة من عمري وكان
في جواري ايضا رجل يقال له ابو بكر البرقي خوارزمي المولد فقيه النفس متوحد في
الفقه والتفسير والزهد مايل الي هذه العلوم فسالني شرح الكتب فصنفت له
كتاب الحاصل والمحصول في قريب من عشرين مجلد وصنفت له في الاخلاق كتابا
سميته كتاب البر والاثم وهذان الكتابان فلا يوجدان الا عنده ولم يعر احدا ان
ينسخ منه ثم مات والدي وتصرفت بي الاحوال وتقلدت شيا من اعمال السلطان

ودعتني الضرورة الي الاخلال ببخارا والانتقال الي كركانج وكان ابو الحسين
المحب لهذه العلوم بها وزيرا وقدمت علي الامير بها وهو علي بن المامون وكنت علي
زي الفقهاء اذ ذاك بطيلسان تحت الحنك واسوا لي مشارفه داره تقوم
بكفاية مثلي ثم دعت الضرورة الي الانتقال الي نسا ومنها الي مازر ومنها الي
طوس ومنها الي سمنقان ومنها الي جاجرم راس حد خراسان ومنها الي جرجان
وكان قصدي الامير قابوس فاتفق في اثناء هذا اخذ قابوس وحبسه في بعض القلاع
وموته هناك ثم مضيت الي دهستان ومرضت بها مرضا صعبا وعدت الي جرجان
فاتصل ابو عبيد الجرجاني وانشدت في حالي قصيدة فيها بيت القايل

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا ثمني عدمت المشتري

قال ابو عبيد الله الجرجاني فهذا ما حكاه لي الشيخ من لفظه ومن
ههنا شاهدت انا من احواله كان بجرجان رجل يقال له ابو محمد الشيرازي يحب
هذا العلم وقد اشتري للشيخ دارا في جواره انزله بها وانا اختلف اليه في كل يوم
اقرا المجسطي واستملي المنطق وصنف لابي محمد الشيرازي كتاب المبدا
والمعاد • وكتاب الارصاد الكلية • وصنف هناك كتبا كثيرة كاول القانون •
ومختصر المجسطي • وكثيرا من الرسايل ثم صنف في ارض الجبل بقية كتبه كتاب
المجموع مجلد • الحاصل والمحصول عشرون مجلدا • الانصاف عشرون مجلدا • البر
والاثم مجلدان • الشفاء ثمانية عشر مجلدا • الارصاد الكلية مجلد • النجاة ثلث مجلدات •
الهداية مجلد • المختصر المتوسط مجلد • العلاي مجلد • القولنج مجلد • لسان العرب عشر
مجلدات • الادوية القلبية مجلد • بعض الحكمة المشرقية مجلد • بيان ذوات الجهة
مجلد • كتاب المعاد مجلد • كتاب المبدا والمعاد مجلد • ومن رسايله القضاء
والقدر • الالة الرصدية • عرض قاطيغورياس • المنطق بالشعر • قصايد في العظمة •

والحكمة في الحروف • تعقب المواضع الجدليه • مختصر اوقليدس • مختصر في النبض
بالعجميه • الحدود • الاجرام السماويه • الاشارة الي علم المنطق • اقسام الحكمة • في
النهايه والانهايه • عهد كتبه لنفسه • حي ابن يقظان • في ان ابعاد الجسم
غير ذاتيه له • خطب الكلام في الهندبا • في انه لا يجوز ان يكون شي واحد
جوهريا وعرضيا • في ان علم زيد غير علم عمرو • ورسايل له اخوانيه وسلطانيه •
مسايل جرت بينه وبين بعض الفضلاء • ثم انتقل الي الري بخدمة السيدة وابنها
مجد الدولة وعرفوه بسبب كتب وصلت معه تتضمن تعريف قدره وكان
مجد الدولة اذ ذاك قد غلبته السودا فاشتغل بمداواته وصنف كتاب المبدا
والمعاد واقام بها الي ان قصد شمس الدولة بعد قتل هلال بن زيد بن حويه وهزيمة
عسكر بغداد ثم اتفقت له اسباب اوجبت بالضرورة خروجه الي قزوين
ومنها الي همذان واتصاله بخدمة كدبانويه والنظر في اسبابها ثم اتفق معرفة
شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج قد اصابه وعالجه حتي شفاه الله
وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة ورجع الي داره بعد ما اقام هناك اربعين يوما
بلياليها وصار من ندماء الامير ثم اتفق نهوض الامير الي قومين لحروب عناز
وخرج الشيخ في خدمته ثم توجه نحو همذان منهزما راجعا ثم سالوه تقلد الوزارة
فتقلدها ثم اتفق تشويش العسكر عليه واشفاقهم منه علي انفسهم فكبسوا
داره واخذوه الي الحبس واغاروا علي اسبابه واخذوا جميع ما كان يملكه وسالوا
الامير قتله فامتنع منه وعدل الي عز الدولة طلبا لمرضاتهم فتواري في دار الشيخ
ابي سعيد ابن دخدول اربعين يوما فتعاود الامير شمس الدولة القولنج وطلب الشيخ
يحضر مجلسه فاعتذر الامير اليه بكل الاعتذار فاشتغل بمعالجته فاقام عنده
مكرما مبجلا واعيدت الوزارة اليه ثانيا ثم سالته انا شرح كتب ارسطوطاليس

فذكر انه لا فراغ له في ذلك الوقت ولكن ان رضيت مني بتصنيف كتاب
اورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة مع المخالفين ولا الاشتغال
بالرد عليهم فعلت ذلك فرضيت به فابتدا بالطبيعيات من كتاب سماه كتاب
الشفا وكان قد صنف الكتاب الاول من القانون وكان يجتمع كل ليلة في داره
طلبة العلم وكنت اقرا من الشفا نوبه وكان يقرا غيري من القانون نوبه
وكان يقرا فاذا فرغنا حضر المغنون علي اختلاف طبقاتهم وهيي مجلس الشراب
بالاته وكنا نشتغل به وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ من النهار خدمه
للامير فقضينا علي ذلك زمنا ثم توجه شمس الدولة الي طارم لحرب الامير بها الدولة
وعاوده القولنج قريب ذلك الموضع واشتد عليه وانضاف الي ذلك امراض اخر
جلبها سوء تدبير وقلة القبول من الشيخ فخاف العسكر وفاته فرجعوا طالبين به
همذان في المهد فتوفي في الطريق في المهد ثم بويع ابن شمس الدولة وطلبوا استيزار
الشيخ فابي عليهم وكاتب علا الدولة سرا يطلب خدمته والمصير اليه والانضمام
الي جوانبه واقام في دار ابي غالب العطار متواريا وطلبت منه اتمام كتاب
الشفا فاستحضر ابا غالب وطلب الكاغد والمحبرة فاحضرهما وكتب الشيخ في عشرين
جزء علي ثمن بخط روس المسايل وبقي فيه يومين حتي كتب روس المسايل
كلها بلا كتاب يحضره ولا اصل يرجع اليه بل من حفظه وعن ظهر قلبه ثم ترك
الشيخ تلك الاجزاء بين يديه واخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسالة ويكتب شرحها
وكان يكتب في كل يومين خمسين ورقة حتي اتي علي جميع الطبيعيات والالهيات
ما خلا كتابي الحيوان والنبات وابتدا بالمنطق فكتب منه جزءا ثم اتهمه تاج الملك
بمكاتبته علا الدولة فانكر عليه ذلك وحث في طلبه فدل عليه بعض اعدائه
فاخذوه وادوه وارسلوه الي قلعة يقال لها فردجان وانشد هناك قصيدة منها

دخولي باليقين كما تروه وحل الشك في امر الخروج
وبقي فيها اربعة اشهر ثم قصد علاء الدولة همذان فاخذها وانهزم تاج الملك
ومر الي تلك القلعة بعينها ثم رجع علاء الدولة عن همذان وعاد تاج الملك
وابن شمس الدولة الي همذان ونزل في دار العلوي واشتغل هناك بتصنيف
المنطق من كتاب الشفا وكان قد صنف بالقلعة كتاب الهدايات ورسالة
حي بن يقظان وكتاب القولنج واما الادوية القلبيه فانه صنفها اول وروده
الي همذان وكان قد تقضي علي هذا زمانا وتاج الملك في اثناء هذا يمنيه بمواعيد
جميله ثم عن للشيخ التوجه الي اصفهان فخرج متنكرا وانا واخوه وغلامان في
زي الصوفية الي ان وصلنا الي طبران علي باب اصفهان بعد ان قاسينا شدايد
في الطريق فاستقبلنا اصدقاء الشيخ وندماء الامير علاء الدولة وخواصه وحمل
اليه الثياب والمراكب الخاصه وانزل في محلة يقال لها كون كبيد في دار
عبد الله بن بيبي وفيها من الالات والفرش ما يحتاج اليه وحضر مجلس علاء الدولة
فصادف من منزلة الاكرام والاعزاز اللذين يستحقه مثله ثم رسم الامير علاء الدولة
ليالي الجماعات مجلس النظر بين يديه بحضره ساير العلماء علي اختلاف طبقاتهم
والشيخ في جملتهم فما كان يطاق في شيء من العلوم واشتغل باصفهان بتتميم
كتاب الشفا ففرغ من المنطق والمجسطي وكان قد اختصر اوقليدس والارثماطيقي
والموسيقي واورد في كل كتاب من الرياضات زيادات راي ان الحاجة اليها داعيه
اما في المجسطي فاورد عشرة اشكال في اختلاف المنظر واورد في اخر المجسطي
في علم الهيئة اشياء لم يسبق اليها واورد في اوقليدس شبها وفي الارثماطيقي
خواص حسنه وفي الموسيقي مسايل غفل عنها الاولون وتم الكتاب المعروف
بالشفا ما خلا كتابي النبات والحيوان فانهما صنفهما في السنة التي توجه فيها

علاء الدولة الي سابورخواست في الطريق وصنف ايضا في الطريق كتاب
النجاه واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه الي ان عزم علاء الدولة قصد همذان
وخرج الشيخ في الصحبة فجري ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الواقع في
التقاويم المعمولة بحسب الارصاد القديمة فامر الامير الشيخ بالاشتغال
برصد هذه الكواكب واطلق له من الاموال ما يحتاج اليه وابتدا الشيخ به وولاني
اتخاذ الاتها واستخدام صناعها حتي ظهر كثير من المسايل فكان يقع الخلل في امر
الرصد لكثرة الاسفار وعوايقها وصنف الشيخ باصفهان الكتاب العلاي ∴
وكان من عجايب امر الشيخ اني صحبته وخدمته خمسا وعشرين سنة فما رايته
اذا وقع له كتاب مجدد ينظر فيه علي الولا بل كان يقصد المواضع الصعبة منه
والمسايل المشكله فينظر ما قاله مصنفه فيتبين مرتبته في العلم ودرجته
في الفهم ∴ وكان الشيخ جالسا يوما من الايام بين يدي الامير وابو منصور الجباني
حاضر فجري في اللغة مسئلة تكلم الشيخ فيها بما حضره فالتفت ابو منصور الي
الشيخ وقال له انت تقول انك فيلسوف وحكيم ولكن لم تقرا من اللغة ما يرضي
كلامك فيها فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر علي درس كتب اللغة
ثلث سنين واستهدي كتاب تهذيب اللغة من خراسان تصنيف ابو منصور
الازهري فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قل ما يتفق مثلها وانشد ثلث قصايد وضمنها
الفاظا غريبة في اللغة وكتب ثلث كتب احدها علي طريقة ابن العميد والاخر
علي طريقة الصاحب والاخر علي طريقة الصابي وامر بتجليدها واخلاق جلدها ثم
اوعز الامير فعرض تلك المجلدة علي ابي منصور الجباني وذكر انا ظفرنا بهذه المجلده
في الصحراء وقت الصيد فيجب ان تتفقدها وتقول لنا ما فيها فنظر فيها ابو منصور
واشكل عليه كثير ما فيها فقال الشيخ ان ما تجهله من هذا الكتاب فهو المذكور

في الموضع الفلاني من كتب اللغة وذكر له كثيرا من الكتب فيما يورده من
اللغة المعروفة ففطن ابو منصور ان تلك الرسايل من تصنيف الشيخ
وان الذي حمله عليه ما جبهه به ذلك اليوم فتنصل واعتذر اليه ثم صنف الشيخ
كتابا في اللغة سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله الى البياض
حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي احد الى ترتيبه وكان قد حصل للشيخ
تجارب كثيرة فيما باشرها من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب القانون
من ذلك انه صدع يوما فتصور ان مادة تريد النزول الى حجاب راسه
وانه لا يامن من ورم يحصل فيه فامر باحضار ثلج كثير ودقه ولفه في خرقة
وامر بتغطية راسه بها ففعل ذلك حتى قوي الموضع وامتنع عن قبول
تلك المادة وعوفي ومن ذلك امراة مسلولة بخوارزم امرها ان لا تتناول
من الادوية سوى الخلنجبين السكري حتى تناولت على الايام نحو مايه من
وشفيت المراة وكان الشيخ قد صنف بجرجان المختصر الاصغر في المنطق
وهو الذي وضعه بعد ذلك في النجاة ووقعت نسخة الى شيراز فنظر فيها جماعة
من اهل العلم هناك فوقعت لهم الشبهة في مسايل منها فكتبوها على
جزء وكان القاضي بشيراز من جملة القوم فانفذ بالجزء الى ابي القاسم
الكرماني صاحب ابرهيم بن بابا الديلمي المشتغل بعلم المناظر واضاف اليه
كتابا الى الشيخ ابي القسم وانفذهما على يدي ركابي قاصد وساله عرض
الجزء على الشيخ ابي القسم فدخل على الشيخ عند اصفرار الشمس في يوم
صايف وعرض عليه الكتاب والجزء فقرا الكتاب ورده عليه وترك
الجزء بين يديه وهو ينظر فيه والناس يتحدثون ثم رجع ابو القسم وامرني
الشيخ باحضار البياض وقطع اجزاء منها فسدت خمسة اجزاء كل واحد منها

عشرة اوراق بالربع الفرعوني وصلينا العشاء وقدم الشمع فامر باحضار
الشراب واجلسني واخاه وامرنا بتناول الشراب وابتدا هو بجواب
تلك المسايل وكان يكتب ويشرب الى نصف الليل حتى غلبني واخاه النوم
فامرنا بالانصراف فعند الصباح قرع الباب فاذا رسول الشيخ يستحضرني
فحضرته وهو على المصلى وبين يديه الاجزاء الخمسة فقال خذها وصر بها الى
الشيخ ابي القسم الكرماني وقل له استعجلت في الاجابة عنها لئلا يتعوق
الركابي فلما حملته تعجب كل العجب وصرف الفتح واعلمهم بهذه الحالة وصار هذا
الحديث تاريخا بين الناس ووضع في الات الرصد ما لم يسبق اليه وصنف
فيها رسالة وبقيت انا ثمان سنين مشغولا بالرصد وكان غرضي تبين ما يحكيه
بطلميوس عن قصته في الارصاد فتبين لي بعضها وصنف الشيخ كتاب
الانصاف واليوم الذي قدم فيه السلطان مسعود الى اصفهان نهب
عسكره رحل الشيخ وكان الكتاب في جملة النهب وما وقف له على اثر وكان
الشيخ قوي القوى كلها وكانت قوة المجامعة من قواه الشهوانية اقوى
واغلب وكان الشيخ يعتمد على قوة مزاجه حتى صار امره في السنة التي
حارب فيها علا الدولة تاش فراش على باب الكرخ اخذ الشيخ قولنج ومن
حرصه على برؤه اشفاقا من هزيمة يدفع اليها ولا يتاتى له المسير فيها مع
المرض حقن نفسه في يوم واحد ثمان مرات فتقرح بعض امعايه وظهر به
سحج واحوج الى المسير مع علا الدولة فاسرعوا نحو ايذج فظهر به هناك
الصرع الذي كان يتبع علة القولنج ومع ذلك كان يدبر نفسه ويحقن نفسه لاجل
السحج ولبقية القولنج فامر يوما باتخاذ دانقين من بزر الكرفس في جملة
ما يحتقن به وخلطه به طلبا لكسر الرياح فقصد بعض الاطباء الذين كان يتقدم

يهوا اليه بمعالجته فطرح من بزر الكرفس خمسة دراهم لست ادري عمدًا فعله ام خطاءً لانني لم اكن معه فازداد السحج به من حدة ذلك البزر وكان المثروديطوس لاجل الصرع فقام بعض غلمانه وطرح شيئًا كثيرًا من الافيون فيه وناوله فاكله وكان سبب ذلك خيانتهم في مالٍ كثير من خزانته فتمنوا هلاكه ليامنوا عاقبة اعمالهم ونقل الشيخ كما هو الي اصفهان فلم يزل يعالج نفسه حتي قدر علي المشي وحضر مجلس علا الدوله لكنه مع ذلك لا يتحفظ ويكثر التخليط في امر المعالجة ولم يبر من العلة كل البرء فكان ينتكس ويبرا كل وقت ثم قصد علا الدولة همذان فسار معه الشيخ فعاودته في الطريق تلك العلة الي ان وصل الي همذان وعلم ان قوته قد سقطت وانها لا تفي بدفع المرض فاهمل مداواة نفسه واخذ يقول المدبر الذي كان يدبرني قد عجز عن التدبير والآن فلا تنفع المعالجة وبقي علي هذا اياما ثم انتقل الي جوار ربه ∴

وكان عمره ثلثا وخمسين سنةً وكان موته في سنة ثمان وعشرين واربع مايه وكان ولادته في سنة خمس وسبعين وثلث مايه هذا آخر ما ذكره ابو عبيد من احوال الشيخ الرئيس رحمه الله وقبره تحت السور من جانب القبلة من همذان وقيل انه نقل الي اصفهان ودفن في موضع علي باب كونكند ∴ ولما مات ابن سيناء من القولنج الذي قال فيه بعض اهل زمانه

رايت ابن سيناء يعادي الرجال • وبالحبس مات اخس الممات •

فلم يشف ما ناله بالشفاء • ولم ينج من موته بالنجاة •

وقوله بالحبس يعني انحباس البطن من القولنج الذي اصابه والشفا والنجاه يريد الكتابين من تاليفه وقصد بهما بعض ضد فايه وهو ابو سعيد ابن ابي الخير الصوفي ∴ ومن كلامه قال ليكن الله تعالي اول فكرك وآخره وباطن اعتبارك

وظاهره ولتكن عين نفس الرجل مكحولة بالنظر اليه وقدمها موقوفة على المثول بين يديه مسافرًا بعقله في الملكوت الاعلي وما فيه من ايات ربه الكبري واذا انحط الي قراره فلينزه الله تعالي في اثاره فانه باطن ظاهر تجلا لكل شي بكل شي

ففي كل شي له اية • تدل علي انه واحد •

فاذا صارت هذه الحال له ملكة انطبع فيها نقش الملكوت وتجلي له قدس اللاهوت فالف الانس الاعلي وذاق اللذة القصوي واخذ عن نفسه من هو بها اولي وفاضت عليه السكينه وحفت به الطمانينه وتطلع علي العالم الادني اطلاع راحم لاهله مستوهن لحبله مستخف لثقله مستخشن به لعقله مستطل لطرقه ويذكر نفسه وهي بها لهجه وببهجتها بهجه فيتعجب منها ومنهم تعجبهم منه وقد ودعها وكان معها كان ليس معها وليعلم ان افضل الحركات الصلاه وامثل السكنات الصيام وانفع البر الصدقه وازكي العمل الاحتمال وابطل السعي المرايا ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت الي قيل وقال ومنافشه وجدال وانفعلت بحالٍ من الاحوال وخير العمل ما صدر عن خالص نيه وخير النيه ما ينفرج عن جناب علم والحكمة ام الفضايل ومعرفة الله اول الاوايل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ثم يقبل علي هذه النفس المزينه بكمالها الذاتي فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيات الانقياديه للنفوس المواديه التي اذا بقيت في النفس المزينه كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال اذ جوهرها غير مشاوب ولا مخالط وانما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب بل تفيدها هيات الاستيلاء والاستعلاء والرياسه وكذلك يهجر الكذب قولًا وفعلًا حتي يحدث للنفس هيئة صدوقه فتصدق الاحلام والرويا واما اللذات فيستعملها علي اصلاح الطبيعة وابقاء الشخص والنوع

والسياسة اما المشروب فان يهجر شربه تلهيا بل تشفيا وتداويا
ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ويركب
لمساعدة الناس كثيرا مما هو خلاف طبعه ثم لا يقصر في الاوضاع الشرعية
ويعظم السنن الالهية والمواظبات علي التعبدات البدنيه ويكون دوام
عمره اذا خلا وخلص من المعاشرين يطربه الزينة في النفس والفكرة في
الملك الاول وملكه وكيس النفس عن عثار الناس من حيث لا يقف عليه الناس
عاهد الله انه يسير بهذه السيره ويدين بهذه الديانه والله ولي الذين امنوا
وحسبنا الله ونعم الوكيل ومن شعر الشيخ الرئيس قاله في النفس
وهي من احسن قصايده واشرفها

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت علي كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع
انفت وما انست فلما واصلت الفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهودا بالحمي ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتي اذا اتصلت بهاء هبوطها في ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت بين المعالم والطلول الخضع
وتظل ساجعة علي الدمن التي درست بتكرار الرياح الاربع
حتي اذا قرب المسير من الحمي ودنا الرواح الي الفضا الاوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف عنها حليف الترب غير مشيع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلاي شيء اهبطت من شاهق سام الي قعر الحضيض الاوضع
ان كان ارسلها الاله لحكمة طويت عن الفطن اللبيب الاورع
فهبوطها ان كان ضربة لازب ليكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها حتي لقد غربت بغير المطلع
فكانها برق تالق بالحمي ثم انطوي فكانه لم يلمع

وقال في الشيب والحكمة والزهد

اما اصبحت عن ليل التصابي وقد اصبحت عن ليل الشباب
تنفس في عذارك صبح شيب وعسعس ليله فكم التصابي
شهابك كان شيطانا مريدا فرجم في مشيبك بالشهاب
واسرب من تراه الدهر احوي علي فودي فالما بالغراب
عفا رسم الشباب ورسم دار لهم عهدي به لعبي ربابي
فذاك ابيض من قطرات دمعي وذاك اخضر من قطر السحاب
فذا يبغي اليك النفس نعيا وذلكم سرور للتراب
كذا دنياك ترأب لانصداع مغالطة وتبني للخراب
وتعلق مشمئز النفس عنها باشراك تعوق عن اضطراب
فلولاها لعجلت انسلاخي عن الدنيا وان كانت اهابي
عرفت عقوقها فسلوت عنها فلما عفتها اغربتها بي
بليت بعالم يعلو اذاه سوي صبري ويسفل عن عتابي
وليس للصواب خلاط قوم وكم كان الصواب سوي الصواب
فغالطهم ونفسي في مكان من العلياء عنهم في حجاب

ولست بمن يلطخه خلاط مني اعتبرت ابان عن تراب
اذا ماجت الابصار نالت خبالا واشمئزت عن لباب

وقال ايضا

خير النفوس العارفات ذواتها وحقيق كيميات ماهياتها
وبم الذي حلت وبم تكونت اعضاء بنيتها علي هياتها
نفس النبات ونفس حس ركبا هلا لذاك سماته كسماتها
يا للرجال لعظم رزء لم يزل منه النفوس تحنّ في ظلماتها

وقال ايضا

هذب النفس بالعلوم لترقي وذر الكل فهي للكل بيت
انما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت

وقال ايضا

صبها في الكاس صرفا غلبت ضوء السراج
ظنها في الكاس نارا فطفاها بالمزاج

وقال ايضا

قم فاسقنيها قهوة كدم الطلا يا صاح بالقدح الملا بين الملا
خمرا يظل لها النصارى سجدا ولها بنو عمران اخلصت الولا
لو انها يوما وقد ولعت بهم قالت الست بربكم قالوا بلى

نظر الي قوله تعالي في سورة الاعراف الست بربكم قالوا بلي وقال

نزل اللاهوت في ناسوتها كنزول الشمس في ابراج بوح
قال فيها بعض من هام بها مثل ما قالوا النصاري في المسيح
هي والكاس وما مازجها كاب متحد وابن وروح

وقال

شربنا علي الصوت القديم قديمة لكل قديم اول هي اول
ولو لم تكن في حيز قلت انها هي العلة الاولي التي لا تعلل

وقال ايضا وقيل انها للطغرائي

عجبا لقوم يحسدون فضائلي ما بين عانيّ الي عذالي
عتبوا علي فضلي وذموا حكمتي واستوحشوا من نقصهم وكمالي
اني وكيدهم وما عتبوا به كالطود يحقر نطحة الاوعال

وقال ايضا

اشكو الي الله الزمان بصرفه ابلي جديد قواي وهو جديد

وقال ايضا وقيل ان هذه الابيات اذا قيلت عند رؤية عطارد وقت شرفه فانها تفيد علما وخيرا

عطارد قد والله طال ترددي مساء وصبحا كي اراك فاغنما
فها انت فامددني لكي ادرك المنى واحوي العلوم الغامضات تكرما
وقني المحذور والشر كله بامر مليك خالق الارض والسما

ومنهم ابو الفرج عبد الله بن الطيب كاتب الجاثليق كان مع توسعه في الحكمة وتتبعه لسرجها المضية في كل ظلمه مصرا علي نصرانيته معظما لامور رهبانيته ينقاد الي خدعها ولا يخفي عليه انها ضلال ويتردد الي بيعها ولا يعتريه ملال ويعظم صورها الممثلة ويظل عليها عاكفا واليها عاطفا وهو علي يقين من انها لا تنطق ولا تمسك عليه من خراب رزقها ولا تنفق علي انه كان اماما في الطبيعي لا يعد وعلمه ولا يخاف عدمه فاما من ذكر سواه فكثيرا ما يجد من واساه ؛ ذكره ابن ابي اصيبعة

وقال هو الفيلسوف الامام العالم كان متميزا بين النصارى ببغداد ويقرئ الطب في البيمارستان العضدي جليل المقدار واسع العلم شرح كثيرا من كتب ارسطو وابقراط وجالينوس وكانت له قوة في التصنيف واكثر ما كانت تؤخذ عنه املاء من لفظه وكان الرئيس يحمده في الطب ويذمه في الحكمة وقال فيه وكان يقع الينا كتب يعملها الشيخ ابو الفرج ابن الطيب في الطب نجدها صحيحة مرضية خلاف تصانيفه في المنطق والطبيعيات وما يجري معها وحكى ابن القفطي ان رجلين اتيا من بلاد العجم للقراءة على ابن الطيب فقيل لهما انه في الكنيسة للصلاة فاتيا اليه في الكنيسة فوجداه لابسا ثوب صوف مكشوف الراس وبيده مبخرة فيها بخور وهو يدور في الكنيسة يبخرها فتاملاه وتحدثا بالفارسية واداما النظر اليه والتعجب من فعله هذا وهو من اجل الحكماء فانه راهما وفهم عنهما ما هما فيه فلما فرغ من شانه لبس ثيابه المعتادة وقربت له البغلة فركبها ومشت الغلمان حوله فتبعاه وسالاه ان يقريهما فقال لهما احججتما قط فقالا لا فقال لا اقريكما حتى تحجا فحجا ثم اتياه وقد علاهما الشحوب ورؤسهما محلقة فسالهما عن مناسك الحج وما فعلاه فيها فاخبراه بها فقال لهما لما رميتما الجمار بقيتما عراة موشحين وبايديكما الحجارة وانتما تهرولان وترميان بها قالا نعم فقال هكذا الامور الشرعية تؤخذ نقلا لا عقلا فعرفا قصده وعجبا منه ثم اشتغلا عليه وكانا من اجل تلامذته

ومنهم ابو الوليد محمد بن محمد بن المجلي الجزري المعروف بابن الصائغ اثري بالفضائل وما اكنزها واثار علوم الاوائل وما ركزها هذا مع ادب لا يرتق وطلب لم يبر له ثوب بمر لا يبتق وشعر هو شعاع بنت الزرجون وشعاع الفجر المتفرق تحت ازرار الدجون قال ابن ابي اصيبعة كان اماما

مشهورا وعالما مذكورا وفيلسوفا مميزا واديبا مبرزا ويعرف بالعنتري لانه كان في صباه يكتب احاديث عنترة العبسي ومن كلامه قوله تعلم العلم فانه لو لم ينل به من الدنيا الا الغنى عمن يستعبدك بحق او باطل تعلم العلم ليريك العالم يقادون بازمة الجهل الى الخطاء والصواب الجاهل عبد لا يعتق الا بالمعرفة الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت عن الحق الحكمة دواء من الموت الابدي الشخص بلا علم كالجسد بلا روح من احب ان ينطق باسمه فليكثر من العناية بعلمه العالم المحروم اشرف من الجاهل المرزوق الجاهل يطلب المال والعالم يطلب الكمال الغم ليل القلب والسرور نهاره وشرب السم اهون من معاناة الهم ومن شعره قوله

لو كنت تعلم كل ما علم الورى حقا لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب كل من يهوي خلاف هواك ليس بعالم
استحي ان العقل اصبح ضاحكا مما تقول وانت مثل النايم

وقوله

قد كشفت الاشياء بالفعل حتى ظهرت لي وليس فيها التباس
وعرفت الرجال بالعلم لما عرف العلم بالرجال الناس

وقوله

لا تدنين فتى يودك ظاهرا منه وضد وداده في طبعه
واهجر صديقك ان تنكر وده فالعضو يحسم داؤه في قطعه

وقوله

عدل مزاجك ما استطعت ولا تكن كمسوف اذى به التخليط
واحفظ عليك حرارة برطوبة تبقى فتركك حفظها تفريط

واعلم بانك كالسراج بقاؤه ما دام في طرف الذبال سليط
وقولــــه في مليح تنقل بالرمان على الخمر

تنقل الرمان اثر الطلا مخافة من ضرر السكر
كانه وهو خبير به يكسر الياقوت بالـدر

وقولــــه

رايت فوق الرئيس علجا اسود يعلوه كالحمار
يدفن في العاج آبنوسا ويولج الليل في النهار

وقولــــه

قد اقبلت عولة الصبايا تنظر من معلم النقاب
فقلت من اعظم الرزايا قفل على منزل خراب

وقالـــــــ

احفظ بني وصيتي واعمل بها فالطب مجموع بنص كلامي
قدم على طب المريض عناية في حفظ قوته مع الايام
بالسنه تحفظ صحة موجودة والضد فيه شفاء كل سقام
اقلل نكاحك ما استطعت فانه ماء الحياة يراق في الارحام
واجعل طعامك كل يوم مرة واحذر طعاما قبل هضم طعام
لا تحقر المرض اليسير فانه كالنار يصبح وهي ذات ضرام
واذا تغير منك حال ظاهر فاحتل لرجعة حل كل نظام
لا تهجرن القيء واهجر كلما كيموسه سبب الي الاسقام
ان الحمي عون الطبيعة مسعد شاف من الامراض والآلام
لا تشربن عقيبا كل عاجل اوتاكلن عقيب شرب مدام

والقيء يقطع والقيام كلاهما بهما وليس بنوع كل قيام
وخذ الدواء اذا الطبيعة كدرت بالاحتلام وكثرة الاحلام
اياك تلزم اكل شيء واحد فتقود نفسك للاذى بزمام
واذا الطبيعة منك نقت باطنا فدواء ما في الجلد بالحمام
وتزيد في الاخلاط ان نقصت به زادت فنقص فضلها بقوام
والطب جملته اذا حققته حل وعقد طبيعة الاجسام
ولعقل تدبير المزاج فضيلة ليشفي المريض بها وبالاوهام
وهي تروي للرئيس ابن سينا ولابن بطلان والصحيح انها لابي المويد

ومنهم ابن الخطيب الرازي ابن خطيب الري وهو محمد بن عمر بن الحسين ابو عبد الله الامام فخر الدين حبر الاعلام وبحر الكلام طالما اغص المناظر وخص بالعجب كل ناظر وقطف الكلام منورا وجلا سدف الظلام منورا ونظر في كل فن وحضر له تحقيق في كل ظن وجاء بحلية المناقب وزينة النجوم الثواقب وطاب بذكره كل سمر وصدق منه حديث ابن عمر هذا الي توفير الملوك لجنابه وتوفير خاطره الذي لو شاء لجني به وتعظيم حل به الذرى وحلي ببعضه الورى وخلى سهلا ما بين الثريا والثرى لعلم قصر من لببه ومسك الناس بسببه وجال ما بين الخافقين وجاب به فامتدت الجداول من منبعه وعدت يد الانواء دون اصبعه وسرى صيته والرياح رواكد وشرق في البلاد وغرب والنجوم الي الصباح رواصد وقطع في التصانيف النافعة شقق الايام العريضه وجعل جناح النسر في الليالي الطوال مثل جناح البعوضه حتي طافت الاقطار وطارت في كل مطار وها هي الآن ملتزمة في الايدي مثل خطوط الراح وفي نظر العيون مثل فلق الصباح وحدثني شيخنا قاضي

القضاه جلال الدين القزويني وقد جرى ذكره قال كانت الملوك تتقي حد لسانه
حتى احتاج صاحب الألموت الى اعمال الحيلة في مداراته وتسبب لمال قبله منه
واخافه لاستصلاح خاطره لانه كان لا يزال يبحث في فساد عقيدته وتزييف
اقواله فينفر الناس عن دعاته ويرد بالحرمان مساعي سعاته واذا كان هذا
فعله بصاحب الألموت وهو الذي كان من عاداه يموت فكيف كان من يتهيب
الآجال وما عنده الا نساء في زي رجال؛ ذكره ابن ابي اصيبعة فقال افضل
المتاخرين وسيد الحكماء المتقدمين قد اشرعت سيادته واشتهرت في الآفاق
مصنفاته وتلامذته وكان اذا ركب يمشي حوله نحو ثلث مايه تلميذ من الفقهاء
وغيرهم وكان خوارزم شاه ياتي اليه وكان ابن الخطيب شديد الحرص على تحصيل
العلوم الشرعية والحكمية جيد الفطرة حاد الذهن حسن العبارة كثير
البراعة قوي النظر في منازع الطب ومباحثه عارفا بالأدب وشعوبه وله شعر
بالعربي والفارسي وكان عبل البدن ربع القامه كبير اللحية وكان في صوته
فخامه وكان يخطب في بلدة الري وغيرها من البلاد ويتكلم على المنبر بانواع
من الحكمة وكان الناس يقصدونه من البلاد ويهاجرون اليه من كل ناحية على
اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فيما يشتغلون به فكان كل منهم يجد
عنده النهاية القصوى فيما يرومه وكان الامام فخر الدين قد قرأ الحكمة
على مجد الدين الجيلي بمراغه وكان مجد الدين هذا من الافاضل العظماء في زمانه وله
تصانيف جليلة وحكى لنا القاضي شمس الدين الخوبي عن الشيخ فخر الدين
ابن الخطيب انه قال والله اني لأتاسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت
الاكل فان الوقت والزمان عزيز وحدثني محيي الدين قاضي مرند قال لما
كان الشيخ فخر الدين بمرند اقام بالمدرسة التي كان ابي مدرسها وكان يشتغل

عنده بالفقه ثم اشتغل بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكمية وتميز حتى لم يكن
احد يضاهيه واجتمعت به ايضا بهمذان واشتغلت عليه قال وكان لمجلسه
جلالة عظيمة وكان يتعاظم حتى على الملوك وكان اذا جلس للتدريس يكون قريبا
منه جماعة من تلامذته الكبار مثل زين الدين الكشي والمصري والقطب وشهاب الدين
النيسابوري ثم يليهم بقية التلامذة وساير الخلق على قدر مراتبهم فكان من يتكلم
في شيء من العلوم يباحثونه اوليك التلامذة الكبار فان جرى بحث مشكل او معنى
غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه وتكلم في ذلك المعنى بما يفوق الوصف
وحدثني شمس الدين محمد الوتار الموصلي قال كنت في بلد هراه في سنة
ست وست مايه وقد كان قصدها فخر الدين ابن الخطيب من بلد باميان وهو في
ابهة عظيمة وحشم كبير فلما ورد اليها تلقاه السلطان بها وهو حسين بن خرميل
واكرمه اكراما كثيرا ونصب له بعد ذلك منبرا وسجادة في صدر الايوان ليجلس
في ذلك الموضع ويكون له يوم مشهود يراه فيه ساير الناس ويسمعون كلامه
وكنت ذلك اليوم حاضرا مع جماعة من الناس والى جانبي شرف الدين ابن عنين
الشاعر رحمه الله وذلك المجلس حفل جدا بكثرة الناس والشيخ فخر الدين في
صدر الايوان وعن جانبه يمنة ويسرة صفان من مماليكه الترك متكئين
على السيوف وجاء اليه السلطان حسين بن خرميل صاحب هراه فسلم وامره
الشيخ بالجلوس الى جانبه او قريبا منه وجاء اليه ايضا السلطان محمود ابن اخت
شهاب الدين الغوري صاحب فيروزكوه فسلم واشار اليه الشيخ بالجلوس في
موضع آخر قريبا منه من الناحية الاخرى وتكلم الشيخ في النفس بكلام عظيم وفصاحة
بليغة قال وبينما نحن عنده في ذلك الوقت واذا بحمامة تدور في الجامع
وخلفها صقر يكاد ان يقتنصها وهي تطير في جوانب الجامع الى ان عييت فدخلت

الايوان الذي فيه الشيخ ومرت طايرة بين الصفين الى ان رمت بنفسها عنده
فذكر لي شرف الدين ابن عنين انه عمل شعرًا على البديه ثم نهض لوقته
واستاذنه في ان يورد ما قاله في المعنى فامره الشيخ فقال

جاءت سليمن الزمان حمامة والموت يلمع من جناحي خاطف
من نبا الورقاء ان محلكم حرم وانك ملجا للخايف

فطرب لها الشيخ فخر الدين وادناه واجلسه قريبا منه وبعث اليه بعد ما قام من
مجلسه خلعة كاملة ودنانير كثيرة وبقي دايما يحسن اليه قال لي
شمس الدين الوتار لم ينشد قدامي لابن خطيب الري سوى هذين البيتين وانما
بعد ذلك زاد فيها ابياتا اخر هذا قوله وقد وجدت هذه الابيات المزادة
في ديوانه على هذا المثال

يا بن الكرام المطعمين اذا شتوا في كل مخمصة وثلج خاسف
العاصمين اذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج الراعف
من نبا الورقاء ان محلكم حرم وانك ملجا للخايف
وفدت اليك وقد تدانى حتفها فحبوتها ببقايها المستانف
ولو انها تحبا بمال لانثنت من راحتيك بنايل متضاعف
جاءت سليمن الزمان بشجوها والموت يلمع من جناحي خاطف
قرم لواه القوت حتى ظله باذايه يجري بقلب راجف

قال وما حكاه شرف الدين ابن عنين انه حصل من جهة فخر الدين
ابن خطيب الري وبجاهه في بلاد العجم نحو ثلثين الف دينار وقال ومن شعره
فيه قوله وسيرها اليه من نيسابور الى هراه ويهنيه فيها بكون السلطان
محمود خوارزم شاه ولاه امور الوقوف والمدارس في ساير بلاد السلطان

30

وهي مدن كثيرة يقول

ريح الشمال عساك ان تحملي خدمي الى صدر الامام الافضل
وقفي بواديه المقدس وانظري نور الهدى متالقا لا يا تلي
من دوحة فخرية عمرية طابت مغارس مجدها المتاثل
مكية الانساب زاك اصلها وفروعها فوق السماك الاعزل
واستمطري جدوى لديه فطالما حلف الحيا في كل عام ممحل
تغدو سحايبها تغم كما بدت لا يعرف الوسمي منها والولي
بحر تصدر في العلوم ومن راى بحرا تصدر قبله في محفل
ومتيم في الله يسحب للتقى والدين سربال العفاف المسبل
ما انثنت به بدع تمادى عمرها دهرا وكاد ظلامها لا ينجلي
فعلا به الاسلام ارفع هضبة ورسا سواه في الحضيض الاسفل
غلط امرء مالي على قياسه هيهات قصر عن مداه ابو علي
لو ان رسطاليس يسمع لفظة من لفظه لعرته هزة افكل
ويحار بطليموس لو لاقاه من برهانه في كل شكل مشكل
فلوانهم جمعوا اليه تيقنوا ان الفضيلة لم تكن للاول
وبه تبيت الحلم معتصما اذا هزت رياح الطيش صفحة يذبل
يعفو عن الذنب العظيم تكرما ويجود مسولا وان لم يسال
ارضى الاله بفضله ودفاعه عن دينه واقر عين المرسل
يا ايها المولى الذي درجاته ترنو الى فلك الثوابت من عل
ما منصب الا وقدرك فوقه فبمجدك السامي تهنى ما تلي
فمتى اراد الله رفعة منصب افضى اليك فنال اشرف منزل

لا زال ربعك للوفود محطة ابدا وجودك كهف كل مؤمل

وحدثني نجم الدين يوسف ابن شرف الدين علي بن محمد الاسفرايني
قال وكان الشيخ الامام ضياء الدين عمر والد الامام فخر الدين من الري وتفقه
واشتغل بعلم الخلاف والاصول حتي تميز تميزا كثيرا وصار قليل المثل وكان
يدرس بالري ويخطب في اوقات معلومة هنالك ويجمع عنده خلق كثير من حسن
ما يورده في نطقه وبلاغته حتي اشتهر بذلك بين الخاص والعام في تلك النواحي
وله تصانيف عدة توجد في الاصول وفي الوعظ وغير ذلك وخلف ولدين احدهما
الامام فخر الدين والاخر هو الاكبر سنا كان يلقب بالركن وكان هذا الركن
قد قرا شيئا من الخلاف والفقه والاصول الا انه كان اهوج كثير الاختلال فكان
ابدا لا يزال يسير خلف اخيه الامام فخر الدين ويتوجه اليه في اي بلد قصده
وليشنع عليه وليسفه المشتغلين بكتبه والناظرين في اقواله ويقول انا
اكبر منه واكثر معرفة بالخلاف والاصول فلم يقول الناس فخر الدين فخر الدين
ولا اسمعهم يقولون ركن الدين وكان ربما صنف شيئا بزعمه ويقول هذا من
كلام فخر الدين والجماعة يضحكون منه وكثير منهم يصفونه ويهزون منه وكان
الامام فخر الدين كلما بلغه شي من ذلك صعب عليه ولم يوثر ان اخاه بتلك الحالة
ولا احد يسمع قوله وكان دايم الاحسان اليه وربما يسال له المقام في الري او في
غيره وهو يتفقده ويصله بكل ما يقدر عليه فكان كلما سال له ذلك يزيد في فعله
ولا ينقص من حاله ولم يزل كذلك لا ينقطع عنه ولا يسكت عما هو فيه الي
ان اجتمع الامام فخر الدين بالسلطان خوارزم شاه وانهي اليه حال اخيه وما
يقاسي منه والتمس منه ان يتركه في بعض المواضع ويوصي عليه ان لا يمكن
من الخروج والانتقال عن ذلك الموضع وان يكون له ما يقوم بكفايته من

كل ما يحتاج فجعله السلطان في بعض القلاع التي له واطلق له اقطاعا يقوم به
كل سنة بما مبلغه الف دينار ولم يزل هناك مقيما حتي قضي الله فيه امره قال
وكان الامام فخر الدين علامة وقته في كل العلوم وكان الخلق ياتون اليه من كل ناحية
وكان الخطيب ايضا بالري وكان له مجلس عظيم للتدريس فاذا تكلم بذ القايلين
وكان عبل البدن باعتدال عظيم الصدر والراس كث اللحية ومات وهو في سن
الكهولة اشمط مغبر اللحية وكان كثيرا ما يذكر الله تعالي ويستغفره ويسأله
الرحمة والقبول والتجاوز عن زلله ويقول انني حصلت من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب
الطاقة البشرية وما بقيت اوثر الا لقاء الله تعالي والنظر الي وجهه الكريم
قال وخلف فخر الدين ولدين ذكورا اكبرهما يلقب بضياء الدين وله اشتغال
ونظر في العلوم والاخر وهو الصغير لقبه شمس الدين وله فطرة فايقة وذكاء
حاذق وكان كثيرا ما يصفه الامام فخر الدين بالذكاء ويقول ان عاش هذا فانه
يكون اعلم مني وكانت النجابة تتبين فيه من الصغر ولما توفي الامام فخر الدين
بقيت اولاده مقيمين في هراه ولقب ولده الصغير بعد ذلك فخر الدين لقب والده
وكان الوزير علا الدين العلوي متقلد الوزارة للسلطان خوارزم شاه وكان علا الملك
عالما فاضلا متقنا لعلوم الادب ويشعر بالعربية وبالفارسية وكان قد تزوج
بابنة الشيخ فخر الدين ولما جري ان جنكز خان ملك التتر قهر خوارزم شاه
وكسره وقتل اكثر عسكره وبعد خوارزم توجه علا الملك قاصدا الي جنكز خان
ومعتصما به فلما وصل اليه اكرمه وجعله من جملة خواصه عندما استولي التتر
علي بلاد العجم وخربوا قلاعها ومدنها وكانوا يقتلون في كل مدينة جميع من بها ولا
يبقوا احدا بها تقدم علا الملك الي جنكز خان وقد توجهت فرقة من عساكره
الي مدينة هراه ليخربوها ويقتلوا من بها فساله ان يعطيه امانا لاولاد الشيخ

فخر الدين ابن خطيب الري وان يجيبوهم مكرمين اليه فوهب له ذلك
واعطاهم امانًا ولما ذهبوا اصحابه الي هراه وشارفوا اخذها نادوا فيها بان
لاولاد فخر الدين ابن الخطيب الامان فليعتزلوا ناحيةً في مكانٍ ويكون هذا
الامان وكان في هراه دار الشيخ فخر الدين هي دار السلطنة كان خوارزم شاه
قد اعطاها له وهي اعظم دارًا تكون وانهاها واكبرها وابهاها زخرفةً واحتفالًا
فلما بلغ اولاد فخر الدين ذلك اقاموا بها مامونين والتحق بهم خلق كثير من اهاليهم
واقربايهم واعيان الدولة وكبراء البلد وجماعة كثير من الفقهاء وغيرهم ظنًّا
ان يكونوا في امانٍ لاتصالهم باولاد فخر الدين ولكونهم خصيصين بهم وفي دارهم
وكانوا خلقًا عظيمًا فلما دخل التتر الي البلاد وقتلوا من وجدوا بها وانتهوا الي الدار
نادوا باولاد فخر الدين ان يروهم فلما شاهدوهم اخذوهم وهم ضياء الدين
وشمس الدين واختيهم ثم سارعوا لساير من كان في الدار فقتلوهم عن آخرهم بالسيف
وتوجهوا باولاد الشيخ فخر الدين من هراه الي سمرقند لان ملك التتر جنكزخان
في ذلك الوقت بها وعنده علا الملك قال ولست اعلم ما تم لهم بعد ذلك
قال وكان اكثر مقام الشيخ رحمه الله بالري وتوجه ايضًا الي بلد خوارزم
ومرض بها وتوفي في عاسله ببلد هراه واملي في شدة مرضه وصيةً علي تلميذه
ابرهيم بن ابي بكر بن علي الاصفهاني وذلك في يوم الاحد الحادي وعشرين من شهر
المحرم سنة ست وست مايه وامتد مرضه الي ان توفي يوم العيد غرة شوالٍ من
السنة المذكورة وانتقل الي جوار ربه رحمه الله تعالي وهذه نسخة الوصيه

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الراجي رحمة ربه الواثق بكرم مولاه محمد بن عمر بن الحسين الرازي
وهو في آخر عمره وعهده بالدنيا واول عهده بالاخرة وهو الوقت الذي يلين فيه

كل قاسي ويتوجه الي مولاه كل وابق اني احمد الله تعالي بالمحامد التي ذكرها اعظم
ملايكته في اشرف اوقات معارجهم ونطق بها اعظم انبيايه في اكمل اوقات
مشاهدتهم بل اقول ان كل ذلك من نتايج الحدوث والامكان فاحمده بالمحامد التي
تستحقها الاهيته ويستوجبها لكمال الوهيته عرفتها او لم اعرفها لانه لا مناسبة
للتراب مع جلال رب الارباب واصلي علي الملايكة المقربين والانبياء المرسلين
وجميع عباد الله الصالحين ثم اقول بعد ذلك اعلموا اخواني في الدين
واخواني في طلب اليقين ان الناس يقولون ان الانسان اذا مات انقطع تعلقه عن
الخلق وهذا العالم مخصوصون بوجهين الاول انه ان بقي منه عمل صالح صار ذلك سببًا
لذلك والدعاء له اثر عند الله والثاني ما يتعلق بمصالح الاطفال والاولاد والمعارف
واداء المظالم والجنايات اما الاول فاعلم انني كنت رجلًا محبًّا للعلوم فكنت
اكتب في كل شي شيًا لا اقف علي كميته وكيفيته سوآء كان حقًّا او باطلًا او
غثًّا او سمينًا الآن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي ان هذا العالم محسوس تحت
تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات والاعراض وموصوف بكمال القدرة والعلم
والرحمة وقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رايت فيها فايدةً
تساوي الفايدة التي وجدتها في القران انه يسعي في تسليم العظمة والجلال بالكلية
لله ويمنع عن التعمق في ايراد المعارضات والمناقضات وما ذاك الا للعلم بان
العقول البشرية تتلاشي وتضمحل في تلك الاودية العميقة والمناهج الخفيه فلهذا
اقول كلما ثبت بالدلايل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته
عن الشركاء في القدم والازلية والتدبير والفعالية فذاك الذي اقول به والقي
الله تعالي به واما ما انتهي الامر فيه الي الدقة والغموض فكل ما ورد في القران
والاخبار الصحيحة المتفق عليها بين الامة المتبعين للمعني الواحد فهو كما هو والذي

لم يكن كذلك اقول يا اله العالمين اني اري الخلق مطبقين علي انك اكرم الاكرمين وارحم الراحمين فلك ما مر به قلبي وخطر ببالي فاستشهد علمك واقول ان علمت مني اني اردت به تحقيق باطل او ابطال حق فافعل بي ما انا اهله وان علمت مني اني ما سعيت الا في تقرير ما اعتقدت انه هو الحق وصورت انه هو الصدق فلتكن رحمتك معي فذلك جهد المقل وانت اكرم من ان تضايق الضعيف الواقع في الزلة فاعني وارحمني واستر زلتي وامح حوبتي يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين ولا ينتقص بخطا المجرمين واقول ديني متابعة سيد المرسلين محمد خاتم النبيين صلي الله عليه وعلي اله واصحابه اجمعين وكتابي هو القران العظيم وتعويلي في طلب الدين عليهما اللهم يا سامع الاصوات ويا مجيب الدعوات ويا مقيل العثرات ويا راحم العبرات ويا قيام المحدثات والممكنات انا كنت حسن الظن بك عظيم الرجاء في رحمتك وانت قلت انا عند ظن عبدي بي وانت قلت امن يجيب المضطر اذا دعاه انت قلت واذا سالك عبادي عني فاني قريب وهب اني ما جيت بشيء فانت الغني الكريم وانا المحتاج اللئيم واعلم انه ليس لي احد سواك ولا اجد اكرم منك ولا احدا محسنا سواك وانا معترف بالزلة والقصور والعيب والفتور فلا تخيب رجاي ولا ترد دعاي واجعلني آمنا من عذابك قبل الموت وعند الموت وبعد الموت وسهل علي سكرات الموت وخفف عني نزول الموت ولا تضيق علي بسبب الالام والاسقام فانت ارحم الراحمين واما الكتب العلمية التي صنفتها واستكثرت من ايراد السوالات علي المتقدمين فيها فمن نظر في شيء منها فان طابت له تلك السوالات فليذكرني في صالح دعائه علي سبيل التفضل والانعام وليحذف القول السيئ فاني ما اردت الا تكثير البحث وتشحيذ الخواطر والاعتماد في الكل علي الله تعالي واما المهم الثاني

وهو اصلاح امر الاطفال والعورات والاعتماد فيه علي الله تعالي ثم علي نايبه في ارضه السلطان محمد اللهم اجعله قرين محمد الاكبر في الدين والعلو الا ان السلطان الاعظم لا يمكنه ان يشتغل بمهمات الاطفال فرايت ان افوض وصاية ولدي الي فلان وامرته بتقوي الله تعالي فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وسرد الوصية الي اخرها ثم قال واوصيه ثم اوصيه بان يبالغ في تربية ولدي ابي بكر فان آثار الذكاء والفطنة ظاهرة عليه ولعل الله تعالي يوصله الي خير وامرته وامرت تلامذتي وكل من لي عليه الحق اني اذا مت يبالغون في اخفاء موتي ولا يخبرون احدا به ويكفنوني ويدفنوني علي الوجه الشرعي ويحملوني الي الجبل المصاقب لقرية مزداخان ويدفنوني هناك واذا وضعوني في اللحد قروا علي ما قدروا عليه من الحيات القران ثم ينثرون علي التراب بعد الاتمام ويقولون يا كريم جاءك الفقير المحتاج اليك فاحسن اليه وهذا منتهي وصيتي من هذا الباب والله تعالي الفعال لما يشاء وهو علي ما يشاء قدير وبالاجابة وبالاحسان جدير ٠٠ ومن شعر فخر الدين ابن الخطيب انشدني بديع الدين السكرهي مما سمعه من الشيخ فخر الدين ابن خطيب الري لنفسه فمن ذلك قال

نهاية اقدام العقول عقال ... واكثر سعي العالمين ضلال
وارواحنا في غفلة من جسومنا ... وحاصل دنيانا اذي ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوي ان جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد راينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... فزالوا جميعا والجبال جبال

وقال

فلو قنعت نفسي بميسور بلغة ... لما سبقت في المكرمات رجالها

ولو كانت الدنيا مناسبة لها لما استحقرت نقصانها وكما لها
ولا ارمق الدنيا بعين كرامة ولا الوفي سوها واختلالها
وذلك اني عارف بفنايها ومستيقن ترحالها وانحلالها
اروم امورا يصغر الدهر عندها وتستعظم الافلاك طرق اتصالها

وقال ايضا

ارواحنا ليس تدري اين مذهبها وفي التراب تواري هذه الجثث
كون بري وفساد جاء يتبعه الله اعلم ما في خلقه عبث

ومنهم القطب المصري وهو ابرهيم بن علي بن محمد السلمي ابو اسحق الامام قطب الدين وكان قطب داير ومركز شهب ساير ومظهر عجايب ومشهر غرايب ومبين فضايل ومفتن خمايل وآية فضل تدرس ومعالمها واضحه وعلومها ناضحه وهو وان كان من الغرب مرماه فان في المشرق منماه وهكذا صاحب تاريخ الاطباء وسماه وما عدا في هذا واجبا ولا تنكب عن الحق جانبا اذ كان انما استفاد المشرق وغاية العلم الذي به ذكر والفضل الذي عليه قصر قال ابن ابي اصيبعة قديم اصله مغربي واتى مصر واقام بها مدة ثم سافر الى بلاد العجم ولقي الامام الرازي فلزمه واشتغل عليه واشتهر هناك وكان من اجل تلاميذ ابن الخطيب واميزهم وصنف كتبا كثيرة في الطب والحكمة وشرح الكليات باسرها قال ووجدته في كتابه هذا يفضل المسيحي وابن الخطيب على ابن سينا قال وهذا نص قوله والمسيحي اعلم بصناعة الطب من ابي علي فان مشايخنا كانوا يرجحونه على جمع عظيم ممن هم افضل من ابي علي في هذا الفن وقال ايضا عبارة المسيحي اوضح وابين مما قاله الشيخ وغرضه في كتبه تعقيد العبارة من غير فايدة وقال في تفضيل ابن الخطيب على ابن سينا

فهذا ما نحل من كلام الامامين الفاضلين العظيمين الامام المتقدم والامام المتاخر عنه زمانا الراجح عليه علما وعملا واعتقادا ومذهبا وقتل القطب المصري في نيسابور فيمن قتله التتار بها رحمه الله تعالى

ومنهم عبد اللطيف البغدادي هو ابن يوسف محمد بن علي ابن ابي سعيد عرف بابن اللباد موفق الدين ابو محمد الموصلي الاصل البغدادي المولد ويعرف بالجدي المطجن مسرح امل ومطمح علم وعمل وزينة ارض ما هي في السماء لجدي ولا حمل ناطح جدية الكباش فكسرها ومزقها بظلفه ونشرها الى ان اخلى منها المظان وابدل بسواد المعز بياض الضان واعطاه اهل زمانه حقه في التعظيم وغمط وناظر كل قرين وهو الجدي وغيره الذي سمط فهادنته جناة الذباب وهابته جناة القرظ وطال عليهم الاياب وجال في الجبل الاول وقد شمخ بقرنه وسمح لقرنه وجل فلم ينتسب اليه كل عنزي من عنزه ولا حسب كفوا لقرنه كبش كتيبة ولا جديد عنزه والنسي كل من تقدمه هديا وفخر به كل بلد قدمه وقدمت دمشق جديا وعلم العلم انه له منتصب وقامت قامة بلده وقد قيل لها جديا لانها تصحيفه اذا نصب قال ابن ابي اصيبعة كان مشهورا بالعلوم متحليا بالفضايل مليح العبارة جيد التصنيف وكان متميزا في النحو واللغة والعربية عارفا بعلم الكلام والطب وكان قد اعتنى كثيرا بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها وكان يتردد اليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الاطباء للقراءة عليه وكان والده قد اشغله بصناعة الحديث في صباه وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشتغلا بعلم الحديث بارعا في علوم القران والقراات محمودا في المذهب والخلاف والاصول وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين عبد اللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتا من اوقاته من النظر في الكتب

والتصنيف والكتابة والذي وجدته من خطه اشياء كثيرة جدا بحيث انه
كتب من مصنفاته نسخا متعددة وكذلك ايضا كتب كتبا كثيرة من تصانيف
القدماء وكان صديقا لجدي وبينهما صحبة اكيدة بالديار المصرية لما كان بها وكان
ابي وعمي اشتغلا عليه بعلم الادب واشتغل عليه عمي ايضا بكتب ارسطوطاليس
وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها والفهم لمعانيها واتي الي دمشق
من الديار المصرية واقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلمه ورايته في آخر
مرة بدمشق وهو شيخ نحيف الجسم ربع القامة حسن الكلام جيد العبارة وكانت
مسطرته ابلغ من لفظه وكان رحمه الله ربما تجاوز في الكلام لكثرة ما يري في
نفسه وكان يتنقص الفضلاء الذين في زمانه وكثيرا من المتقدمين وكان وقوعه
كثيرا جدا في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصا الشيخ الرئيس ابن سينا ونظراءه .
ونقلت من خطه في سيرته التي الفها ما هذا مثاله قال ـــــ اني ولدت
بدار لجدي في درب الفالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمايه وتربيت في حجر
الشيخ لا اعرف اللهو واللعب واكثر زماني مصروف في سماع الحديث واخذت
لي اجازات من مشايخ بغداد وخراسان والشام ومصر وقال لي والدي يوما
قد سمعتك جميع عوالي بغداد اتعلم الخط واحفظ القران والفصيح والمقامات
وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصرا في الفقه ومختصرا في النحو فلما ترعرعت
حملني والدي الي كمال الدين عبد الرحيم الانباري وكان يومئذ شيخ بغداد وله بوالدي
صحبة قديمة ايام التفقه بالنظاميه فقرات عليه خطبة الفصيح فهذ كلاما كثيرا
متتابعا لم افهم منه شيا لكن التلاميذ حوله تعجبوا منه ثم قال انا اجفو عن تعليم
الصبيان احمله الي تلميذي الوجيه عند اولاد رئيس الروساء وكان رجلا اعمي من
اهل الثروة والمروءة فاخذني بكلتي يديه وجعل يعلمني من اول النهار الي آخره

بوجوه كثيرة من التلطف وكنت احضر حلقته بمسجد المظفريه ويجعل جميع
الشروحات لي ويخاطبني بها وفي آخر الامر اقرا درسي ويخصني بشرحه ثم نخرج
من المسجد فيذاكرني في الطريق فاذا بلغنا منزله اخرج الكتب الذي
يشتغل بها مع نفسه فاحفظه واحفظ معه ثم يذهب الي الشيخ كمال الدين
فيقرا درسه ويشرح له وانا اسمع وتخرجت الي ان صرت اسبقه في الحفظ
والفهم واصرف اكثر الليل في الحفظ والتكرار واقمنا علي ذلك برهة كلما جاء
حفظي كثر وزاد وفهمي قوي واستنار وذهني احتد واستقام وانا الازم الشيخ
وشيخ الشيخ واول ما بدات حفظت اللمع في ثمانية اشهر اسمع كل يوم شرح
اكثرها مما يقراه غيري وانقلب الي بيتي فاطالع شرح الفارسي وشرح الشريف
عمر بن حمزة وشرح ابن برهان وكلما اجد من شروحها واشرحها للتلاميذ
بحضوري الي ان صرت اتكلم علي باب باب كراريس ولا ينفد ما عندي وحفظت
ادب الكاتب لابن قتيبة حفظا متقنا اما النصف الاول ففي شهور واما تقويم
اللسان ففي اربعة عشر يوما لانه كان اربعة عشر كراسة ثم حفظت مشكل
القران له وغريب القران له وكان ذلك في مدة يسيرة ثم انتقلت الي الايضاح
لابي علي الفارسي فحفظته في شهور كثيرة ولازمت شروحه وتتبعته التتبع
التام وتبحرت فيه وجمعت ما قال الشراح واما التكملة فحفظتها في ايام يسيرة
كل يوم كراسا وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت علي المقتضب
للمبرد وكتاب ابن درستويه في اثناء ذلك لا اغفل عن سماع الحديث والفقه
علي شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة ابن
المطلب قال ـــــ وللشيخ كمال الدين مايه وثلثون تصنيفا اكثرها في النحو
وبعضها في الفقه وفي الاصولين وفي التصوف والزهد واتيت علي اكثر تصانيفه

سماعًا وقراءةً وشرع في تصنيفين كبيرين احدهما في اللغة والآخر في الفقه
ولم يتفق له اتمامهما وحفظت عليه طايفةً من كتاب سيبويه واكببت
علي المقتضب فاتممته وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحه
للسيرافي ثم قرات علي ابي عبيدة الكرخي كتبًا كثيرةً منها كتاب الاصول
لابن السراج والنسخة في وقف ابن الخشاب بالمامونية وقرات عليه الفرايض
والعروض للخطيب التبريزي وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري واما ابن
الخشاب فسمعت بقراءته معاني الزجاج علي الكاتبة شهدة بنت الابري
وسمعت منه الحديث المسلسل وهو الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء وقال ايضا موفق الدين البغدادي ان من مشايخه
الذين انتفع بهم كما زعم ولد امين الدولة ابن التلميذ وبالغ في وصفه وكثر وهذا
لكثرة تعصبه للعراقيين والا فولد امين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريبًا منها
وقال انه ورد الي بغداد رجل مغربي طوال في زي التصوف له ابهة
وتيه مقبول الصورة عليه مسحة الدين وهيئة السياحة يشغل لصورة من
يراه يعرف بابن نايلي يزعم انه من اولاد الملثمة خرج من المغرب لما استولي
عليها عبد المومن فلما استقر ببغداد واجتمع عليه جماعة من الاكابر والاعيان
وحضره الرضي القزويني ومشايخ الشيوخ وكنت واحدا ممن حضره فاقراني
مقدمة حساب ومقدمة ابن بابشاذ في النحو وكان له طريق في التعلم عجيب
ومن يحضره يظن انه سحر وانما كان متطرفًا لكنه قد امعن في كتب الكيمياء
والطلسمات وماجري مجراها واتي علي كتب جابر باسرها وعلي كتب ابن وحشية
وكان يخلب القلوب بصورته ومنطقه وابهامه فملا قلبي شوقًا الي العلوم كلها
واجتمع بالامام الناصر لدين الله واعجبه ثم سافر واقبلت علي الاشتغال وشمرت

ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات واكببت علي كتب الغزالي
المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر ثم انتقلت الي كتب ابن سينا صغارها
وكبارها وحفظت كتاب النجاه وكتبت الشفا وبحثت فيه وحصلت كتاب
التحصيل لبهمنار تلميذ ابن سينا وحصلت كثيرًا من كتب جابر بن حيان
الصوفي وابن وحشية وباشرت علي الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغه
واقوي من اضلني ابن سينا بكتابه في الصنعة الذي تمم به فلسفته التي
لا تزداد بالتمام الا نقصًا قال ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمس مايه
حيث لم يبق ببغداد من ياخذ بقلبي ويملا عيني ويحل ما يشكل علي حتي دخلت
الموصل فلم اجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال ابن يونس جيدًا في الرياضيات
والفقه متطرفًا في باقي اجزاء الحكمة قد استغرق عقله وحبه حب
الكيمياء وعملها حتي صار يستخف ما عداها واجتمع الي جماعة كثيرة وعرضت
علي مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي
تحتها واقمت بالموصل سنة كاملة في اشتغال دايم متواصل ليلا ونهارًا
وزعم اهل الموصل انهم لم يروا احدا من قبلي مثل ما راوا مني في سعة المحفوظ
وسرعة الخاطر وسكون الطاير وسمعت الناس يلهجون في حديث الشهاب
السهروردي المتفلسف ويعتقدون انه قد فاق الاولين والآخرين وان
تصانيفه فوق تصانيف القدماء فهممت لقصده ثم ادركني التوفيق وطلبت
من ابن يونس شيا من تصانيفه وكان ايضا معتقدا عليه فوقفت علي التلويحات
واللمحة والمعارج فصادفت فيها ما يدل علي جهل اهل الزمان ووجدت
لي تعاليق كثيرة لا ارتضيها هي خير من كلام هذا الاول وفي اثناء كلامه
يثبت حروفا مقطعة يوهم بها امثاله انها من اسرار الاهية قال

ولما دخلت الى دمشق وجدت فيها من اعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان
الصلاحي جمعا كثيرا منهم جمال الدين عبد اللطيف ولد الشيخ ابي النجيب
وجماعة بقية من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جهير
وابن العطار المقتول الوزير واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرى
بيننا مباحثات وكان شيخا ذكيا مثريا له جانب من السلطان لكنه كان
معجبا بنفسه مؤذيا لجليسه وجرت بيننا مباحثات فاظهرني الله عليه
في مسايل كثيرة ثم اني اهملت جانبه فكان يتاذى باهمالي له اكثر مما
يتاذى به الناس منه وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث
الكبير جمعت فيه غريب ابي عبيد القسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب
الخطابي وكنت ابتدأته بالموصل وعملت له مختصرا سميته المجرد وعملت
كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراسا وكتاب
الالف واللام وكتاب رب وكتابا في الصفات الذاتية الجارية على السنة
المتكلمين وقصدت بهذه المسالة الرد على الكندي ووجدت
بدمشق الشيخ عبد الله بن نايلي نازلا بالماذنة الغربية وقد عكف عليه جماعة
وتحدث الناس فيه له وعليه وكان الخطيب الدولعي عليه وكان من الاعيان
له منزلة وناموس ثم خلط ابن نايلي على نفسه فاعان عدوه عليه وصار
يتكلم في الكيمياء والفلسفة وكثر التشنيع عليه واجتمعت به وصار
يسالني عن عالم اعتقد انها خسيسة نزرة فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها
مني فكاشفته فلم اجده كما كان في نفسي فساء به ظني وبطريقه ثم
باحثته في العلوم فوجدت عنده منها اطرافا نزرة فقلت له يوما لو صرفت
زمانك الذي ضيعته في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية والعقلية

كنت اليوم فريد عصرك مخدوما طول عمرك وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبه
ثم اعتبرت بحاله وانزجرت بسوء ماله والسعيد من وعظ بغيره فاقلعت
ولات الاقلاع ثم انه توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا وشكا اليه الدولعي
وعاد مريضا وحمل الى البيمارستان فمات واخذ كتبه المعتمد شحنة دمشق
وكان متيما بالصنعة ثم اني توجهت الى زيارة البيت المقدس ثم الى صلاح الدين
بظاهر عكا واجتمعت ببهاء الدين ابن شداد قاضي العسكر يومئذ وكان قد
اتصل به خبري بالموصل فانبسط الي واقبل علي وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب
وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتابا الى الديوان العزيز
بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الى بلدكم وذاكرني في مسايل
من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرايت شيخا
ضئيلا كله راس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب الوان
الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكان يكتب بجملة اعضايه وسالني
القاضي الفاضل عن قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
اين جواب اذا واين جواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال وعن
مسايل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء وقال لي ترجع
الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر فقال السلطان مشغول
القلب باخذ الفرنج عكه وقتل المسلمين بها فقلت لا بد لي من مصر فكتب
لي ورقة صغيرة الى وكيله بها فلما دخلت القاهرة جاء وكيله وكان شيخا
جليل القدر نافذ الامر فانزلني دارا قد ازيحت عللها وجاءني بدنانير وغلة
ثم مضى الى ارباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا
والصلات من كل جانب وكان كل عشرة ايام ونحوها تصل تذكرة القاضي

الي ديوان مصر بمهمات الدولة وعليها فصل فصل توكيد الوصية في حقي
فاقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ اقري الناس وكان قصدي في مصر ثلثة انفس
ياسين السماني والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وابو القسم الشارعي
وكلهم جاؤني اما ياسين فوجدته محاليًا كذابًا يشهد للسافاني بالكيمياء
ويشهد له السافاني بالسيمياء ويقول عنه انه يعمل اعمالا يعجز موسى بن
عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء وباي مقدار شاء وباي سكة
شاء وانه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيها واصحابه تحتها وكان ضعيف الحال وجاءني
موسى فوجدته فاضلا لا في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة ارباب
الدنيا وعمل كتابا في الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب
اخر وشرط ان لا يغير فيه حرفا الا ان يكون واو عطف او فاء وصل وانما ينقل فصولا
يختارها وعمل كتابا لليهود وسماه كتاب الدلالة ولعن من يكتبه بغير القلم
العبراني ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفسد اصول الشرائع والعقائد
بما يظن انه يصلحها وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي خلق كثير فدخل شيخ رث
الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم واخذت في
اتمام كلامي فلما تصرم المجلس جاء امام المسجد وقال اتعرف هذا الشيخ هذا
ابو القسم الشارعي فاعتنقته وقلت اياك اتطلب فاخذته الي منزلي واكلنا
الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدته كما تشتهي النفس وتلذ العين سيرته سيرة
الحكماء العقلاء وكذا صورته قد رضي من الدنيا بالقليل لا يتعلق بشيء منها يشغله
عن طلب الفضل ثم لازمني فوجدته قيما بكتب القدماء وكتب ابي نصر الفارابي
ولم يكن لي اعتقاد في هؤلاء لاني كنت اظن ان الحكمة كلها حازها ابن سينا
وحشاها كتبه فكنا اذا تفاوضنا الحديث اغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن

ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة وانا فلا تلين قناتي لغمزه ولا احيد عن جادة
الهوى والتعصب برمن فصار يجذبني شيئا بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر
وثامسطوس يونس بذلك نفاري ويلين عريكة شماسي حتى عطفت عليه
اقدم رجلا واوخر اخرى وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الي القدس
فقادت الضرورة الي التوجه اليه فاخذت من كتب القدماء ما امكنني وتوجهت
الي القدس فرايت ملكا عظيما يملأ العين روعة والقلوب محبة قريبا بعيدا
سهلا محببا واصحابه يتشبهون به يتسابقون الي المعروف كما قال الله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل واول ليلة حضرته وجدت مجلسا حفلا باهل العلم
يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة وياخذ في كيفية
بناء الاسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك وياتي بكل معنى بديع وكان مهتما في
بناء سور بيت المقدس وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه ويحمل الحجارة على عاتقه
ويتأسى به جميع الفقراء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي
الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الي وقت الظهر فياتي داره فيمد
السماط فياكل ويستريح ويركب العصر ويرجع في المشاعل ويصرف اكثر
فيما يعمل نهارا فكتب لي صلاح الدين ثلثين دينارا كل شهر على ديوان الجامع
بدمشق واطلق لي اولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر ماية دينار ورجعت الي
دمشق واكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع وكلما امعنت في كتب
القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان
الكيمياء وعرفت حقيقة الحال في وضعها ومن وضعها وكذب بها وما كان
قصده في ذلك وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين وتضاعف شكري لله
تعالى على ذلك فان اكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء

ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج بودع الحاج ثم رجع فحم فقصده من الاخبرة
عنده فخارت القوي ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شبيها بما يجدونه
علي الانبياء وما رايت ملكا حزن الناس لموته سواه لانه كان محبوبا يحبه البر
والفاجر والمسلم والكافر ثم تفرق اولاده واصحابه ايادي سبا ومزقوا في البلاد
كل ممزق واكثرهم توجه الي مصر لخصبها وسعة صدر ملكها واقمت
بدمشق وملكها الملك الافضل وهو اكبر الاولاد في السن الي ان جاء الملك
العزيز لعساكر مصر محاصرا اخاه بدمشق فلم ينل منه بغية ثم تاخر الي مرج الصفر
لقولنج عرض له فخرجت اليه بعد خلاصه منه فاذن لي في الرحيل معه واجري
علي بيت المال كفايتي وزيادة واقمت مع الشيخ ابي القسم يلازمني صباحا ومساء
الي ان قضي نحبه ولما اشتد مرضه وكان ذات الجنب عن نزلة من
راسه واشرت عليه بدواء فانشد

لا اذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

ثم سالته عن المه فقال • ما لجرح بميت ايلام • وكان سيرتي في هذه
المدة انني اقري الناس في الجامع الازهر الي نحو الساعة الرابعة ووسط النهار
ياتي من يقرا الطب وغيره وآخر النهار ارجع الي الجامع فيقرا قوم آخرون
وفي الليل اشتغل مع نفسي ولم ازل علي ذلك الي ان توفي الملك العزيز وكان
شابا كريما شجاعا كثير الحياء لا يحسن قول لا وكان مع حداثة سنه وشرة
شبابه كامل العفة عن الاموال والفروج اقول ثم ان الشيخ
موفق الدين اقام بالقاهرة بعد ذلك مدة وله الرواتب والجرايات من اولاد الملك
الناصر صلاح الدين واتي الي مصر ذلك الغلا العظيم والموت الذي لم يشاهد
مثله والف الشيخ موفق الدين في ذلك كتابا ذكر فيه اشياء شاهدها او سمعها

ممن عاينها تذهل العقل وسمي ذلك الكتاب كله كتاب الافادة والاعتبار
في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر ثم لما ملك السلطان الملك
العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب الديار المصرية واكثر الشام والشرق
وتفرقت اولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين وانتزع ملكهم توجه الشيخ
موفق الدين الي القدس واقام به مدة وكان يتردد الي الجامع الاقصي ويشتغل
الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هنالك كتبا كثيرة ثم انه توجه الي
دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية وذلك في سنة اربع وست مايه وشرع في
التدريس والاشتغال وكان ياتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرون اصنافا
من العلوم وتميز في صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتبا كثيرة وعرف
به واما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو واقام بدمشق مدة وانتفع به
الناس ثم انه سافر الي حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة وكان
في خدمة الملك علا الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكينا عنده
عظيم المنزلة وله منه الجامكية الوافرة والصلات المتواترة وصنف باسمه
عدة كتب وكان هذا الملك عالي الهمة كثير الحيا كريم النفس وقد اشتغل
بشيء من العلوم ولم يزل في خدمته الي ان استولي علي ملكه صاحب ارزن
الروم وهو السلطان كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان فقبض علي صاحب
ارزنجان ولم يظهر له خبر قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف
ولما كان في سابع عشر ذي الحجة من سنة خمس وعشرين وست مايه توجهت
الي ارزن الروم وفي حادي عشر صفر من سنة ست وعشرين وست مايه رجعت
الي ارزنجان من ارزن الروم وفي نصف ربيع الاول توجهت الي كماخ وفي
جمدي الاول توجهت منها الي دبرزكي وفي رجب توجهت منها الي ملطيه وفي آخر

رمضان توجهت منها الي حلب **اقول** واقام الشيخ موفق الدين بحلب
والناس يشتغلون عليه وكثرت تصانيفه وكان له من شهاب الدين
طغريل الخادم اتابك العسكر بحلب جاري حسن وهو متخلي لتدريس صناعة
الطب وغيرها ويتردد الي الجامع ليسمع الحديث ويقري العربية وكان دايم
الاشتغال ملازما للكتابة والتصنيف ولما اقام بحلب قصدت ان اتوجه اليه
واجتمع به فلم يتفق ذلك وكانت كتبه ابدا تصل الينا ومراسلاته وبعث الي
باشياء من تصانيفه بخطه وهذا نسخة كتاب كتبته اليه لما كان
بمدينة حلب المملوك يواصل بدعايه وثنايه وشكره وانتمايه الي
عبودية المجلس السامي المولوي السيدي السندي الاجلي الكبيري العالمي
الفاضلي موفق الدين سيد العلماء في الغايبين والحاضرين جامع العلوم
المتفرقة في العالمين ولي امير المومنين اوضح الله به سبل الهدي والهدايه
واثار ببقايه طرق الدرايه وحقق بحقايق الفاظه صحيح الروايه ولازالت
سعادته دايمة البقاء وسيادته سامية الارتقاء وتصانيفه في الافاق
قدوة العلماء وعمدة ساير الادباء والحكماء المملوك يجدد الخدمه ويهدي
من السلام اطيبه ومن الشكر والثناء اعذبه وينهي ما يكابده من اليم
التطلع الي مشاهدة انوار شمسه المنيرة وما يعانيه من الارتياح الي
ملاحظة شريف حضرته الاثيرة وما تزايد من القلق وتعاظم عند سماعه
قرب المزار من الارق

وابرح ما يكون الشوق يوما ... اذا دنت الديار من الديار

ولولا امل قفول الركاب العالي ووصول الجناب الموفقي الحلابي لسارع
المملوك الي الوصول ولبادر المبادرة بالمثول وجاء الي شريف خدمته وفاز

بالنظر الي بهي طلعته فيا سعادة من فاز بالنظر اليه ويا بشري من مثل بين
يديه ويا هناء من حظي بوجه اقباله عليه ومن ورد بحار فضله روي من
نميرها واستضاء بشمس علمه فسرا في اضواء منيرها نسال الله تعالي
تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسترقي الابصار والاسماع بمنه وكرمه
ان شاء الله تعالي ⁂ ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بعث
الي ابي في اول كتاب وهو يقول فيه عني ولد الولد اعز من الولد وهذا موفق الدين
ولد ولدي واعز الناس عندي وما زالت النجابة تتبين لي فيه من الصغر ووصف
واثني كثيرا وقال فيه لو امكنني ان اتي اليه بالقصد ليشتغل علي لفعلت
وبالجملة فانه كان قد عزم ان ياتي دمشق ويقيم بها ثم خطر له انه كان حج
قبل ذلك ويجعل طريقه علي بغداد وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله اشياء
من تصانيفه ولما وصل الي بغداد مرض في اثناء ذلك وتوفي رحمه الله يوم الاحد
ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستماية ودفن بالوردية عند ابيه
وذلك بعد ان خرج عن بغداد وبقي غايبا عنها خمسا واربعين عاما ثم ان الله تعالي
ساقه اليها واماته بها ⁂ ومن كلام موفق الدين عبد اللطيف مما نقلته من
خطه قال ينبغي ان تحاسب نفسك كل ليلة اذا اويت الي فراشك وتنظر ما
اكتسبته في يومك من حسنة شكر الله عليها او كانت سيئة تستغفر
الله منها وتقلع عنها وترتب في نفسك ما تعمله في غدك من الحسنات وتسال
الله تعالي الاعانة علي ذلك وقال اوصيك ان لا تاخذ العلوم من
الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم وعليك بالاستاذين في كل علم تطلب
اكتسابه ولو كان الاستاذ ناقصا فخذ عنه ما عنده حتي تجد اكمل منه وعليك
بتعظيمه وترجيبه وان قدرت ان تفيده من دنياك فافعل والا فبلسانك وثنايك

واذا قرأت كتابًا فاحرص كل الحرص على ان تستظهره وتملك معناه وتوهم
ان الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه لا تحزن لفقده واذا كنت مكبًّا
على قراءة كتاب وتفهمه فاياك أن تشتغل باخر غيره معه واصرف الزمان
الذي تريد صرفه في غيره اليه واياك ان تشتغل بعلمين دفعة واحدة وواظب
على العلم الواحد سنة او سنتين او ما شاء الله فاذا قضيت وطرك فانتقل
الى علم آخر ولا تظن انك اذا حصلت علمًا فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته
تكون المذاكرة والتفكر واشتغال العلم بالتعلم والتصنيف واذا تصديت
لتعلم علم او للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم وان كل علم مكتف
بنفسه مستغن عن غيره فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء اقسامه
كمن يستعين بلغة اخرى اذا ضاقت عليه او جهل بعضها وقال
وينبغي للانسان ان يقرا التواريخ وان يطلع على السير وتجارب الامم فيصير
بذلك لانه في عمره القصير قد ادرك الامم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف
خيرهم وشرهم قال وينبغي ان تكون سيرتك سيرة الصدر الاول
فاقرا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتتبع احواله وافعاله واقتف آثاره ما
امكنك وبقدر طاقتك واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه ومنامه
ويقظته وتمرضه ومعاملته مع ربه ومع ازواجه واصحابه وافعاله مع اعدائه
وفعلت اليسير من ذلك فانت السعيد كل السعيد قال وينبغي ان
تكثر اتهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها وتعرض خواطرك على العلماء
على تصانيفهم وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل
ومن لم يتردد الى ابواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ومن لم يخجلوه لم يبجله
الناس ومن لم يبكتوه لم يسد ومن لم يحتمل الم التعلم لم يذق لذة العلم ومن

لم يكدح لم يفلح واذا خلوت من التعلم والتفكر فحرك لسانك بذكر الله
وبتسابيحه وخاصة عند النوم فيتشربه لبك ويتعجن في خيالك وتتكلم به
في منامك واذا حدث لك فرح او سرور ببعض امور الدنيا فاذكر الموت وسرعة
الزوال واصناف المنغصات واذا حزبك امر فاسترجع واذا اعترتك غفلة
فاستغفر واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقوى زادك الى الآخرة واذا
طلبت ان تعصي الله فاطلب مكانًا لا يراك فيه واعلم ان الناس عيون الله على
العبد يريهم خيره وان اخفاه وشره وان ستره فباطنه مكشوف لله والله
يكشفه لعباده فعليك ان تجعل باطنك خيرًا من ظاهرك وسرك اصح من علانيتك
ولا تتألم اذا اعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل
وقل ما يتعلق في العلم ذو الثروة الا ان يكون شريف الهمة جدًّا وان يثري
بعد تحصيل العلم واني لا اقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض
عنها لان همته مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا والدنيا انما
تحصل بحرص وفكر في وجودها فاذا غفل عن اسبابها لم تاته وايضًا فان
طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن اصناف
وعن التذلل لارباب الدنيا والوقوف على احوالهم ولبعض اخواننا بيت شعر
من جد في طلب العلوم فانه ... شرف العلوم دناه التحصيل
وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ لها وحذق فيها وصرف الزمان
اليها والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك وانما ينتظر ان تاتيه الدنيا
بلا سبب وتطلبه من غير ان يطلبها طلب مثلها وهذا ظلم منه وعدوان ولكن
اذا تمكن الرجل من العلم وشهر به خطب من كل وجه وعرضت عليه المناصب
وجاءته الدنيا صاغرة واخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون

واعلم ان للدين عقبة وعرفا ناديا على صاحبه ونورا وضياء يشرق عليه
ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ولا تجهل صناعته وكمن يمشي
بمشعل في ليل مدلهم والعالم مع هذا محبوب اين ما كان وكيف ما كان لا تجد
الا من يميل اليه ويوثر قربه ويانس به ويرتاح بمداناته واعلم ان العلوم تغور
ثم تفور في زمان وتغور في زمان بمنزلة النبات وعيون المياه وتنتقل من قوم
الى قوم ومن صقع الى صقع وقال واياك والهذر والكلام فيما لا يعني
واياك والسكوت في محل الحاجة ورجوع النوبة اليك اما لاستخراج حق او اجتلاب
مودة او تنبيه على فضيلة واياك والضحك مع كلامك وكبر الكلام وتنبيره
بل اجمع كلامك سردا بسكون ووقار بحيث يستشعر منك ان وراءه
اكثر منه وانه عن خميرة سابقة ونظر متقدم وقال اياك والغلظة
في الخطاب والجفا في المناظرة فان ذلك يذهب ببهجة الكلام ويسقط
فايدته ويعدم حلاوته ويجلب الضغاين ويمحق المودات ويصير القايل
مستثقلا سكوته اشهى الى السامع من كلامه ويثير النفوس على معاندته
ويبسط الالسن بمخاشنته واذهاب حرمته وقال لا تسترفع
بحيث تستثقل ولا تتنازل بحيث تستخس وتستحقر ∴ ومن دعايه رحمه الله
قال اللهم اعذنا من شموس الطبيعة وجموح النفس الردية وسلس لنا مقاد
التوفيق وجد بنا في سواء الطريق يا هادي العمي يا مرشد الضلال يا محيي
القلوب الميتة بالايمان يا منير ظلمة الضلالة بنور الايقان خذ بايدينا من
مهوات الهلكة ونجنا من درغة الطبيعة وطهرنا من درن الدنيا
الدنية بالاخلاص لك والتقوى انك مالك الاخرة والدنيا ∴ وله تسبيح ايضا
سبحان من عم بحكمته الوجود واستحق بكل وجه ان يكون هو المعبود

تلألأت بنور وجهك وجلالك الآفاق واشرقت شمس معرفتك على النفوس
اشراقا واي اشراق

ومنهم ابن الخويي احمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى
الشافعي شمس الدين ابو العباس قاضي القضاه اوحد العلماء مجموع الفضايل
دوحة مجد اخضر فرعها ودر للمعصرات ضرعها ومدت الافياء والظلال
وردت الاحياء والضال طال على يد المجتني منعها وطاب ثمرها المثمر
ونبعها جاءت له العلياء وفاقا وجادت له السحب الرواء دفاقا فطنبت
شمسه على السماء رواقا وتطلبت فواضله للنفاق اسواقا ثم حل لدن
المعظم شرف الدين عيسى فحل بيت شرفه وحل مكانا في مقاعد غرفه ثم
لم يتحول من افقه ولا اضاء له ضوء نهار الا بين اصيله وشفقه قال
ابن ابي اصيبعة كان اوحد زمانه في العلوم الحكمية وعلامة وقته في العلوم
الشرعية عارفا باصول الطب وغيره حسن الصورة كريم النفس كثير
الحيا محبا لفعل الخير ملازما للصلاة والصيام وقراءة القران اتصل بالملك
المعظم عيسى فعرف فضله وقرر له الرواتب وقرا عليه الطلبة وانتفعوا به
وكان حسن العبارة قوي البراعة فصيح اللسان بليغ البيان وافر المروءه
ظاهر الفتوة اخذ عن القطب المصري واخذ المصري عن الامام الرازي ثم
ولاه المعظم قضاء الشام وكان عظيم التواضع لطيف الكلام يمشي الى الجامع
الاموي لاداء فرايض الصلوات في اوقاتها ولم يزل على هذا حتى توفي في سن
الشباب في سابع شعبان سنة تسع وثلثين وستمايه قلت
وحكى لي شيخنا الامام شهاب الدين ابو الثناء محمود الحلبي الكاتب قال
لحقت جماعة ادركوا شمس الدين الخويي ايام قدومه دمشق وحدثوني

انه قدم في زي فقير صوفي وكان يلعب ببعض آلات الطرب حتي عرف بذلك
وكان يستدعي به لاجل ذلك والملك المعظم صاحب دمشق اذ ذاك فقيل له عنه
فامر به فاحضر ولعب بين يديه فاعجبه لعبه لاتقان صنعته فجعله من ندمايه
فلما تردد اليه ظهر له علمه وتحقق لديه فضله فاخصه بالمجالسة وقربه
منه فلما خلا القضاء عينه له فاستعفاه فالزمه به حتي وليه فلما ولي القضاء
انقطع عن الملك المعظم ففقده في اوقات انسه فقال له ما لك انقطعت
هذه الليالي فجعل يعتذر والملك المعظم لا يقبل منه ويحثه علي الملازمة علي
عادته فقال له مولانا يعلم ما بقي يتعلق بي وبذمتي من اقضية المسلمين وعقودهم
وما يجمل بي ان اظهر العدالة وابطن الفسق وقد صرت قاضيا ومولانا مخير
ان شاء تركت القضاء وعدت الي ما كنت عليه في خدمته وان شاء تركني
علي القضاء واعفاني لاخلص ذمتي وذمته فقال بل استمر علي القضاء
ودع ما سواه فكان غاية في الخير حتي كان انه لم يكن ذاك

ومنهم الرفيع الجيلي ابو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن
اسمعيل بن عبد الهادي شجرة توقدت نارا واوقدت شنارا فخبطت ثمراتها
وابرت ثمراتها طلعها كانه رؤس الشياطين ونبعها كانه تلف لنفوس
السلاطين وذلك انه والي عدو الدين وتبعه في بعض ما يدين صحب
السامري وسحب في اذيالهم اذيال المساءه ولم يكن بره بالرفيع ولازمته
بالربيع فجد السامري في غيه ومد له من حبال بغيه وكان قد اتخذ له منه
عجلا جسدا واتجر به حتي تفقا منه حسدا حتي سقط في مهواته وسقي
دمه الجبل بل لهواته قال ابن ابي اصيبعة كان من الاكابر في الحكمة
واصول الدين والفقه والعلم الطبيعي والطب وكان فقيها بالعذراوية

يشتغل بها ثم ولي القضاء ببعلبك واقام بها مدة وكان صديقا لامين الدولة
وزير الصالح اسمعيل فلما ملك الصالح دمشق وتوفي قاضيها شمس الدين الخوبي
ولي عوضه وارتفعت منزلته ووقع بينه وبين امين الدولة واثري وكثر
تظلم الناس منه وشكواهم من سوء سيرته فانتهي الي ان قبض عليه وقتل
بعث الي هوة عظيمة قريب بعلبك لا يعرف لها قرار تعرف بمغارة
آدم فكتف ودفع فيها وقال بعض الذين كانوا معه انه لما دفع في تلك
الهوة تحطم في نزوله وكانه تعلق في بعض جوانبها قال فبقينا نسمع انينه
نحو ثلثة ايام وكلما مر يضعف ويخفى حتي تحققنا موته ورجعنا عنه
قلت وقد حكي الثقات انه كان يفتعل الحجة بشهود زور كان
اعدهم علي الرجل ذي الجدة واليسار ويكتبها لمن يطلب الرجل الي مجلسه
ويدعي بالمبلغ عليه فاذا انكر اقام تلك البينة عليه ثم يلزمه بالمال فاذا
قبض كان للسلطان النصف وله ولامين الدولة وللشهود والمدعي النصف
وجري علي هذا مدة ثم كان لا ينصف امين الدولة ففسد ما بينهما وقالوا انه
لما كثر فعل مثل هذا من القاضي الرفيع عرف عليه فصاروا ذوو المال يأتونه
قبل افتعال الحجج فيقدمون له ما يحتفش به فيسكت عنهم فاذا ذكرهم
الامين الخاين له دافع عنهم فاوغر ذلك صدره وكدر له ورده وصدره
حتي حالت به الحال وآل الي ما آل وحكي لي شيخنا الامام ابو الثناء
محمود الحلبي الكاتب قال حدثني شيخنا قاضي القضاه ابن خلكان قال كان
الرفيع ذا كرم وسخاء وكان جاريه لا يقوم ببعض كفايته فكان يحتشم
البلايا ولقد الجاته الضرورة الي ان باع مرة عمامته وانفق ثمنها فلما اصبح
واراد الركوب الي موكب السلطان استعار ما لبسه وركب به **قلت**

وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الاملاك والاوقاف وفيها اسجالات على القاضي الرفيع فلما اتصلت تلك الكتب بمن بعده من القضاة وصلوها اليهم بمن كان قبل الرفيع واضربوا عنه فلم ينفذ له حاكم جاء بعده حكماً الا كتاباً واحداً كان في وقف مدرسة بالمدينة الشريفة النبوية واظن انه انما سومح فيه لتيقن براءته من غرض في ذلك اذ كان لجهة بر ولم يكن هو اول من حكم به ولا اول من نفذ حكم من حكم به ومع هذا لم ار من كبار اهل هذا الشان الا من يجيب منه واحببت التنبيه على ذلك ليعرف عند الحاجة لئلا ينسى بتطاول المدد

ومنهم الشهاب السهروردي المقتول والردي المخذول

جاء بما سحر اعين الناس وحيّر الالباب تحيّر الفطن وحيّز كل الارض الى محل الوطن بخوارق حملت على المخاريق واحلت دمه للمريق فارى ما لا يرى وصوّر ما لم يوجد واتى بما ادعاه بعض ذوي العقول الا انه من المتصوفة من طي الزمان والمكان وجاء بما لم يكن في امكان فخيّل ما لم يكن وهوّن ما لم يهن واضل جبلاً كثيرا واستزل جيلاً كبيرا ولو طال لبثه او خلي مداه الاجل حتى يطول مكثه لاكثر الفساد واكبر البلية وساد لكن الله سلّم وذبحه وكان لو كلم جمادا تكلم قال ابن ابي اصيبعة كان اوحدا في العلوم الحكمية جامعا للفنون الفلسفية بارعا في الاصول الفقهية مفرط الذكاء جيد الفطرة فصيح العبارة لم يناظر احدا الا بزّه ولم يباحث محصلا الا اربى عليه وكان علمه اكثر من عقله حدثني الشيخ سديد الدين محمود بن عمر قال كان شهاب الدين السهروردي قد اتى الى شيخنا فخر الدين المارديني وكان يقول لنا ما اذكى هذا الشاب وافصحه ولم اجد احدا مثله في زماني الا اني اخشى عليه لكثرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه ان يكون ذلك سببا لتلافه قال فلما فارقنا شهاب الدين السهروردي من الشرق وتوجه الى الشام واتى الى حلب وناظر بها الفقهاء ولم يجاره احد فكثر تشنيعهم عليه فاستحضره السلطان الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب واستحضر الاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينه من المباحث والكلام فتكلم معهم بكلام كثير وبان له فضل عظيم وعلم باهر وحسن موقعه عند الملك الظاهر وقربه وصار مكينا عنده مختصا به فازداد تشنيع اوليك عليه وعملوا محاضر بكفره وارسلوها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين وقالوا ان بقي هذا فانه يفسد اعتقاد الملك الظاهر وكذلك ان اطلق فهو يفسد كل ناحية كان فيها من البلاد وزادوا عليه اشياء كثيرة من ذلك فبعث صلاح الدين الى ولده الملك الظاهر بحلب كتابا في حقه بخط القاضي الفاضل وهو يقول فيه ان الشهاب السهروردي لا بد من قتله ولا سبيل انه يطلق ولا يبقى بوجه من الوجوه ولما بلغ شهاب الدين السهروردي ذلك وايقن انه يقتل وليس له جهة الى الافراج عنه اختار ان يترك في مكان مفرد ويمنع من الطعام والشراب الى ان يلقى الله تعالى ففعل به ذلك وكان في اواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وكان عمره نحو ست وثلثين قال الشيخ سديد الدين محمود بن عمر لما بلغ شيخنا فخر الدين المارديني قتله قال لنا اليس كنت قلت لكم عنه هذا من قبل وكنت اخشى عليه منه **أقول** ويحكى عن شهاب الدين السهروردي انه كان يعرف علم السيمياء وله فيه نوادر شوهدت عنه من هذا الفن من ذلك حدثني الحكيم ابرهيم

ابن ابي الفضل ابن صدقة انه اجتمع به وشاهد عنه ظاهر باب الفرج وهم
يتمشون الي ناحية الميدان الكبير ومعه جماعة من التلاميذ وغيرهم وجري
ذكر هذا الفن وبدايعه وما يعرف الشيخ منه وهو يسمع فمشي قليلاً وقال
ما احسن دمشق وهذه المواضع قال فنظرنا واذا من جهة الشرق
جواسق عاليه متدانيه بعضها من بعض مبيضه وهي من احسن ما يكون بناء
مزخرفا ولها طاقات كبار وفيها نساء احسن ما يكون منهن واصوات
المغاني والملاهي ورابنا اشجارا ملتفة بعضها علي بعض وانهارا جارية كبارا
ولم نكن نعرف ذلك قبل ذلك فعجبنا من ذلك وانذهل الجماعة مما راوا قال فبقي
ذلك ساعة ثم غاب عنا وعدنا الي روية ما كنا نعرفه من طول الزمان قال
الا انني في روية تلك الحال العجيبة احس في نفسي كانني في سنة خفية لم
يكن ادراكي كالحالة التي احققها مني وحدثني بعض الفقهاء العجم
قال كنا مع الشيخ شهاب الدين عند القابون ونحن مسافرون عن دمشق فوجدنا
قطيع غنم مع تركمان فقلنا للشيخ يا مولانا نريد من هذا الغنم راسا ناكله فقال
معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها راس غنم لكم فاخذناها فاشترينا راسا
من التركماني ومشينا فلحقنا رفيق التركماني وقال ردوا الراس وخذوا اصغر
منه فان هذا ما عرف يبيعكم يسوي هذا الراس الذي معكم اكثر من الذي
قبض منكم فتقاولنا نحن واياه ولما عرف الشيخ ذلك قال لنا خذوا الراس
وامشوا وانا اقف معه وارضيه فتقدمنا وبقي الشيخ يتحدث معه ويمنيه فلما
ابعدنا قليلا تركه وتبعنا وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به وهو لا يلتفت
اليه ولما لم يكلمه لحقه بغيظ وجذب يده اليسري وقال اين تروح وتخليني
واذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه وبقيت في يد التركماني ودمه يجري

من يده فبهت التركماني وتحير في امره ورمي اليد وخاف فرجع الشيخ واخذ
تلك اليد بيده اليمني ولحقنا وبقي التركماني راجعا وهو يلتفت الينا حتي غاب
ولما وصل الشيخ الينا راينا في يده اليمني منديله لا غير وحدثني
صفي الدين خليل ابن ابي الفضل الكاتب قال حدثنا الشيخ ضياء الدين ابن صقر
رحمه الله ان في سنة تسع وتسعين وخمسمايه قدم الي حلب شهاب الدين
السهروردي ونزل في مدرسة الحلاويه وكان مدرسها يومئذ الشريف رئيس
الحنفيه افتخار الدين رحمه الله فلما حضر شهاب الدين وبحث مع الفقهاء كان
لابس دلق وهو مجرد بابريق وعكاز خشب وما كان احد يعرفه فلما بحث تميز
بين الفقهاء وعلم افتخار الدين انه فاضل فاخرج له منديلا فيه ثوب عتابي وغلاله
ولباس ومقيار وقال لولده تروح الي هذا الفقير وتقول له والدي يسلم عليك
ويقول لك انت رجل فقير وتحضر مجالس الفقهاء في الدرس وقد ارسل اليك
شيئا تلبسه اذا حضرت فلما وصل ولده الي الشيخ شهاب الدين وقال له ما
اوصاه به سكت ساعة وقال له يا ولدي حط هذا القماش وتفضل واقض لي
حاجة واخرج له فص بلخش في قدر بيضة الدجاجة رمانى اللون ما ملك احد
في قدره ولونه وقال تروح الي السوق وتنادي علي هذا الفص ومهما جاب لا
تطلق بيعه حتي تعرفني فلما وصل الي السوق قعد عند العريف ونادي علي
الفص فانتهي ثمنه الي خمس وعشرين الف درهم فاخذه العريف وطلع الي
الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين وهو يومئذ صاحب حلب وقال هذا الفص
قد جاب هذا الثمن فاعجب الملك الظاهر قدره ولونه وحسنه فبلغ به الي ثلثين
الف درهم فقال العريف حتي انزل الي ولد افتخار الدين واقول له واخذ الفص ونزل
الي السوق واعطاه له وقال له تروح تشاور والدك علي هذا الثمن واعتقد العريف

ان الفص من عند افتخار الدين فلما جاء الي شهاب الدين السهروردي وعرفه
بالذي جاب الفص صعب عليه واخذ الفص جعله علي حجر وضربه بحجر آخر حتي
فتته وقال لولد افتخار الدين خذ يا ولدي هذه الاثواب وارجع الي والدك وقبل
يده عني وقل له لو اردنا المملوس ما غلبنا عنه فمضي الي والده وعرفه صورة
ما جرا فبقي حايرا في قضيته واما الملك الظاهر فانه طلب العريف وقال له
اريد الفص فقال له يا مولانا اخذه صاحبه ابن الشريف افتخار الدين مدرس
الحلاويه فركب السلطان ونزل الي المدرسة فقعد في الايوان وطلب افتخار الدين
اليه وقال له اريد الفص فعرفه انه لشخص فقير نازل عنده قال فافكر السلطان
وقال يا افتخار الدين ان صدق حدسي فهذا شهاب الدين السهروردي ثم
قام السلطان واجتمع بشهاب الدين واخذه معه الي القلعة وصار له شان
عظيم وبحث مع الفقهاء في ساير المذاهب وعجزهم واستطال علي اهل حلب وصار
يكلمهم كلام من هو اعلا منهم قدرا فتعصبوا عليه وافتوا في دمه حتي قتل وقيل
ان الملك الظاهر ارسل اليه خنقه قال ثم ان الملك الظاهر بعد مدة
نقم علي الذين افتوا في دمه وقبض علي جماعة منهم واعتقلهم واهانهم واخذ منهم اموالا
عظيمة قال العدل بها الدين الدليلي كنت اصحب الشيخ
شهاب الدين السهروردي الحكيم بحلب فلما اعتقل بقلعة حلب كنا نتردد
اليه وكان تحت القلعة شخص جزار وكان كلما رانا مترددين الي الشيخ يسبه
ويسبنا فلما اكثر حكينا امره للشيخ فقال احتالوا علي ان تاخذوا طوله
وتاتوني به فاحتالوا لذلك واحضروه اليه فامرهم ان يقطعوا عصا علي مقدار
طوله فلما احضروها حز فيها حزا مثل الراس وامر بعض تلامذته ان ياخذ
معه سكينا واذا قال له اضرب يضرب بها فقعد الشيخ وجعل يقرا شيا في

نفسه ثم قال لحامل السكين اقطع فقطع من الموضع الذي حزه واذا صيحة هايلة
تحت القلعة فسالوا عنها فقيل ان الشخص الجزار قد قتل او كما قال حدثني
سديد الدين محمود بن عمر المعروف بابن رقيقه قال كان الشيخ شهاب الدين
السهروردي لا يلتفت الي ما يلبسه ولا له احتفال بامور الدنيا قال وكنت انا
واياه نتمشي في جامع ميافارقين وهو لابس جبه قصيره مضربه زرقا وعلي راسه
فوطه مفتوله وفي رجليه زربول وراني صديق لي وهو الي جانبي فقال ما جيت تماشي
الا هذا الخربندا رفقلت له اسكت هذا سيد الوقت شهاب الدين السهروردي
فتعاظم قولي وتعجب ومضي وحدثني بعض اهل حلب قال لما توفي شهاب الدين
رحمه الله ودفن بظاهر مدينة حلب وجد مكتوبا علي قبره والشعر قديم

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونة قد براها الله من شرف
فلم تكن تعرف الايام قيمته فردها غيرة منه الي الصدف

ومن كلامه قال في دعاء اللهم يا قيام الوجود وفايض الوجود ومنزل
البركات ومنتهي الرغبات نور النور ومدبر الامور وواهب حياة العالمين
امددنا بنورك ووفقنا لمرضاتك والهمنا رشدك وطهرنا من رجس الظلمات
وخلصنا من عسق الطبيعة الي مشاهدة انوارك ومعاينة اضوايك ومجاورة
مقربيك وموافقة سكان ملكوتك واحشرنا اللهم مع الذين انعمت اللهم عليهم
من الملايكة والصديقين والانبياء والمرسلين ∴ ومن شعره قوله

ابدا تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح خ
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم والي لذيذ وصالكم ترتاح خ
واذا هم كفوا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السفاح خ
فالي لقاكم نفسه مشتاقة والي رضاكم طرفه طماح خ

عوذوا بنور الوصل من غسق الجفا فالهجر ليل والوصال صبا ح
وتمتعوا فالوقت طاب لكم وقد رق الشراب ودارت الأقدا ح

وقوله

اقول لجارتي والدمع جاري ولي عزم الرحيل عن الديا ر
ذريني ان اسير ولا تنوحي فان الشهب اشرفها السوا ري
فاني في الظلام رايت ضوءا كان الليل زين بالنها ر
ولم ارضي الاقامة في فلاة وفوق الفرقدين رايت دا ري
وياتيني من الجرعاء برق يذكرني بها قرب الديا ر

وقوله

قل لاصحاب رأوني ميتا فبكوني اذ رأوني حزنا
لا تظنوني باني ميت ليس ذاك الميت والله انا
انا عصفور وهذا قفصي طرت عنه فتخلى بدنا
وانا اليوم اناجي ملأ وارى الله عيانا بهنا
فاخلعوا الانفس من اجسادها لتروا الحق حقا بينا
لا ترعكم سكرة الموت فما هي الا انتقال من هنا

قلت حدثني شيخنا ابو الثناء الكاتب الحلبي رحمه الله عن اشياخه ان الشهاب السهروردي كان لا يقر للملك الظاهر بمعرفة السيمياء وينكر ذلك وكان الملك الظاهر لا يشك في انه يعرف ذلك ويحب ان يراه وكان لا يزال يقول له عن ذلك وهو ينكره ويجحد فلما كان ذات يوم قال له بالله يا مولانا ارني شيا من السيمياء فقال له بسم الله وكان الملك الظاهر واقفا على بركة بريد ان يغتسل فيها ثم ان الملك الظاهر نزل فغطس ثم طلع ومملوكه

واقف بيده منشفه فلما خرج ناوله المنشفه فتنشف ثم قال اين انا فقال له ذلك المملوك هنا في دارك وملكك بحلب فقال والكم لي غايب عنكم فقال قدر ما غطست في الماء فقال ويلك انا لي غايب عنكم سنين وغرقت فما طلعت الا من ساحل بحر عدن وتزوجت امراة هناك بنت خطاب واولدتها اولادا فقال المملوك اعيذك يا خوند بالله واعيذ عقلك ولما قال هذا تغتاظ الملك الظاهر ويقول ويلك تغالطني وتدهيني في عقلي والمملوك يعيد قوله فضحك السهروردي ففطن الملك الظاهر وقال له هذه عملاتك معي فقال له السهروردي لا والله بل هذه عملاتك انت مع نفسك ∴ واجريت ذكره مرة مع الشيخ العارف جمال الدين الحويزاوي شيخ الشيوخ بالديار المصرية فقال كان رجلا جليل القدر من افراد العالم وفضلاء الدهر واعيان اهل التصوف واخذ نفسه في اول حاله بالتجريد واجتهد فيه ولكن غلبت عليه شقاوته وجهل صباه فقتل بسيف الشرع ثم انشد ، وذاك قتيل لا يطل له دم ،

ومنهم الخسروشاهي عبد الحميد بن عيسى شمس الدين ابو محمد نسبة الى قرية تعرف بخسروشاه من قرى تبريز سمر حديث مغرب وقمر مشرق ومغرب قدم الشام فكان ازين له من هشام وحل في ام بلدانه حلول ابن ذي يزن في غمدانه ونزل بالكرك واناخ نزول بالشاذناخ فاسعف واعان وذكر المنازل اهلها بين البلقاء ومعان وافاض في تلك المعالم الاحسان فوق آل غسان استقدمه الناصر داود وقدمه تقديم الودود فنشر علم علمه وشرع مورد يمه وجعل حوضه لمن يمتاح وروضه لمن يرتاح فغدت حضرته محطا للركايب ومحلا للرغايب فكثر من عنده الممتار ورجع ليشهده المشتار ونمى عدد الفضلاء وطمى مدد الفضل في ذلك

الفضاء وتزاحمت الملوك علي خطبته واستزارته من خطته وكهو بذروة
ذلك الجبل ممتنع وبيسير ذلك البلل مقتنع ودابه في زيادة علوم
وافادة خصوص وعموم وايامه بالفضايل مشحونه ولياليه من الرذايل
مصونه ثم اتاه اجله وحل عليه من دين الفناء موجله فاتصلت تلك الروح
الزكيه بعالمها وخلصت من ظلم الدنيا ومظالمها قال ابن ابي اصيبعة
هو امام العلماء وسيد الحكماء قدوة الانام شرف الاسلام تميز في العلوم
الحكميه وحرر الاصول الطبيه واتقن الاحكام الشرعيه ولم يزل دايم
الاشتغال جامعا للفضل والافضال وكان شيخه الامام فخر الدين ابن خطيب
الري وهو من اجل تلامذته ومن حين وصل الشام اتصل بخدمة الملك الناصر
داود ابن المعظم واقام عنده بالكرك وكان عظيم المنزلة عنده وله من الاحسان
الغزير والانعام الكثير ثم اتي دمشق وتوفي بها في شوال سنة اثنتين
وخمسين وستمايه ودفن بجبل قاسيون قال رايته يوما وقد اتاه
بعض فقهاء العجم بكتاب دقيق الخط ثمن البغدادي معتزلي القطع فلما
نظر فيه صار يقبله ويضعه علي راسه فسالته عن ذلك فقال هذا خط
شيخنا الامام فخر الدين ابن الخطيب رحمه الله قلت ولما كان الشيخ
شمس الدين الخسروشاهي عند الملك الناصر داود بالكرك كان جدي
الصاحب جمال الدين ابو المآثر فضل الله وزيرا عنده واتخذت له صحبة بالشيخ
فاخذ معه ولده عمي الصاحب شرف الدين ابا محمد عبد الوهاب رحمه الله
وقدمه للشيخ وقال هذا ولدي واعز ما اقدر عليه وقد قدمته لك فقبله منه
قبولا حسنا واقراه الاربعين في اصول الدين وانتفع به ثم لما اتي الامير الكبير
الحافل جمال الدين ابو الفتح موسي بن يغمور لزيارة الشيخ طلب منه عمي

أن يكون عنده فاثره به ثم اتصل بالملك الصالح ايوب بسببه علي ما ذكرت
ذلك في ترجمة عمي في فواضل السمر ورثي الخسروشاهي جماعة منهم العز
الضرير منها

اصاب العلي شمس العلي عندما استوت واودي بيدر الفضل والفضل كامل
فتي بذل العالمين بعمته فكيف اذا وافيته وهو قابل
اتدري المنايا من رمت بسهامها واي فتي اودي وغال الغوايل
رمت واحد الدنيا وبحر علومها ومن قصرت في الفضل عنه الاوايل
ولو كان بالفضل الفتي يدفع الردي لما غيبت عبد الحميد الجنادل
فبعدك شمس الدين اعوز عالم وابدي الدعاوي في المحافل جاهل

ومنهم السيف الآمدي علي بن علي بن محمد بن سالم سيف الدين
ابو الحسن التغلبي الآمدي سيف لا يعرف التقليد وسيل يشيب لهوله
الوليد لو قابل مناظر حد مضربه وعادل صادر بريق مشربه ساجل فقطع
غمار اللجج وجادل فقطع حجاج الحجج ولم يخل منهله من زحام ولا تصرفه من
زمام فكم جاءت اليه الافواج وتزاحمت في بحره الامواج ونداه ليس وجداه
لا يبرح وجعل مدينة حماه سوقا لفوايده ومعدنا لفرايده وكان قصدها
لا بعد الا في معالي الرتب ولا يزال يرحل اليه علي كور وقتب وهو
علي هذا الازدحام وكثرة من حلق عليه وحام لا يودع الحكم غير اهلها
ولا يدع للشفة الاقدر نهلها فكان لا يزال لديه شفيع لطالب ومتوسل
بخلايقه الاطايب فلم يكن مثله سيف لا يزال يخدمه القلم ويبشر لحلمه
علي جناح الجوزاء العلم وكانت ملوك زمانه تجله ولو قدرت عرفت من نجاد
ممالكها ابن نجلة فقد كان سيفا مشرفيا ومثقفا سمهريا طالما طال

المفارق والطلا وطاب معدنه فلم يحتج الي تمنيق الحابل والحلا هذا وليس
به فلوك من قراع الكتايب ولا ذهول وبحره جم العجايب قال
ابن ابي اصيبعة كان اذكي اهل زمانه واكثرهم معرفة بالحكمة والشريعه
والمبادي الطبيه بهي الصورة فصيح اللسان جيد التصنيف خدم الملك
المنصور صاحب حماه واقام عنده سنين ورتب له الرواتب السنيه فلما
توفي اتي الملك المعظم عيسي فبالغ في الانعام عليه واكرامه وولاه التدريس
وكانت الناس تتعجب له في المناظرة والبحث وقل ان كان يشتغل في العلوم
الحكميه وتشفع العماد السلماسي بابن بصاقة اليه ليقربه فكتب اليه

يا سيدا جمل الله الزمان به واهله جميع العجم والعرب
العبد يذكر مولاه بما سبقت وعوده لعماد الدين عن كثب
ومثل مولاي من جاءت مواهبه من غير وعد وجدواه بلا طلب
فاصف من بحرك الفياض مورده واغنه من كنوز العلم لا الذهب
واجعل له نسبا يدلي اليك به فلحمة العلم تعلو لحمة النسب
ولا تكله الي كتب تنبئه فالسيف اصدق انباء من الكتب

ومنهم البديع الاصطرلابي وهو بديع الزمان ابو القسم
هبة الله بن الحسين بن احمد البغدادي حكيم فاق بنفثه علمه الحكماء
ولم يكف نظره فسيح الارجاء حتي شق السماء ولم يقنع باستقصاء امزجة
البشر حتي سال عن امزجة النجوم ومير ذوات البشر منها والوجوم واتقن
عمل الاصطرلاب ليقوم تحريكه للعضادة مقام جسه للنبض ونظره لما
بين المشارق والمغارب بمحيط ما يجمع الارض هذا مع اتقان بقية فنون
الحكمة وما في غضون ذلك من الامور المهمة علي انه لم يخل الادب من
لطيف نظر وشريف ذكاء وقف به علي ما لا ثنا فيه من محاسن كل نفر قال
ابن ابي اصيبعة فيه من الحكماء الفضلاء والادباء النبلاء
عالم فيلسوف متكلم غلبت عليه الحكمة وعلم الكلام والرياضي وكان
متقنا لعلم النجوم والرصد وكان اوحد اهل زمانه في علم الاصطرلاب وعمله
فعرف به ومن بديع شعره البديع قوله

قام الي الشمس بالاته لينظر السعد من النحس
فقلت اين الشمس قال الفتي في الثور قلت الثور في الشمس

وقوله

قيل لي قد عشقته امرد الخد وقد قيل انه نكريش
قلت فرخ الطاوس احسن ما كان اذا ما علاه الريش

وقوله

كن كيف شئت فانني قد صغت قلبا من حديد
وقعدت انتظر الكسوف وليس ذلك بالبعيد

وقوله في جرع دان وهو الذي يوضع في مجالس الكبراء لصب تكعيب
القدح

اني اذا ما قعدت في ملاء عددت من بعض آلة الفرح
اذا تصدرت في مجالسهم تنغصوا الي بفاضل القدح

وقوله

هل عثرت اقلام خط العذار في مشقها فالخال نقط العثار
او استدار الخط لما غدت نقطته مركز ذاك المدار

ومنهم ابن شبل البغدادي وهو ابو علي الحسين بن عبد الله

ابن يوسف بن شبل حكيم راي الدنيا بعين الاحتقار ونظر كلما فيها بذل الافتقار وزخرت له بحار الحكم فخاض لججها الغمار واذكت له سرجها فجني من غصونها المهل له الثمار وتناهي نظره في المآل فلم يزد بصيرة في الاعتبار ولم يرد زيادة للاختبار الا انه كان جري اللسان مسي الاحسان خرجت به الفلسفة الي مهامهها العريضة فضل في فجاجها الفيح وظل في ذيل انفراجها الفسيح ودام يخبط في سماء سماواتها ويخطب ولا يبلغ خطبه اسماع اهل مداواتها واعزب مساع نطقه ومسالك باطله المموه بحقه تادب بادب الحياء في الوجنات وذو الاعفاء في المقل الوسنات بالطف منه موقعا واعطف لا عنه الاذنين اليه معا ولكنه لم يجد اذنا ولم يلق من يعبر بصيرته فطنا قال ابن ابي اصيبعة مولده ومنشاه ببغداد وكان حكيما فيلسوفا متكلما فاضلا اديبا بارعا شاعرا مجيدا ؛ ومن شعره قوله

بربك ايها الفلك المدار اقصدا ذا المسير ام اضطرا ر
مدارك قل لنا في اي شيء ففي افهامنا عنك انبها ر
وفيك نري الفضاء فهل فضاء سوي هذا الفضاء به تدا ر
وعندك ترفع الارواح ام هل مع الاجسام يدركها البوا ر
وموج ذا المجرة ام فرند علي لجج الدروع له اوا ر
وفيك الشمس رافعة شعاعا باجنحة قوادمها قصا ر
وطوق في النجوم من الليالي هلالك ام يد فيها سوا ر
وشهب ذا الخواطف ام ذبال عليها الدهر يقدح والغفا ر
وترصيع نجومك ام حباب يؤلف بينه اللجج الغزا ر
تمر رقومها ليلا وبطوي نهارا مثلما طوي الازا ر

فكم بصقالها صدي البرايا وما يصدي لمصربها عرا ر
تباري تخنس راجعات وتكنس مثل ما كنس الصوا ر
فبينا الشرق يقذفها صعودا تلقاها من الغرب انحدا ر
علي ذا ما مضي وعليه يمضي طوال مني وآجال قصا ر
وايام تعرفنا مداها لها انفاسنا ابدا شفا ر
ودهر ينثر الاعمار نثرا كما للغصن بالورد انتثا ر
ودنيا كلما وضعت جنينا غذاه من نوايبها ظؤا ر
هي العشواء ما خبطت هشيما هي العجماء ما جرحت جبا ر
فمن يوم بلا امس ليوم بغير غد اليه بنا يسا ر
ومن نفسين في اخذ ورد لروح المرء في الجسم انتشا ر
فكم من بعد ما الفت نفوس جسوما عن مجاثمها تطا ر
وننتظر الرزايا والبلايا وبعد فبالوعيد لنا انتظا ر
ونخرج كارهين كما دخلنا خروج الضب اخرجه الوجا ر
الم تك بالجوارح آنسات فكم بالقرب عاد لها نفا ر
فان يك آدم اشقي بنيه بذنب ما له منه اعتذا ر
ولم ينفعه بالاسماء علم وما نفع السجود ولا الجوا ر
فاخرج ثم اهبط ثم اودي فترب السافيات له شعا ر
فادركه بعلم الله فيه من الكلمات للذنب اغتفا ر
ولكن بعد غفران وعفو يعير ما تلا ليلا نها ر
لقد بلغ العدو بنا مناه وحل بآدم وبنا الصغا ر
وقفنا تايهين كقوم موسي ولا عجل اضل ولا خوا ر

فيا لك لقمةً قد كان منها علينا نعمةً وعليه عا ر
نعاقب في الظهور وما ولدنا ونذبح في حشا الام الحوا ر
فماذا الامتنان على وجود لغير الوجدين به الحنا ر
وكانت انعما لو ان كنا نخير قبله او نستشا ر
اهذا الداء ليس له دواء وهذا الكسر ليس له انجبا ر
تحير فيه كل دقيق فهم وليس لعمق جرحهم انسا ر
اذا التكوير غال الشمس عنا وغال كواكب الليل انتثا ر
وبدلنا بهذي الارض ارضا وطوح بالسموات انفطا ر
واذهلت المراضع عن بنيها لحيرتها وعطلت العشا ر
وغشي البدر من فرق وذعر خسوف للتوعد لا سرا ر
وسيرت الجبال فكن كثبا مهيلات وسجرت البحا ر
فاين ثبات ذي الالباب منا واين مع الرجوم لنا اصطبا ر
واين عقول ذي الافهام فيما يراد بنا واين الاعتبا ر
واين يغيب لب كان فينا ضياؤك من سناه مستعا ر
وما ارض عصته ولا سماء ففيم يغول انجمها انكدا ر
وقد وافته طائعة وكانت دخانا ما لنائرة شرا ر
قضاها سبعة والارض مهدا دحاها فهي للاموات دا ر
فما لسمو ما اعلا انتهاء ولا لسموك ما ارسى قرا ر
ولكن كل ذا التهويل فيه لذي الالباب وعظ وازدجا ر

ومنه قوله

وكانما الانسان فيه عبرة متلونا والحسن فيه معا ر

متصبرا وله القضاء مصرف ومكلفا وكانه مختا ر

وقوله

ثقلت زجاجات اتتنا فرغا حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت ان تطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالارواح

وقوله

قالوا القناعة عز والعفاف غنى والذل والعار حرص النفس والطمع
صدقتم من رضاه سد جوعته ان لم يصبه بماذا عنه يقتنع

وقوله

تلق بالصبر ضيف الهم ترحله ان الهموم ضيوف اكلها المهج
فالخطب ما زاد الا وهو منتقص والامر ما ضاق الا وهو منفرج
فروح النفس بالتعليل ترض به عسى الى ساعة من ساعة فرج

وقوله

بنا الى الدير من درني صبابات فلا تلمني فما تغني الملامات
فكم قضيت لبانات الشباب به غنما وكم بقيت عندي لبانات
ما امكنت دولة الافراح مقبلة فانعم ولذ فان العيش تارات
ثم فاجل في فلك الظلماء شمس ضحى بروجها الدهر طاسات وكاسات
تلوح في اذرع الساقين اسورة تبرا وفوق نحور الشرب جامات
قد وقع الدهر سطرا في صحيفته لا فارقت شارب الخمر المسرات
خذ ما تعجل واترك ما وعدت به فعل اللبيب فللتاخير آفات

ومنهم النصير الطوسي محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين ابو عبد الله الطوسي الفيلسوف رجل ما عرف ايامًا ولا تبرقع بالحياء لثاما اقدم على خالقه

وحصل من السعي على خافقه وتجاهر بالفسوق وتظاهر بالتبضع من السوق
ولم يخف عاقبة التهور ولا التدلي على الشريعة والتسور فلم يزل في فتح احدوثه
وطريق سبيل عهود منكوثه على توسعه في العلم ومعرفته بما به يستتم فقد
كان ذا فضايل غزيرة وفواضل غزيرة واستيلاء على عقول السلاطين واستخفاء
في كيد ولا تبلغه الشياطين مع كرم عميم وكر على مال ولا يبقى معه عديم
وتظاهر بفراغ وطلب فصل رام مثله وراغ ولكن الله اذا اراد لامرء امرا يسره
لفعله وقدره على فعله ليمضي سابق ارادته ويقضي بشقاء العبد او سعادته
ولهذا لج في عمهه ولم يبصر ودام على غيه ولم يقصر فما اقبل على اعتذار ولا
اسمعه المشيب الانذار كان راسا في علم الاوايل لا سيما في الارصاد والمجسطي
فانه فاق الكبار قرا على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي
وغيره وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير
به عليه والاموال في تصريفه فابتنى في مدينة مراغه قبة ورصدا عظيما واتخذ
في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الارجاء وملاها من الكتب التي نهبت من بغداد
والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على اربع ماية الف مجلد وقرر بالرصد
المنجمين والفلاسفة والفضلاء وجعل لهم الجامكيه وكان سمحا كريما جوادا حليما
حسن العشرة غزير الفضايل جليل القدر ذا هيبة حكي لي شيخنا
الاصفهاني انه اراد العمل للرصد فراي هولاكو كثرة ما ينصرف عليه فقال هذا
العلم المتعلق بالنجوم ما فايدته ايدفع ما قدر ان يكون فقال انا اضرب لمنفعته مثالا
القان يامر من يطلع الى اعلا هذا المكان ويدع يرمي من اعلاه طست نحاس كبيرا
من غير ان يعلم به احدا ففعل ذلك فلما وقع كانت له وقعة عظيمة هايلة روعت من
هناك وكاد بعضهم يصعق واما هو وهولاكو فانهما ما تغير عليهما شي لعلمهما بان

ذلك واقع فقال له هذا العلم النجومي له هذه الفايدة يعلم المتحدث فيه ما يحدث
فلا يحصل له من الروعة والاكتراث ما يحصل للذاهل الغافل عنه فقال لا باس
بهذا وامره بالشروع فيه او كما قيل ومن دهائه ما حكي لي عنه شيخنا الاصفهاني
ايضا قال انه حصل له غضب على الجويني صاحب الديوان واظنه قال علاء الدين فامر بقتله
فجاء اخوه اليه وذكر له ذلك وطلب منه ابطال ذلك فقال هذا القان وهولاء القوم
اذا امروا بامر ما يمكن رده خصوصا اذا برز الى الخارج فقال لا بد من الحيلة في
ذلك فتوجه الى هولاكو وبيده عكاز وسبحه واسطرلاب وخلفه من يحمل
مبخرة والبخور يضرم فراه خاصة هولاكو الذين على باب المخيم فلما وصل اخذ يزيد
في البخور ويرفع الاسطرلاب ينظر فيه ويضعه ويسال عن هولاكو ويقول هو سالم
هو سالم يكرر ذلك ويقولون نعم فيحمد الله ويسجد فلما راوه يفعل ذلك دخلوا
الى هولاكو واعلموه وخرجوا اليه فقالوا ما الذي اوجب هذا فقال القان اين هو
قالوا له جوا قال طيب معافى موجود في صحة قالوا نعم فسجد شكرا لله تعالى
وقال لهم هو طيب في نفسه قالوا نعم وكرر هذا ومثله وقال اريد اري وجهه
بعيني الى ان دخلوا اليه واعلموه بذلك وكان وقت لا يجتمع به فيه احد فامر
بادخاله فلما راه سجد واطال السجود فقال له ما خبرك قال اقتضى الطالع في هذا
الوقت ان يكون على القان قطع عظيم الى الغاية فقمت وعملت هذا وبخرت هذا
البخور ودعوت بادعية اعرفها اسال الله صرف ذلك عن القان والطالع
يقتضي ان يخفف القان دماء كثيرة ويفرج عن نفوس كثيرة ليحقن دمه ويفرج عنه
ويتعين الان ان القان يكتب الى ممالكه ويجهز الالجية في هذه الساعة اليها
باطلاق من في الحبوس والاعتقال والعفو عمن له جناية او امر بقتله لعل الله
ان يصرف هذا الحادث العظيم ولو لم ار وجه القان ما صدقت فامر هولاكو في

ذلك الوقت بما قال والحق صاحب الديوان في جملة الناس ولم يذكر النصير الطوسي
وهذا غاية في الدهاء بلغ به مقصده ودفع عن الناس اذاهم وعن بعض الناس
ازهاق ارواحهم قال ابو الصفاء ومن حلمه ما وقفت على ورقة حضرت
اليه من شخص من جملة ما يقول فيها له يا كلب يا ابن الكلب فكان الجواب واما قوله
كذا وكذا فليس بصحيح لان الكلب من ذوات الاربع وهو نابح طويل الاظفار
وانا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الاظفار ناطق ضاحك فهذه الفصول
والخواص غير تلك الفصول والخواص واطال في نقض كل ما قاله هكذا برطوبة
وتأن غير منزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة ومن تصانيفه كتاب المتوسطات
بين الهندسة والهيئة وهو جيد الى الغاية ومقدمة في الهيئة وكتاب وضعه
للنصيرية وانا اعتقد انه ما يعتقده لان هذا فيلسوف واولئك يعتقدون الهية علي
واختصر المحصل للامام فخر الدين وهذبه وزاد فيه وشرح الاشارات ورد فيه
على الامام فخر الدين في شرحه وقال هذا جرح وما هو شرح قال فيه اني حررته
في عشرين سنة وناقض فخر الدين كثيرا ولقد ذكره قاضي القضاة جلال الدين
القزويني رحمه الله يوما وانا حاضر وعظمه اعني الشرح فقلت يا مولانا ما علمت شيئا
لانه اخذ شرح الامام وكلام سيف الدين الامدي وجمع بينهما وزاده يسيرا فقال ما
اعرف للامدي في الاشارات شيئا قلت نعم كتاب صنفه وسماه كشف التمويهات
عن الاشارات والتنبيهات فقال هذا ما رايته ومن تصانيفه التجريد في المنطق
واوصاف الاشراف وقواعد العقائد والتلخيص في علم الكلام والعروض
بالفارسية وشرح الثمرة لبطلميوس وكتاب مجسطي وجامع الحساب في
التخت والتراب والكرة والاسطوانة والمعطيات والظاهرات والباطن
والليل والنهار والكرة المتحركة والطلوع والغروب وتسطيح الكرة والمطالع

وتربيع الدائرة والمخروطات والشكل المعروف بالقطاع والجواهر والاسطوانة
والفرائض على مذهب اهل البيت وتعديل العيار في نقد تنزيل الافكار وبقاء النفس
بعد بوار البدن والجبر والمقابلة واثبات العقل الفعال وشرح مسألة العلم
رسالة الامامة رسالة الى نجم الدين دبيران الكاتبي في اثبات واجب الوجود وحواشي
على كليات القانون ورسالة ثلثون فصلا في معرفة التقويم وكتاب
كرما ما لاون والزيج الايلخاني واكثر ما ورد سبعين وله شعر كثير بالفارسية
وقال الشمس ابن المؤيد العرضي اخذ النصير العلم عن الشيخ كمال الدين
ابن يونس الموصلي والمعين سالم بن بدران المصري المعتزلي وغيرهما قال وكان
منجما لا يبالغ بعد ابيه وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير ان يدخل يديه في الاموال
واحتوى على عقله حتى انه لا يركب ولا يسافر الا في وقت يأمره به ودخل عليه
مرة ومعه كتاب مصور في عمل الدرياق الفاروق فقراه عليه وعظمه عنده وذكر
منافعه وقال ان من منفعته كذا فتسحق مفرداته في هاون ذهب
فامر له بثلثة الاف دينار لعمل الهاون وولاه هولاكو جميع الاوقاف في ساير
بلاده وكان له في كل بلد نايب يستغل الاوقاف وياخذ عشرها ويحمله اليه ليصرفه
في جامكيات المقيمين بالرصد ولما يحتاج اليه من الاعمال بسبب الارصاد وكان
للمسلمين به نفع خصوصا الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم وكان يبرهم ويقضي
اشغالهم ويحمل اوقافهم وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى قال
حسن بن احمد الحكيم سافرت الى مراغة وتفرجت في هذا الرصد ومتوليه صدر الدين
علي بن خواجا نصير وكان شابا فاضلا في التنجيم والشعر بالفارسية وصادفت
الشمس ابن المؤيد العرضي والشمس الشرواني وكمال الدين الايكي وحسام الدين الشامي
فرايت فيه من آلات الرصد شيئا كثيرا منها ذات الحلق وهي خمس دواير متخذة من

نحاس الاول دايرة نصف النهار وهي مركوزة على الارض ودايرة معدل النهار
ودايرة منطقة البروج ودايرة العرض ودايرة الميل ودايرة الدايرة الشمسيه
يعرف بها سمت الكواكب واسطرلاب يكون سعة قطره ذراعا واصطرلابات
كثيرة وكتب كثيرة قال واخبرني شمس الدين ابن العرضي ان النصير
اخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه الا الله واقل ما كان ياخذ
بعد فراغ الرصد لاجل الالات وافراغها واصلاحها عشرون الف دينار خارجا
عن الجوامك للحكماء والقومه وقال الخواجا نصير الدين في الزيج الايلخاني
اني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء منهم المويد العرضي من دمشق والفخر
المراغي الذي كان بالموصل والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس والنجم دبيران
القزويني وابتدانا ببنايه في سنة سبع وخمسين وست مايه في جمادي الاولى
بمراغه والارصاد التي بنيت قبل وعليها كان الاعتماد دون غيرها هو رصد
ابن حيش وله مبني الف واربع مايه سنه وبعده رصد بطلميوس وله الف ومايتي
سنه وخمسه وثمانين سنة وبعده في ملة الاسلام رصد المامون ببغداد وله
اربع مايه سنه وثلثون سنة والرصد الثاني في حدود الشام والرصد
الحاكمي بمصر ورصد بني الاعلم ببغداد وافق فيها الرصد الحاكمي ورصد ابن
الاعلم ولهما مايتان وخمسون سنة وقال الاستاذ ان ارصاد
الكواكب السبعه لا يتم في اقل من ثلث وثلثين سنة لان فيها يتم دور هذه
السبعة فقال هولاكو اجتهد ان يتم رصد هذه السبعة في اثني عشر سنه
فقلت له اجهد في ذلك وكان النصير قد قدم من مراغة الى بغداد ومعه جماعة
كثيرة من تلامذته واصحابه فقام بها مدة لاشهر ومات وخلف من اولاده
صدر الدين علي والاصيل والفخر احمد وولي صدر الدين علي بعد ابيه غالب مناصبه

فلما مات ولي مناصبه اخوه الاصيل وقدم الشام مع غازان وحكم تلك الايام
في اوقاف دمشق واخذ منها جملة ورجع مع غازان وولي ولاية بغداد مديدة
فاساء السيرة فعزل وصودر واهين فمات غير حميد واما اخوهما الفخر احمد
فقتله غازان لكونه اكل اوقاف الروم وظلم

ومنهم القطب الشيرازي رجل يرجع الى خير ويتنجع في اوائل
واخير فلم يخل واديه من منتجع ولا ناديه من حفل قوم مجتمع وكان له من
بني جنكزخان محل حلي بالمنن ترابيه وخلى كمدا الانواء رابيه حتى
اصطفاه السلطان احمد فبعثه الى الحضرة المنصورية رسولا وبلغه من المشرق
بتلك المشاهد سولا فحالت الاقدار دون مراده واحلت له السمام في مراده
فلم يبلغ الرساله ولا سوغ له زمنه الذي اساله وحدثني شيخنا
الاصفهاني قال كان لا يزال بينه وبين خواجا رشيد الوزير بغضاء تفرق
اللحم وتدب دبيب النار في الفحم وكان لا يزال ينغص عليه مقترح ولا يريه
موارده الا مكدره فكانت جدته لا تقوم بتكاليفه ومواده لا تنهض بمصاريفه
على انه كان ينسب الى هنات ومعايب بينات على فضل ينتاب وكرم
لا يرد بعتاب

ومنهم الشيخ صفي الدين الهندي امام لم يبق الا من اعترف بسوده
واعترف منه ببده واشترف به على ما اعيا العيان واخفى البيان وقرب
البعيد ولم يان وكان بحرا يطفح وقطرا يسفح يرجع الى كرم سجايا لو قذف
بها النار لما اضطرمت او سجرت بها البحار لما التطمت الا انه كان لا تطيعه
العبارة اذا نطق ولا يجد رصيف سيله اذا اندفق اخذ عنه اكابر العلماء
بدمشق كابن المرحل وابن الزملكاني وبلغوا به فوق الاماني وحصل به

ابن المرحل علوما كانت نخايا الصدر وامن ابن الزملكاني ان يجزوا النقص
حاله كما يجزوا البدر ولولاه لما اتسع بالشام مجال الكلام ولا طلعت للمعقول شمس
تمحق الظلام وكان على تدفق بحره وتانق سحره لا ينفث سحر في عقد الاقلام ولا
يكتب في نهايته الا ما لا يرضي به في بدايته من الغلام

ومنهم علي بن اسمعيل بن يوسف الامام العلامة القدوة العارف
ذو الفنون الشيخ علا الدين قاضي القضاه شيخ الشيوخ ابو الحسن القونوي
التبريزي جمع الطريقين ونفع الفريقين ولي المنصبين ورعي في جانبيهما
المخصبين فعلا على الالي وارتقى اهل النقي وعلا على مجد ما وصل اليه ذو مجد
ودرس في الاقليمين فاعجب وغرس فيهما كل غرس فانجب ولم يرد اهل العلم والصلاح
الابقيته ولا شهد اهل مصر واهل الشام الا اولويته ذللت له فيهما الرتب وسهلت
عليه الاماني فبلغ اقصى علاهما وطاب به الواديان كلاهما ولد سنة ثمان
وستين وست مايه وتوفي بدمشق سنة تسع وعشرين وسبع مايه في ذي قعده
ودفن لسفح جبل قاسيون بتربة اشتريت له تفقه وتفنن وبرع وناظر قدم
دمشق اول سنة ثلث وتسعين وست مايه فرتب صوفيا ثم درس بالاقبالية
وسمع من ابي حفص ابن القواس وابي الفضل ابن عساكر وجماعة بمصر من الابرقوهي
وطايفة واستوطن مصر وولي مشيخة سعيد السعدا واقام عشرين سنة
يصلي الصبح ويقعد للاشغال الى اذان الظهر وتخرج به الاصحاب وانتفع به
الطلبة خصوصا في الاصول وكان ساكنا وقورا حليما مليح السمت والوجه تام
الشكل حسن التعليم ذكيا قوي اللغة والعربية كثير التلاوة والخير درس
بالشريفية بالقاهرة وبها كان سكنه واشتغاله ثم لما حضر قاضي القضاه
القزويني الى الديار المصرية عوضا عن قاضي القضاه بدر الدين ابن جماعة عينه

السلطان لقضا قضاه الشام فاخرج كارها وكان يقول لاصحابه الاخصا سرا
اخملني السلطان كونه لم يولني قضا الديار المصرية وليت كان عينني لذلك
وكنت سالته الاعفا ولما خرج الى الشام حمل كتبه على البريد معه واظنها كانت
وقر خمسة عشر فرسا او اكثر وباشر المنصب احسن مباشرة بصلف زايد
وعفة مفرطة ولم يكن له نهمة في الاحكام بل رغبته وتطلعه الى الاشغال
والافادة وطلب الاقالة اولا من السلطان فما اجابه وكان منصفا في بحوثه
رتيضا معظما للاثار ولم يغير هيئة التصوف خرج له ابن طغريل وابن كثير
ووصلهما بجملة وشرح الحاوي في اربع مجلدات موجود وله مختصر المنهاج للحليمي
سماه الابتهاج وله التصرف شرح التعرف من التصرف وكان يعرف الاصلين
والمنطق وعلوم الحكمة ويعرف الادب وكان مع مخالفته لابن تيميه وتخطيته
له في اشيا كثيرة يثني عليه ويعظمه ويذب عنه الا انه لما توجه من مصر الى دمشق
قال له السلطان اذا وصلت خل نايب الشام يفرج عن ابن تيميه قال يا
خوند على ماذا حبستموه فقال لاجل ما افتى به في تلك المسالة فقال انما حبس
للرجوع عنها فان كان قد رجع افرجنا عنه فكان ذلك سبب تاخيره في السجن
وكان له ميل الى محيي الدين ابن العربي الا ان له ردودا على اهل الاتحاد وكان
يتحدث على حديث ابي هريرة كنت سمعه الذي يسمع به ويشرحه شرحا حسنا
ويبينه بيانا شافيا وكان يكتب مليحا قويا جاريا قال ابو الصفا ورايته
يكتب بخطه على ما يقتنيه من الكتب التي فيها مخالفة السنة من اعتزال
او غيره

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وكان يترسل جيدًا من غير سجع ويستشهد بالايات المناسبة والاحاديث
والابيات اللايقه بذلك المقام ومات بورم الدماغ بقي به احد عشر
ومات في بستان ضمنه وتاسف الناس لموته اسفا كثيرا

عمّت فضايله فعمّ مصابه فالناس فيه كلهم ماجور

كتب الي ناصر الدين شافع وقد طلب منه شيًا من شعره

غمرتني المكارم الغرّ منكم وتوالت عليّ منها فنون
شرط احسانكم تحقق عندي ليت شعري الجزاء كيف يكون

يقبل اليد الشريفه لا زالت للمكارم مستديمه وفي سبل الخيرات مستقيمه
وينهي ان بضاعة المملوك من كل الفنون مزجاه لا سيما من الادب فانه فيه في
ادني الدرجات وقد وردت عليه اشارة مولانا حرسه الله تعالي في طلب شي من
الشعر الذي ليس المملوك منه في عير ولا نفير ولا حظي منه بنقير ولا قطمير
سوي ما نبذ من الهذيان الذي لا يصلح لغير الكتمان ولا يحفظ الا اللسان
والمسول من فضل مولانا وكرمه المبذول ان يتم احسانا اليه بالستر عليه
فانه وجميع ما لديه من سقط المتاع ولا يعار لسقاطته ولا لنفاسته ولا يباع
والله يويد مولانا ويسعده ويحرسه بالملايكة ويعضده وكتب اليه وقد وقف
علي كتابه الذي سماه مخالفة المرسوم في حل المنثور والمنظوم

مخالفة المرسوم وافقت المني وجازت من الاحسان حصل المفاضل
اثارت علي نجل الاثير اثارة من العلم مفتونا بها كل فاضل

ومنهم القاضي جلال الدين القزويني ابو المعالي محمد ابن
القاضي سعد الدين ابي القسم عبد الرحمن بن عمر بن احمد الشافعي الذي لقي قاضي
القضاه خطيب الخطباء اوحد الايمه مفيد العلماء عمدة الطالبين لسان المتكلمين

من والد الي ذلف ومن مدد ذلك السلف من بيت قضاء وامامه وضرابر
بحر وغمامه ولي ابوه واخوه وتشبهت النظراء ولم يواخوه قدم مع اخيه
الشام وناب عنه بمدينة دمشق واستوطنها وولي الخطابة وسقي فتنها ورقي
اعواد المنابر وهز غصنها وكان صدر المحافل اذا عقدت وصيرفي المسايل اذا
انتقدت واذا جمعت المجالس كان لسانها واذا نظرت المدارس كان انسانها
وكان خرق اليدين وطلق الكرم وان كان بالدين وكان له من سلطانيا نظرة
عناية ترمقه وتكبث به البحر اذا اشبهه تدفقه وكذلك كانت له من نايب
الممالك تنكز حتي اتخذه في حجة رفيقا وجعله له الي الله طريقا ثم تنكر له بحر
فمادت تنسفه امواجه وتلقيه في مهالكها فجاجه ودام السلطان له
علي كرم سجيته وشيم اريحيته فكتب الي تنكز في توليته قضاء القضاه
بالشام حين خلا منصبه وتخلا له مخصبه فاظهر تنكز له المعايب وانشاء
محضره وهو غايب فاصر السلطان علي ولايته وصمم وكمل بادي رايه فيه
وتمم وطلبه الي حضرته مكرما واخذ عنه من نار الثايرة متضرما واوفي عنه
ما اثقل اصره من الديون الذي اتخذها ذلك المنكر له عيبا وانتهب له غيبا
ثم قدم دمشق جامعا بين الخطابة والقضاء وتصرف في الانفاق والامضاء
ثم لم تطل به المدة حتي طلبه السلطان الي حضرته ثانيا وولاه بحضرته القضاء
واظهر به اذ كرهه نايبه الارتضاء وكان له منه المنزلة الرفيعه والمكانة
التي ما ردت قط شفيعه حتي حدثت هنات وجنيت نبات فاعاده الي الشام
علي القضاء فما لبث حتي حل به صرف القضاء وكان ممن قدم وحصل جانبا صالحا
من الفقه واللغة وعلم المعاني والبيان وعلم الكلام واعتني به وبرع فيه واتقن
علم الحكمة اتقانا قل فيه من كان يدانيه واشتهر بحسن البديهة في المجالس والمدارس

ولم يك مقصرًا في شان ولا ثانيًا من عنان وتزيّد في دمشق اكبابه على الاشتغال
وطلب العلم وتحصيله وقرآءة الكتب ومطالعتها ومذاكرة العلماء ومباحثتهم
حكي انه كان لشدة حرصه يحضر بعض خزاين الكتب المشهورة
الموقوفه وكان خازنها لا يرى اخراجها الى عارية احد فكان يقنع منه بان يجلس
عنده يومه كله لمطالعة ما يحتاج اليه منها وانه دام على هذا سنين كثيرة وهو
من بيت تقدم اولوه وتصرفوا في القضاء وولوه وهم من اقرباء القاضي رضي الدين
قاضي قزوين المبعوث منها هو وابن صاحب خن الى حضرة منكوتمر قان
لاحضار طايفة لاقتلاع قلاع الاسماعيلية حين عم ضررهم واستشرى شرهم فبعث
هولاكو بن تولي فتجاوز الحد وقتل ولبى العد وكاد يبلغ بخيله اقصى المغرب وبعث
لامر فجعله طلب ملك لنفسه ولما قدم قاضي القضاه امام الدين ابو حفص
عمر قدم معه اخوه جلال الدين هذا فلما ولي الحكم بدمشق ناب عنه وسد خلل
اخيه لنقص علم كان فيه ثم لما ولي ابن صصري القضاء استنابه ثم خاف منه
وقيل له انه اتفق هو وجماعة من الفقهاء والصاحب ابي يعلى حمزة ابن القلانسي
وطايفة من الرؤساء بدمشق على عمل محضر عليه يحكم فيه بفسقه وانه كتب وهيي
ليحكم به في صبيحة يومه فسارع ابن صصري الى عزله وعجل اعلامه به مع العدول
الثقات فبطل ما عملوا وذهب الصياح بما كانوا بيتوا له وبقي في قلب جلال الدين
من هذا ما لم يكن له معه حيلة الا انه اتفق مع ابن الزملكاني على ادامة تبكيته
في المجالس واظهار جهله وتزييف كلامه وداما على هذا وكان يحتاج الى انه
لا يزال يداريهما ويصانعهما ويضيفهما ويتفقدهما بالعطايا وهما على ما هما عليه من
تتبع عثراته وتقصد مساويه حكي الامين سليمن الحكيم المتطبب
قال حضرت مرة عنده في بستانه بالسهم وهما عنده في يوم قد اضافهما فيه

واحتفل فقال لي اقم اليوم عندنا فاقمت فرايت من تنويع اكرامه لهما ما يتجاوز
الوصف ورايتهما يتغامزان عليه ويتحدثان فيه اذا قام بانواع القبايح وينسبان
اليه غرايب الفضايح فلما انصرفا تقدمت اليه وقلت له قد كان من اكرامك
لهذين الرجلين ما لا تجد وهما يفعلان كذا ويقولان كذا فما الذي يحملك على انفاق
مالك على من تكون هذه افعاله في حقك وهذا باطنه في امرك فقال لي يا اخي انا
والله اعلم منهما ما قلت وفوق ما قلت وانما كيف على هذان رجلان اماما زعمان
فاضلان جريان وما عندهما تقوى وهذا ابن القلانسي كما تعرف واذا اراد استشهد
كل اهل دمشق بان النهار ليل والليل نهار فعل ولم يعجز وهذا قاضي القضاه التقي سليمن
الحنبلي قاض بطاش ويرى ضرري وضررا مثالي من الشافعية قربه ولولا هذا
والله ما داريتهما ولكن احتاج مع وجود هذه البلايا الى مداراتهما من خلف اذني قال
فسكت وعلمت عذره قلت فلما مات ابن صصري وولي الزرعي
خاب امل جلال الدين وكان يظن ان المنصب لا يتخطاه فكان هو وابن الزملكاني
وابن القلانسي ممن حشنوا في امره ما حسنوا حتى سلقته الالسنه وحبت
له الذنوب وعزل ثم صمم السلطان على ولاية جلال الدين وتنكر بعيبه واخر
ما عابه بما عليه من الدين وبولده عبد الله وما هو عليه من سوء السيرة فطلبه
السلطان واوفى دينه وترك عبد الله مقيما بمصر واعاد جلال الدين الى دمشق
حاكما كما تقدم فشرع في معاداة الكبراء واسخاط قلوب الرؤساء وراك المدارس
بين الفقهاء وطلب الفقهاء بالعرض وبقي يقول للرجل تعرض والا تعرض واتاه
رجل من الفقهاء بابيات فقال الشعر للمجالس والفقه للمدارس وبقي النايب
يحبه وقوع مثل هذا منه ويظهر له الاستحسان له ليغري به الناس ويملا عليه
الصدور وكان يريد ذهاب روحه فبينا هو في هذا اذ سال قاضي القضاه بدر الدين ابن

جماعة الاقالة لكبر سنه وعجزه فاقيل وصرف الي بيته مكرما وطلب جلال الدين
وولي قضاء القضاه بمصر عوضه وولي ابنه بدر الدين محمد الخطابة بدمشق عوضه
مضافا الي تدريس المدرسة الشاميه الجوانيه ثم دخل جلال الدين في عين السلطان
ومساه الحظ من خاطره وصار يحدث السلطان في كثير من امور الناس
وقضيت للناس علي يده حوايج ونجحت مطالب وبلغت مآرب فكثر ولده
عبد الله واقتني كرايم الخيل الثمينه وصار يسابق بها الامراء وخدام الادر
السلطانيه ويخالط اولاد الامراء ويتوسع في الابنية واقتناء الجواري الحسان
والمطربات ويتعرض الي امور كثيرة وكان يحمل حب ابيه له علي انه لا يرده
عنها الي ان فاض خاطر السلطان وامتلا عليه وطرد ابنه عنه ثم توسل في
اعادته فاعيد ثم طرده ثم توسل في اعادته فاعيد ثم سعي النشو ناظر الخاص
وابن المرواني والي القاهرة عليه واطلقا فيه السنتهما واوصلا به سعايتهما
وسددا فيه نكايتهما فعزله السلطان واراد تعريضه للهوان فنهض له
فرد الدهر الاصفهاني وقام معه قيام مثله من افراد الدهر وركب الي
سرياقوس وكان السلطان قد خرج اليها بعد ان صرف جلال الدين عن
القضاء واتي قوصون وكان قوصون لا يري الا انه ولد له فلما اتاه قام له
واكرمه وقال له قد جيت اليكم لاجتمع بالسلطان في مصلحة له ولكم ما امكنني
اخفاوها عنكم فقام قوصون لوقته وعرف السلطان بمجيه وبما قال فاكبر
السلطان مجيه وقال قل له يعرفنا بالمصلحة التي راها فقال له فقال اعلم ان
هذا القاضي جلال الدين قاض كبير مشهور في الشرق والغرب وقد زوج
بناتكم وزوجكم واثبت كتب املاككم واوقافكم وحكم لكم احكاما كثيرة
ومتي عزل هكذا وخلي بلا قضاء مع كونه لم يعجز ولا بلغ به الكبر حصل

بهذا التطرق اليه واذا انطرق اليه انتقض عليكم جميع ما حكم لكم به وقال
له من هذا ومثله مما بلغه الي السلطان فقال صدق الشيخ ولو قضاء الشام
كان فامر له به وجهزه اليه فاقام به مدة وتنكر لا يبش به ولا يمكنه متعه
ثم حصل له استرخا وفالج ابطله فاستناب ولده الخطيب عنه في الحكم ولاه
السلطان وبقي يراجع في جلايل الامور الي ان مات ودفن بمقابر الصوفية وهو
ممن اخذت عنه علم المعاني والبيان **وقلت** ارثيه وكتبت بها الي
ولده الخطيب بدر الدين محمد

احقا بان البحر خف معينه ... وان وقور الطود خف رزينه
احقا بان السيف اغمد حده ... بطيف كري ليست تنام جفونه
احقا بان الشمس غاب ضياوها ... وقد بان من بدر التمام جبينه
احقا بان النوء اقلع نايئا ... وآلي يمينا لا تجود يمينه
احقا بان الدر آن ابتذاله ... واهوي من الجفن القريح ثمينه
احقا بان العلم خف نباته ... واضحي فما فاءت عليه غصونه
احقا لقد غاض الندي بجماله ... نعم ومضي تحت التراب خدينه
احقا دعي داعي الردي علم الهدي ... ام الدهر بالعلياء جن جنونه
لقد خر في المحراب لقوي منيبه ... وفي صدر ايوان القضاء مبينه
مضي بجلال الدين كل فضيلة ... واعظمها عند المفاخر دينه
مضي طاهر الاثواب ما شان عرضه ... حسود اذا ما شاء شيئا يريبه
مضي وهو ملء الدست صدرا معظما ... يطول اليه شوقه وحنينه
اذا ما يراع الخط صر صريره ... فما ذاك الا للعويل انينه
نعي باسمه الناعي فما شك سامع ... بان انقضاء الدهر قد حان حينه

تغير ضوء الصبح يوم وفاته فلم يبق في الآفاق من يستبينه
كأن جلال الدين ما كان في الورى اماما لهم حتى اتته منونه
فتى دلفي في الابوة جده ابو دلف هل شبهه او قرينه
سقى قبره الوضاح مثل بنانه سكوب الغوادي لا تغب هتونه
يضاحكه بالسفح بارق ليله تغازله تحت الظلام جفونه
فهل بعد هذا اليوم يدخر الفتى بكاء عزيزا عنده لا يهينه
ارى الخطباء اليوم بعدك البسوا حدادا عليهم في الملابس جونه
ارى منصب الحكم العزيز تضاءلت معاليه وارفضت عليك متونه
ارى المنبر العالي استكن لما به وكان به فوق الشهي مستكينه
ارى قلم الافتاء قد فات وقته وكان نضير الغصن يجني فنونه
ارى منطق التدريس اخرس نطقه واصبح ان قال النهي لا يبينه
ارى مجلس التصدير اقوت رحابه ولم يرض ايداع الصدور ضنينه
لقد اغلق التصنيف ابواب كتبه واغفت لاحداث الزمان عيونه
فمن للمرجي خاب ما كان يرتجي ومات اريحي كريم يعينه
لعمرك ما يجدي الحنين على امرئ تحط باكناف القبور ظعونه
تمهل به يا حامل النعش انه يقطع اصلاب الرجال شطونه
وهل يعلم الآتي الى لحده به بان الهلال المستنير دفينه
لقد عطل الدست الرحيب امامه وفارقه مأمونه وامينه
ووالله ان الموت اكرم نازل بحر ولا يقضي عليه غبونه
فهل ساكن في الدهر ليس يسوءه ومستأمن للدهر ليس يخونه
وذو غرر بالموت الا تغره امانيه في الدنيا نعم وظنونه

لتبك المعالي بالدماء سواكبا اباها ويبكي للبكاء حزينه
فيا ايها الناعي رويدك انه يود بمن ينعي لنا لو تكونه
غلطت اهل قاضي القضاه قضى ردى ام الشام بالزلزال هدت حصونه
ترفق ولا تبغي العلا بوفاته فذكراك ميعاد البكا وضمينه
لعل حزينا يملك الصبر قلبه يجود بصبر فاضل استدينه
فيا سابق الاظعان قدام جلقا وفي التربة الفيحاء يلقى تربه
تعمد بنا تلك القبور فاننا نرود بها روضا جنيا جنينه
وقف بي على ذاك الضريح مسلما فان فؤادي في التراب رهينه
اليك والا لا يا ان صبابة كئيب ولا تبدو عليه شؤونه
تولى ابن ادريس وولت ذاهبا فما عاد للتدريس حرز نصونه
تضعضعت الدنيا فلم يبق مذهب لعمري لقد هز الجبال سكونه
فمن بعده هل في الطريقين سالك وهل لاح في الوجهين بشر يزينه
فكل طريق منه قد سد مذهب وفي كل وجه بان عيب يشينه
ولولا كرام من بنيه اعزة لاوحش منه سيفه ووضينه
ومن مثل بدر الدين بل ليس مثله فما غاض بحر العلم وهو معينه
فما مثل من قد مات في الناس سيد ولا مثل هذا الحي تحمي عرينه

ويعز عليه ان يكتب الى مولانا معزيا او مسليه عمن لم يجد هو ولا جميع اهل الدنيا عنه مسليا وانما هي عادة الايام وسنة الدين والاسلام فالله يعظم اجر مولانا ويرحم ميته ويحسن عزاء الاسلام فيمن شيد بجهاده بناءه وثبته فلقد كان والله من حماة الدين بسيفه وقلمه وكماة الكلام في المدارس والمنابر بعلمه وعلمه فرحم الله تلك المزايا الكرام وفتح لها ابواب الجنة وادخلها

اليها بسلام والعزاء مشترك ومن نظر بعين الحقيقة علم ان الدهر اخذ اقل
مما ترك وتوفي في جمدي الاولي سنة تسع وثلثين عن اربع وسبعين سنة

قلت ولما ولي كراي المنصوري كفالة الشام اتاها وقد هبت به ريح
العدو المتنسم والثغور قد استطار برعب من جاورها قلب بارقها المتبسم طلب
خيل البحر التي جرت العادة بطلبها معونة من البلاد اذا قدم العدو وعدم الهدو
ولم يكن الاضطرار قد بلغ الي حد تطلب فيه المعونه وتحمل به البلاد المؤنه وشرع
النجم ابن هلال في توزيع ذلك الطلب وتفريع ذلك الظلم الذي باء منه بسوء المنقلب
فطلب من جهات الملك والوقف ما كاد يكون لها ثمنا واتخذها له ماكلة حتي كاد
يتفقا سمنا وكان اخا بطنة باطل حتي يكاد يتبجح وجراءة لا يبالي من اي باب منه
علي النار يتولج فاجتمع اهل البلد الي جلال الدين لانه امامهم المتبع وراس المصلين
في الجماعة وهم له تبع فقام هو والعلامة مجد الدين ابو بكر التونسي في درء هذه
المظلمه واخفاء نجم ابن هلال الطالع في هذه الليلة المظلمه فجمعا اهل الجامع
الاموي ومن انضم تحت اعلام الخطابه واسرع الي هذه الدعوة المجابه وخرجوا
بالمصحف العثماني والاثر النبوي وكراي راكب في موكبه قد شمخ العجب بهامته
فحين راهم سال عنهم فلما اخبر الخبر جن جنونه وظن ظنونه فامر الحاجب ان
ياتيهم فيامرهم بالرجوع بالمصحف والاثر ويتقشع سواد ذلك الجمع الذي حضر
ثم ياتيه منهم من يعي عنه الخطاب ويسمع منه الجواب فاتاه الخطيب والتونسي
وقدما اليه الانذار واغلظا ولا سيما التونسي في الانكار فاوما الي الخطيب ليضربه
بيده وامر بالتونسي فرمي وكشف عن جسده ثم ضربه ضربا جاز الحد
في عدده فخرجا والناس تتحرق ولا ماء يطفي النار وتتاكل لهم ولا يجد من انصار
وكان من العجب المقدر وغرائب الاتفاق التي تذكر ان السلطان كان قد
امر بامساك كراي وخرج المجهز لامساكه ثم بقي في وثاق المحبس الي حين
هلاكه ويقال ان التونسي كتب في ذلك اليوم له من الحروف ما كان من
اسباب ما حل به من الصروف اي كراي بخلعة السلطان فركب بها وجلس
في الايوان فاحضر محضر ذلك التشريف معه كتابا قرئ وهو في تلك الحال
وقد ظن ان الدهر عن طباعه قد استحال فاذا فيه المرسوم الي الامراء بامساكه
فامسك وقيد والخلعة عليه ما حلت ازرارها ولا ارته عينه الاماانه عرارها
ولا اجدته الايام الا وفي نفعها ضرارها وكان الخطيب قد كتب الي السلطان
كتابا مضمونه الحمد لله رافع السماء وبانيها وساطح الارض وداحيها ومثبتها
بالجبال ورواسيها ومزيح الملوك عن اسرتها وكراسيها ارسل محمدا صلي الله
عليه وسلم الي الخلايق جميعا دانيها وقاصيها وبعد ذلك لما تقدم المرسوم
الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري الناصري ادام الله ايامه
وجعل النصر وراءه وامامه بان يستخرج من الاملاك التي بالبلاد الشامية حق
اربع شهور ولا يعفي عن وقف ولا عما يكون ليتيم او مسكين فاردنا ان ننبه الذي
رسم بان الاوقاف لا تعفي وان يوخذ من الجامع الشريف ما اخفي فطلعنا في يوم
الاثنين في شهر الاستغفار جمع علماء المسلمين وايمة الدين الذين قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم في حقهم علماء امتي كانبياء بني اسرايل وقد حملنا علي رؤوسنا
كتاب الله المبين واثر سيد الاولين والاخرين حتي نعلم ان الجامع لا يوجب لئن
يوخذ منه حبة ولا يتعرض اليه من في قلبه دين فبدا الينا حاجب الملك الذي
ولاه امور الدين وجعله بجهله حاكما علي المسلمين ولم يمكنا من الدخول الي باب
السلطنة المعظمة حتي نشكوا اليه ضرر المساكين شهد الله العظيم انهم
ما استهابوا ولا هابوا كلام ذي القوة المتين الا جودوا الضرب علي الرؤس

والاكناف والوطن وقد طلع من كان قبلنا الى الذي استفتح البلاد وكان كافرا بالله العظيم فنزل عن ظهر جواده ومشى اليه خاضعا منذللا كالمسكين يتذلل وهو تذلل المستكين وعفا عن العباد والبلاد واوصى جيوشه ان لا يسعوا في الارض مفسدين احتراما لكتاب الله ولآثر سيد الاولين والآخرين فلما طلعنا وردنا خائبين طلب نايب السلطنة اماما من ايمة المسلمين وقد نفخ الشيطان في معاطسه حين خلاه بما كان رهينا اي رهين وجلد ذلك الامام وعمل شيا ما سبقه اليه احد من العالمين وجعل يقول بجهله وقلة عقله وقد امر بقتله احرقني ان كان لك برهان من البراهين فراقب ذلك الامام مولاه وناداه في سره ونجواه يا من لا يشغله شان عن شان ولا تغلطه مسايل السايلين اقض بالحق على الظالم يا ديان يوم الدين ايها العبد الصالح انا خشينا عليك ان تفتتن كما فتن الذين من قبلك ثم تولوا مدبرين فاذا حكم رب السموات والارض ونادى يوم القيامة احشروا الظالمين فكيف ينطق من قد افترى على العلماء والفقهاء وايمة الدين وما احترم كتاب الله الذي انزل فيه ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة نعيم فهذا الكتاب يجتمع عليه فقهاء الديار المصريه ويحكموا فيمن لا خاف يوم تنشر فيه الدواوين وتحشر فيه الخلايق اجمعين وينادي مناد من قبل الله عز وجل هذا يوم يجزي الله المتقين ويخسر فيه الظالمون وقد علم سيدنا ومولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين وهو اعلم بمن كان قبله من الملوك والسلاطين بان لا يوجب ان يوخذ من العامة اموالهم ولا يتعرض اليهم من في قلبه دين الا اذا التقت الفئتان ونودي هذا يوم لا قبله ولا بعده وكانت امراء الدولة قد اضمحل ما عندهم من الاموال والسلاح والخيل فهنا لك عمن تخلف عن ذلك اليوم فقد امسى بما كسبت يداه وهو رهين

واعلم ان ما يسبق احد من خلق الله الى الجنة غير المجاهدين فيجب عليك ان تنصر كتاب الله وكلام الله وتاخذ الحق ممن افترى وطغى فيقف على هذا الكتاب فقهاء الديار المصريه والسلام

ومنهم السيد العبري برهان الدين عبيد الله بن محمد الحسيني العبري الامام العلامة ابن الامام العلامة لسان حيل على الكلام وبيان جل لكشف الظلام سل على الباطل حسامه وجذب من يد خطامه ولي القضاء فارضى واقام سنة وفرضا وهو على ما بلغنا حي يحيا به العالم ويجلا به العواتم ويكف نداه وينم ويامر الدهر فيأتمر ويقف الجواد دون مداه وليتمر قال ـــــ الدهلي ولد بتبريز وهو الآن قد جاوز الستين امام في العقليات منطقها وحكمتها وطبها وله قوة عظيمة في الخلافيات والجدل بحاث مناظر في الغاية لم نر احدا يقدر على التدريس مثله يلقي الدروس في علوم شتى اكثر من ثلثين علما في مشكلات الكتب لافاضل الزمان في كل يوم في بيته ولم يناظره احد الا وغلب معه وكان فقيها في مذهب الامام ابي حنيفة رحمه الله عريقا في اصوله وفروعه مفتيا لهم ثم انتقل الى مذهب الشافعي وحفظ الحاوي على ابن مصنفه جلال الدين محمد وصار اماما في مذهبه اصلا وفرعا يفتي في المذهبين وولي قضاء القضاه بجميع مملكة ايران شرح الطوالع والمصباح في الكلام والمنهاج في اصول الفقه وايلاقي في الطب ونقد الصحايف في الكلام وعمل كتابا في المنطق في يوم واخذ العلوم عن القاضي محيي الدين ابي الحسن ابن ابي الفضل ابن عبد الحميد بن محمد القزويني قاضي القضاه واخذ العقليات عن قطب الدين الشيرازي والعبيدي ووالده وكان من جملة المحققين وروى جامع الاصول عن القطب الشيرازي وشرح السنه عن محيي الدين القزويني وروى عن ابيه

عن شيوخه منهم العلامة سيف الدين الباخرزي قال ــــــ وله نظم مليح وخط حسن وجاه عظيم وحشمة في الغاية وترجمة عند السلاطين اشاد البشر العقد الحادي عشر وله ابن هو شمس الدين محمد قال ــــــ الدهلي هو المشتهر ببيرك فاضل في اكثر العلوم حسن الجد والخط والعبارة ولد سنة عشر وسبع مايه واخذ عن السيد اكثر فضلاء الشرق ومنهم النصير الحلي وروى المشارق عن المروي عن الصغاني

ومنهم الشيخ شمس الدين الاصفهاني وهو محمود ابن ابي القسم ابن احمد ابو الثناء الامام العالم العلامة قدوة العلماء والحكماء والفقهاء والفقراء وارث العلم والحكمه واحد الدهر معلم الوجود شمس اضاءت وسماء على الدنيا فاءت وامام قدم دمشق وهي تحكي بغداذ زمان عمارتها وقرطبة حيث استقلت بنو امية بامارتها لكثرة نجوم العلماء الطالعه وغيوم النعماء الهامعه وابن تيميه ونباح ثمره وابن الزملكاني ولفيف سمره والخطيب القزويني والاجماع عليه في المعقول معقود وحلق المسجد والفقهاء بها قعود فلم يبق الا من اعترف بسودده واغترف منه بيده تخلف في فن الاصول فتنبها الترطيب ولنبي به ابن خطيب الري فضلا عن القزويني الخطيب ولم يعد يلتفت عليه بعد ان قدم في الاصول حلقة اقرا ولا شكت الوجا اليه اقدام القرا طلع صباحا وسطع مصباحا واتى في زي تاجر جاء بمتاع فكانت فرايد الدرر اهون اعلاقه وكتم نفسه وضوء الشمس لا تخفي لوامع اشراقه نزل بدار ابن هلال ودارة الهلال احق بموضعه وطلع بدمشق وافق السماء اولى بمطلعه وترددت اليه العلماء وسعت اليه العظماء واقام بنشر العلوم ومد جناح الفضايل على العموم ويعلم في علم الاوايل ان القطب عليه دار

وان الطوسي وان نشر جناح الطاوس عجز عنه لما طار وان الآمدي امتد معه فقصر في المضمار وان الفارابي لم ينجه منه الا الفرار وان ابن سينا ما نجى سينة من خروفه وهي حمل الفقار هذا الى علوم شرعيه وفهوم لوذعيه ومعرفة بالفقه على مذهب الشافعي يجمع بين قوليه ووجوه للاصحاب ناضرة ناظرة اليه واختلاف في طرق الخراسانيين والعراقيين تتفرق وتجتمع عليه مع علم حديث ما ابن شهاب فيه عنده الا كالاعمش وعربية ما الجاحظ لديه فيها الا كالاخفش وحقيقة ما صاحب كل طريقة بالنسبة اليها معه الا واقف في مجاز وتبحر في تفسير جاء فيه بالاعجاز وغيرهما من كرم ما البحر عنده الا ابخل ولا السيل المنصب من مكانه العالي الا مخلخل ولا الغمام الا وقد تقطعت عراه وغمض جفن لانه كراه وقيدت اذاهم الليل عن سراه كل هذا الى خلق به نتخلق الابرار وتتحقق صفات الاخيار ويدل على ما وراءها من العمل لما فيه نعم عقبى الدار كان في بلده جليلا وفي عدده كثيرا لا نجد مثله الا قليلا صحب السلطان محمد بن خدابنده وكان في سيارته من مدرسي السيارة وهم جماعة كان يقرر ان يكونوا بالارد وحيث خيم السلطان وكان من انظار القطب الشيرازي وامثاله واحسن حالا منه عند خواجا رشيد لما كان يجده في نفسه على الشيرازي ويرمي به طرفه من الغضاضة ويتقصد به جناحه من الاهاضه وكان يعلي شمس شيخنا الاصفهاني ويرفعه ويزين به افق المجالس ويطلعه وكان يحاضره ويباحثه ويفيده العلم ويذاكره وكان يجزل له العطا ويدر له الصلات وينوه بذكره وينبه على احلا له قدره وقرا عليه ابنه الوزير الكبير آخر وزراء الشرق بل ملك الرياسة بحكم الحق امير محمد بن خواجا رشيد وتخرج به وحصل وقدم الشيخ الاصفهاني دمشق واستوطنها فارغا من تلك البلاد

على عظم مكانته فيها وامتلا صدور اهلها بتعظيمه واقام والطلبة تتسامع به
وتتواصل اليه وتاتيه من كل جهة ومكان وكان شيخنا شيخ الاسلام ابن تيميه
يثني عليه احسن الثناء ويصفه بالفضل الوافر والعلوم الجمة قال لي
ما قدم البلاد علينا مثل الشيخ شمس الدين الاصفهاني ورايت شيخنا الاصفهاني
قد زاره مرة فقام اليه ومشا خطوات لتلقيه وعرض عليه ان يجلس مكانه
فابى وكنا في ذلك الوقت نقرا عليه ودخل وانا اقرا في المسح على الخفين من
العمدة في الاحكام الصغرى فقال ابن تيميه للاصفهاني ما نتكلم وانت حاضر
فقال له الاصفهاني الله الله يا مولانا مولانا شيخ السنة وامام العلماء فقال
لي ابن تيميه ما فيها اليوم قراءه اليوم يوم فراغ لسماع فوايد الشيخ واشار الى
الاصفهاني فلبثت ساعة رايت فيها مجمع البحرين ومطلع النيرين فكانا خليجين
يتصارعان وسيفين يتقارعان ثم تركتهما وانا اظن ان مكة قد انطبق
اخشابها وان المدينة قد تلاقت حرتاها ثم طفقت استثبت هل دمشق
قد التقى شرفاها او الارض قد اجتمع طرفاها ثم كنت لا ازال اسمع ابن تيمية
يعظمه وكذلك ابن الزملكاني واما الخطيب فالى غاية لا تبلغ وقال ابن
تيمية مرة في تقرير مدرس حضره جلة العلماء وحضره الاصفهاني فتكلم
رجل من اعيان العلماء فيه فقال ابن تيميه اسكتوا لنسمع ما يقول الشيخ
واشار الى الاصفهاني ثم قال الشيخ شمس الدين بزرك والبزرك هو الكبير
باللغة الفارسية ثم كان الخطيب لفرط محبته في الحكمة وعلم الكلام يدعو
الاصفهاني اليه ويدع من يقرا بحضوره عليه ليستفيد وجرى بينه وبين
ابن جملة مرة نزاع في حديث وكان النقل مع الشيخ فيه فوبخ ابن جملة على
تجريه على مثله ونما به مثله ان يكون كاحد تلاميذه وطلبته الاخذين عنه

واقام الشيخ سنين بدمشق كانما هو مرفوع على الرؤس لافراط التعظيم
والاجلال ثم لما طلب الخطيب الى مصر وولي القضاء بها كان لا يزال يتشوق
ويتشوف الى مقدمه عليه ومقامه بمصر فلما طلبني السلطان شركته
في ذلك وزدت عليه واتصل خبره بالسلطان وطلبه واقبل عليه واكرم
وادنى منه مجلسه وبسطه وانسه وامره بالمقام بحضرته فاقام واجري عليه
مرتبا وابقى عليه معلوم التصدير بدمشق مع الاقامة بمصر للاشتغال بها ثم كنت
يوما انا وقاضي القضاه الخطيب القزويني عند السلطان بالدركاه داخل باب
مسجد ردبني بالادر السلطانيه في عقد عقد لبعض الحرم فاجرى ذكر الشيخ
الاصفهاني وكانت المدرسة المعزيه بمصر المحروسه بمنازل العز قد شغرت
فولاها له ثم بنى له الامير قوصون له الخانقاه التي بالقرافة وكان ينزل في كل
وقت اليه ويقعد قدامه وبين يديه ويقضي كل حوايجه ويبعث بالجمل ليحمل بها اوقا
ويحضرها بنفسه ويكون فيها مثل احد تلاميذ الشيخ وعظمت منزلة الشيخ
عند السلطان وكبرت مكانته في صدره حتى امر قوصون ان يقول له السلطان
يقول لك انت عندنا كبير ومكانتك نعرفها ونريد اننا لا نرد عليك قط في شي
تطلبه منا ونحن نوصيك بانك لا تتحدث في اثنين ثم مهما اردت قل يسمع منك
وهما عبد الله ابن القاضي جلال الدين واوحد ابن اخي الشيخ مجد الدين الاقسرايي
شيخ خانقاتنا بسرياقوس فان هذين الاثنين قد ثبت عندنا نحسهما وما يمكن
ان نقبل فيهما شفاعة قلت فكان الشيخ لهذا لا يرى التثقيل
عند السلطان في شي لئلا يطلب ما يستثقل به ويقضيه رعايه له ثم ان
السلطان ابا سعيد بهادر خان بعث كتابا الى السلطان يطلب فيه انفاذ
الشيخ اليه لاشتياق الوزير امير محمد واهل البلاد اليه واكد في طلبه وجاء

قرينة كتاب من الوزير يقول فيه انه من اولاد الشيخ وتلاميذه وكم يصبر
الولد عن والده والتلميذ عن شيخه وسال الصدقات السلطانيه في تجهيزه
فقال لي السلطان نحن والله ما نسمح بالشيخ ولكن قولوا له قد بعث ابو سعيد
يطلبك هو والوزير واهل تلك البلاد وقد حيوا السلطان بسببك والسلطان
قد جعل الامر اليك فقال الشيخ لا والله ما افارق ظل السلطان ولا استبدل
بهذه البلاد فانا ما فارقت تلك البلاد بنية من يعود اليها فاعجب السلطان هذا
منه كل الاعجاب ووقع منه احسن المواقع وجل في صدره وعظم في عينه
وعرف محله وتحقق مكانته في بلاده وانه مع ذلك لم يرد الا حيث استعلت
كلمة الاسلام وكانت مباعث الانبياء والرسل صلوات الله عليهم ثم لما سعت
نمال النميمه في القاضي جلال الدين وتحتم عزله وكاد يفضي به الامر الي ما اعاذ
الله منه نواب شريعته وعلماء دينه الذي ارتضي قام الشيخ في امره حتي ولي
قضاء الشام علي ما تقدم ذكره في ترجمته ولما طلب السلطان اعيان الفقهاء
للارتياد بعد جلال الدين لم يفصل راياً حتي حضر الشيخ واخذ رايه وكان هو
المعظم في ذلك المجلس والمقدم عند السلطان علي ذلك الجمع الجم ثم ان السلطان
امسك ابن صورة وكان علي نظر الاهراء السلطانية وكان الشيخ مزوجا
بابنته وكان قد اتهم باخذ مال جليل للسلطان وقد امسكه السلطان
وشدد عليه في الطلب فاتي الشيخ بنفسه الي قوصون بسببه فاعتذر اليه
وقال هذه ساعة غضب السلطان ما اقدر اكلمه فيها فقال له الشيخ انا
اتحدث مع السلطان ثم اتاه وطلب الاذن عليه فاذن له فدخل فلما راه وقف
له واكرمه واجلسه الي جانبه وقال له في خير ما جاء الشيخ الا في حاجة
فقال له نعم قال ما هي قال ابن صورة قال خذه والله ما اقدر اردك ولولاك

لكان له حال آخر فخرج الشيخ فاخذه وانصرف **قلت** وهو اليوم
في مصر لاقراء انواع العلوم الشرعيه والعقليه وعلم المعاني والبيان والنحو
والعربيه والافتا وافادة الطلبة والاذن لنبهاء الفقهاء بالافتاء والنشاء
اهل العلم والتحصيل حتي كثر عدد العلماء واختصر به قلم الافتاء ولولاه لحيف
بموت من مات من العلماء لانه اذن لجماعة بمصر والشام وحلب وتقترم به
وقود الاذهان والتهيب وهو ممن قرات عليه اصول الفقه وعلم المعاني
والبيان وممن اذن لي واحسن وجاد بما امكن **ولما** رحل صاحبنا الشيخ
الامام الفاضل بدر الدين ابو عبد الله محمد الشبلي الحنفي الي الديار المصرية
كتبت اليه بسببه كتابا نسخته **الحمد** لله وسلام علي عباده الذين
اصطفي ومنهم واحد الدهر وكفي سيدنا ومولانا ومبصرنا بمصالح آخرتنا
واولانا ومتحفنا بما يقصر منه عن شكرنا اولانا السيد العالم الرباني
المكمل لنقايص الصور والمعاني المسلك علي الطريقه والمملك لازمة الحقيقه
قطب الاولياء وارث الانبياء الامام المجتهد المطلق والبحر المزيد المطبق
الداعي الي سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنه والساعي بما يبلغ من مصالح
الامة في ادني يوم ما يعجز في سنه الحجة الواضحه والمحجة اللايحه آخر
المجتهدين شمس الدنيا والدين معلم المتكلمين امام المتاخرين والمتقدمين
سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل
لا زالت البصاير به منورة والحدايق بسحبه ممطورة والحقايق بعلمه مصونة
والشرايع بذبه عن حوزتها مسورة والبحار الزواخر في مغيض صدره
مغمورة وشمس السماء بضياء شمسه مكورة وارض القدماء لدي رياضه
اليانعة مبورة ومناصب الخط اذا نظرت الي مباسم قلمه تشامت بكعابه

رماحه المدوّن ودول الايام تسعد بخيالات ايامه المطوّن ولا برحت السيوف
تعنو لهممه والسيوف تعز والنفع الى كرمه ولا فتى فتى الدهر وشيخ ابنآئه
ولا انفك انف كل معاند راغمًا بسار ابنآيه ولا كان مكان فوق فرق الفرقد
الأدون ادنى ببابه حتى يلتحق بالزمرة السعدآء ويلقى الله مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدآء خدم بها المملوك على قصوره
وخضوع اسانه التى كان يتطاول بها في العليآء الى شوامخ قصوره مذكرًا بعبودية
قديمة لا يزال لها في كل حين بارقة على اطلاله وقايلة في ظلاله وحايمة على زلاله
ومتشوقه في آفاق الاقمار الى مطلع هلاله وملتفتة الى ما يغض الابصار من
بديع جلاله مع وثوقه بانه ان اغب بتذكاره او غاب وسكت سغبة او هدر
يطلب رعاب لا يلوي لحظة من سيده مطال مطالب ولا يغير عوايد تعهده
وراب مارب ولا يبرح له ذاكر لا ينساه ومؤانس له والدهر قليل المواساه
الأصفوة اخوان بهم يبل الرمق وقليل ما هم ويقل القلق وهو كثير لولاهم
ومنهم السيد الأخ العزيز الشيخ الجليل الامام العالم الفاضل الفقيه المحدث
المفتي مجموع الفضايل فلان الماثل على حضرته المشرفه بها والخايض اليها
ظلم الليالي لا يبالي بجنح غيهبها وهو على ما هو عليه من التحلي بالوفآء في الزمان
الغادر والاتصاف بالصفآء في وقت يبدو فيه الكدر واوله ما يبدو من
الشفق المحمر في لج الصباح الزاخر من ذوي الفضل المتعدد والعلم المتجدد
والذهن الساطع والراي الصايب القاطع واليد التي لم تقصر به في التصنيف
ولم تعذر لسببه فيها تهيب المسامع التشنيف هذا الى ذهن شقت
سرايره وعرفت امايره وتقى صلحت مضغة قلبه لتصلح سايره وقد أمّ
الآن الديار المصرية المحروسة التي هي الآن فلك شمسه وحضرة قدسه

وموضع ثمار العلمآء من غرسه وقد حمل ظماه الى بحره وشق ظلمه الى فجره وجاب
الفيافي في طلب العلم لدبه واشتمل ذيول الفجاج لحصول الاشتمال عليه وله اسوة
بالعلمآء الذين امتدت شمسه النيرة نجومهم وقدحت مشكاته المضيئة فهومهم
وامطرت سحبه الرويه علومهم واطلق اذنه الشريف فلم فتاويهم وشرف
قدره المنيف همم معاليهم ورعى احسانه المطيف ذمم قصدهم لقحمون مناحل
ايامهم ومجاهل لياليهم وهو وان لم يكن اظهر منهم استحقاقا واكثر لاحراز
الفوايد استرافاقا فما هو بدون جماعتهم ولا باضعفهم طاقة عن جهة استطاعتهم
والمملوك ممن يثني بين يدي مولانا عليه باستحقاقه ويصفه بما لا يقدر احد
فيه على شقاقه وسيظهر له ما يزكي شهادة المملوك في الثنآء على فضله
والشكر له وان لم يكن المملوك من رجال هذا المقام ولا من اهله وان لم يكن
• فقف وقفة قدامه تتعلم • وفي هذا كفاية ومقنع وغاية وممتع
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب على يده نسخة اذن
له بالافتآء وهي بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي رفع اقدار العلمآء ونقع بورد الشرايع غلل الظمآء ورفع بصباح
الحق المنير دجى الظلمآء ونصب اعلام الايمة ليهتدي بهم كنجوم السمآء
نحمده على نعمه التي زينت بمجالس العلمآء المعابد وبينت فضل العلم اذ كان
العالم الواحد اشد على الشيطان من الف عابد ونشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة تهتز بها الاقلام وتعتز الويه الايمة الاعلام وتبتز
بايدي حماتها حملة العلم ضوال الاسلام ونشهد ان سيدنا محمدًا عبده
ورسوله الذي هدى به من الاضاليل وحمى من الاباطيل وفضله على الانبيآء
وجعل علمآء امته كانبيآء بني اسرآيل صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ايمة الهدى

وازمّة الندي وتمّة كل خير بيتدا صلاةً متصلةً لا تنتهي الي مدي وسلم
تسليمًا كثيرًا وبعـــــد فلما كان مراد العلم اخصب ما انجح وزمان
الطلب احق ما يبكي علي فايته لو ارتجع وهو الذي تشدّ اليه الرحال وتجدّ اليه
الرحال وتمتطي اليه الهمم وتخاض الليل وتنير الصباح مادت في سواد اللمم
وتركب اليه المرياح وتتخطي اليه الرماح ولم يزل اهل الطلب تفارق فيه
الكري وتشمّر الاهداب للسّري وتنهض وقد اقعد الحرمان اكثر الوري
وتجول في طلبه الافاق وتجوب البلاد والنجوم في المحاق وتغترف الدجي
والقفر وهذا البحر وهذا الرقراق وتتفاوت في هذا ومثله رتب الطلب
وتتباين قصب العلم والطرب ولاهل الحديث الشريف النبوي زاده الله
شرفًا في هذا التوسع مجال وانجح ركايب تاتي عليها رجال عجال ويزداد في توسيع
ذيل الارتحال وتوسيع اردية الاصل قبل حط الرحال من تفقه في الدين وتنبه
وما له خدين واشتغل بمذهب اول الايمة الامام ابي حنيفة رضي الله عنه حتي
ود شقيق الشفق لو نسب الي نعمانه ورفيق اول السلف لو تاخر الي زمانه
وظهر من فضايله ما وضح وضوح النهار واظهر فضوح البحر وفي قلبه النار
وجدل الاقران لما ناظر وعلل السبب في رقة النسيم بلطايفه لما حاضر
وتفتح في هذا المذهب المذهب واذكي ضرام فهمه فيه فكاد يتلهب من دلّه
علمه علي ان طلب العلم فريضة علي كل مسلم وسبب السفور لجلاء كل مظلم اذ
كان العلم هو الذي يتماثل في وجوب طلبه المسلمون ويتفاضل في علو رتبه من
قرا قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وفي الحديث العلماء ورثة
الانبياء وقد جاء من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وقال بعض
السلف لرجل قال له الي متي يحسن بي التعلم قال ما حسنت بك الحياه وطالب

العلم نهم لا يشبع ومغتنم لا يقنع واناء لا يمتلي ومجتهد لا ياتلي فلما اخذ عن
علماء بلده ونقع بما منهله الغدير ولم يغترف غرفة بيده لم يجد ذلك وان كان
البحر الزاخر ناقعًا لاوامه ولا ذلك الخصب الممتد وان امري نافعًا لسوامه
وراي ان تلك الرحاب الفساح في الطلب لا تسعه وان تلك المدد الطوال
التي قضاها في التحصيل لا تقنعه فامّ مصر حرسها الله تعالي حيث هي المصر
الجامع والافق الذي تزينه من علمايه النجوم الطوالع واني لا يريد الا العلم
ولقاء اهله والزيادة منه لو وجد مزيدًا في فضله فلم يدع عمامًا يستسقي ولا
اماما عن مثله يتلقي ولا من يمتاح له من قليب ولا من يرتاح اليه علي بعد فكيف
والمزار قريب حتي كادت ركايبه لا تنهض بما اوسقت وسحايبه لا تبيض بما سقت
وكان فلان هو الذي استفاد وافاد وانتقي واستزاد وضاهي في طلب العلم
سري الغمام وباهي البدور الكوامل وزاد في التمام الذي اقتحم الدجي لا ترهبه
الاسنّه ولا فح الرياح لا تزاحمه الاعنّه وفهم التنزيل فسكنت نفسه المطمئنّه
وعلم الحديث فسلك به طريقًا الي العلم ليسلك الله له به طريقًا الي الجنّه طالما
رفعت اعلام الدين بجداله الذي يمنع وخضعت روس الخصوم بجلاده الذي لا
يصنع ووضعت الملايكة اجنحتها له لانه طالب علم رضي بما يصنع وهو ممن
حصّل من كل علم غاية اوطرفا وحل كل علا وتبوا غرفا واجاد في علم الفقه
وتوجيهه وعلم تشعب طرقه ووجوهه وعرف فيه وجوه الاختلاف ووجوب
الايتلاف ووجود المقتضي للترجيح والمرتضي فيما يفتي به علي الصحيح ومن
اين استنبطت الادله وعرف المعلول والعلّه وتردد الي وقرا علي وبحث
مع افاضل العلماء لدي وناظر بحضوري اماثل الفقهاء فملا اذني وتكرر
حضوره عندي وظهر لي من مدده السجاي ان محلته لا تكدي ورايته

اهلًا للافتاء والتدريس والتصدير وولاية المدارس وغير ذلك مما ينافس
فيه من هذه الرتب العلية المنافس وقد استخرت الله واذنت له ان يطلق
قلمه بالافتاء ويلحق بشبا الكهول في سن الفتاء وان يرشد الضلال
ويرشف من قلمه الزلال ويتصدر لاشغال الطلبه ونشر الفقه على ما يوافق
في النص والقياس مذهبه واقفا فيما يفتي به عند الصحيح الراجح والحق الواضح
والذي عليه نص مذهب امامه الامام ابي حنيفة رضي الله عنه واصحابه ما عليه
الفتوي وعلى ما ترشد اليه مما اوصيه به من التقوي متيقنا انه اطال الله عمره يموت
ويبقي ما كتبت يداه وان الفتيا اذا خرجت من يديه ربما وقعت في ايدي عداه
ثم ان الله سيسأله عما كتب فليعد قبل ان يجيب على الفتوي الجواب وليعد
النظر مما يكتب به فمن اعاد النظر لم يعدم الصواب والله تعالى يمد له اجلا
يسري به في ليل الشبيبة حتى يري صباح المشيب ومهلا لا تجف لانديته
ضرع ندي ولا تخمد لهيب وان يبقيه خلفا في الاسلام وما ذلك من عوايد كرم
الله بعجيب والمسئول من الله ان يوفق ولاة الامور اعزهم الله بعز طاعته
وصرف كلا منهم في الخير وسع استطاعته لاعلاء قدره واستجلاء بدره
واستملاء ما يكنه من العلم الجم في صدره وان يكثروا به في هذا الزمان
عدد الفضل القليل ويأثروا منه الاثر الجميل ويقدموا منه مستحقا لو اجالوا
الفكر لم يجدوا امثلة في هذا الجيل ليصلوا به حبلا لولا مثل هذا في كل وان
لانقرض ويقيموا بنيانا لولا شبه هذا في كل مكان لانتقض وينظروا الاخر
الامة في مدد العلم الذي لولا بقية العلماء وهذا منهم لم يخض فلما وصلت
اليه تلقاها بالقبول وكتبها بخطه اذنا له بالفتوي وكتب الي جوابه
فاجبته بما صورته يقبل الباسط الاشرف الطاهر الزكي

المولوي السيدي الامامي العلامي العاملي الفريدي الاوحدي الحجي المسلكي
العارفي المالكي المخدومي الشيخي الشمسي علم الاعلام شيخ مشايخ الاسلام
مفيد اهل مصر والعراق والشام فرد الوجود ورد الجود منشي العلماء
والمفتيين امام المتكلمين سيف الحق ملجا الخلق جامع الطرق شمس
الافق ولي امير المومنين لا زالت الايام رافلة في حبره والاقلام ناقلة لخبره
والاعلام الشوامخ متضايلة لدي كبره والكرام تعترف بفضله الذي تعد
معه عبرة الغمام من عبره والاحكام لا تطبع حديد مواضيها الا من زبره والسهام
لا تقطع اراؤها الصايبه قطع سيوفه ولا تحز حزايره تقبيلا يؤدي حق شكره
ويوفي بعض نذره ويولي القبيل قبله احسانه ويوصي بنيه باداء ما في ذمته
فرضه ويعجز عن ذكره بلسانه وينهي ورود المثال العالي فقام المملوك له
ووقف على قدميه ووقف لديه معرضا لخدمه ونظر اليه فبهت وحاول
شكرا دني معروفه فصمت واستظل بظل غمامته واستقل سرورا
بسلامته واستقبل الدهر برفع ملامته وتامل كرمه ومد يده الي مدامته
وافضا منه الي فضاء ملؤه الكرم ورسيلة البحر وتلوه الديم فتزاحم الملوك
عليه وكرع في غدير تلك الصحيفه وامن به وقد اوجس البرق في نفسه
خيفه وبايع مودبه الرشيد لما راه لمهدي مهديه خليفه وقلب وجهه في سماء
ذلك السماح وقلبه في سراء تلك المواهب التي لو جاراها البحر قالت له اباك
والطماح وجنبه في نعماء تلك النعم التي خطت اليها الرياح وتخطت الرماح
واستيق مضمونه ولسان محضره في وصف ندي عهده وكرم لم يزل يعدمنه
يدا مجدده وهدي فرق به البحر لما ابصر فرقده ومعروف ما برحت تعرف
به الاعلام وتعرف به الاعلام وتصرف بالفتاوي الاقلام وتشرف القبل

بالمهاوي الي مواطن الاقدام وتلك صدقات مولانا التي شملت من شهد علمه الشريف باستحقاقه ولهذا اطلق فيه رسن قلمه ونبه له وسن طرفه من حلمه واذن له في الافتاء الذي آن الان يشرق في افقه بدره الطالع وليشرق بغصص حسده عدو الطامع فجاء مسرورا من كريم جنابه محبورا باحسانه بعدان حظي بالمثول في فنائه الرحيب واحسن عز المملوك في منابه المولي الشيخ الفقيه الامام العالم الكامل الفاضل الحافظ المحدث المتقن المفتي العلامة اوحد العلماء جمال اهل الافتاء فخر المحدثين شمس العصر بدر الدين الشبلي زاده الله فضلا ولله هو من مستحق قدم مولانا منه اماما وامطر طلبه العلم به غماما وناوله قلم الافتاء وقد توشح بالمدارج ماما وكثر عدد العلماء به وقد قلوا وارشد السواد الاعظم ببدره الطالع ولولاه لضلوا واقل الصدور التصدير منه من مطوي عليه المحاريب احنا ضلوعها وتجري السماء اذلم تر مثله اعين دموعها ووصل ووصف واراه ما كساه فما ظن الا انه عليه من ورق الجنة قد خصف وذكر وشكر وما جاء الا بالمعنى المتداول مما اجمع الناس عليه من احسان مولانا وهو يظن انه قد ابتكر وقال وقال وهيهات ان تبلغ البلاغة او تحيط الفكر وناول المملوك المثال العالي الذي لا مثال له الا ما كتبه كاتب اليمين وذهبه موقد جمر الشفق وكاتب به الدر الثمين وقبله وسابق نهب اللاثمين وحلا بما تضمنه واذا بالبحار الزواخر والرياض الزواهر والسحب الا انها سحب نيسان التي تولد الجواهر والله في مسامحة المملوك في قصور هذا التمثيل وفتور هذا التشبيه الذي كم له مثيل لشيء ماله مثيل ولقد وقع هذا الاحسان بموقع من المملوك وعم سائر القلوب وعد فضل النعم به الا انه

غير محسوب واري المملوك زمان مثوله بين يدي سيده حيث المزار قريب والزمان غر ولولا هذا لم يكن صنعه الجميل بغريب ولقد رام المذكور علي طلاقة لسنه وامتداد رسنه وقدرته علي الكلام وكثرة حسنه ان يعرف المملوك بما اولاه من مننه المتنوعة فما قدر ولا زاد علي انه اعترف انه لا يطيق واعتذر وها هو الآن قد تصدي لما اخذ عن مولانا علمه وحرك له عزمه واحيا الله به موات اموات هذا المذهب واستعاد فوات ما لو لم يدرك مولانا بقية آخر رمقه بهذا ومثله من العلماء لكاد ان يذهب والسنة اهل دمشق كلها بالادعية لمولانا موليهم هذه النعمة بسببه ناطقه وبضايع صنايع مولانا في سوق شكرهم نافقه والمملوك عنهم المترجم ولا دلاله قد طال وثقل سفيل المنهج والمملوك يستعرض المراسيم العالية التي هي طوالع السعود لا ما يدعيه المنجم لا برحت طلبته منزية المطالب مورية الهدي في الغياهب مجرية الاقلام بالافتاء وفي اثارها ولا يلحق رمز الكواكب

ومن فلاسفة المغاربة وحكمائها ومتكلميها من كان بالاندلس

يحيي بن يحيي المعروف بابن السمينة من اهل قرطبة اتقن العلم والحساب وعلم التصور والاكتساب وعانق الصبر والاحتساب وعاني منهم العرحتي اوتي اجره بغير حساب فمات وآخر الحياة الموت ونهاية الدرك الفوت بعد خيرات اثرها ومبرات بقيت وقد اكلت الايام موثرها وعمل صالح بلا اكتراث وعلم نافع يبقي اذا انقطع عمل ابن آدم الا من ثلث قال ابن ابي اصيبعة قال القاضي صاعد انه كان بصيرا بالحساب والنجوم والطب متصرفا في العلوم متفننا في المعارف بارعا في اللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل ورحل الي المشرق ثم انصرف قلت وقد ذكره

ابن المازري وقال قدم علينا مصر حاجًا وتسامع به الناس فاتوه من كل فج وقراوا عليه كتبه وغيرها وحبوه بالذهب وانواع الحباء فلم يقبل لاحد شيئًا وكان متقللاً من الدنيا زاهدًا في حطامها لا يزال يذكر الموت وهو المطلع ويقول ليت امي لم تلدني قال وكان كثير الصدقة والبر ولا سيما اذا راى ذا عجز ظاهر ملازمًا للصلوات في اوقاتها نزل في دار قريبة من المسجد الجامع ليقرب عليه اداء الفرايض في الجماعة وكان اذا صلى ظهر عليه من الخشوع وفيض الدموع ما يكاد يرحمه به من راه قال وكان لا يزال ينشد

اذا نظر الدنيا بصير بحالها تيقن ان الدهر جم المصايب
فمن عارف تصطاده باقتسارها وغر بها تصطاده بالرغايب
فما هي الا سراب بقيعة وما عيشها الا تحلم كاذب
لحى الله مغترًا بها وبصروفها وفي بعضها للمرء كل العجايب

قال ابن المازري واظنها له

ومنهم المرجيطي ابو القسم مسلمة بن احمد من اهل قرطبة مسح الافلاك وقسمها خططا ووسمها وما سامها شططا وكان كانه يعض كواكبها اشراقا وجواريها الكنس اشفاقا اشرق اشراق زهرها وتدفق تدفق المجرة على زهرها ونفض على الافاق صبغة اصلها وذر في مقلة الصباح زرقة كحلها وكان بقرطبة حلية لايام بني مروان وزينة لذلك الاوان اعاد ذاهب زمانهم والركايب ترد عليهم وترد وجوه النجايب اليهم قال ابن ابي اصيبعة كان في زمان الحكم وقال صاعد كان امام الرياضيين بالاندلس في وقته واعلم ممن كان قبله بعلم الافلاك وحركات النجوم وكانت له عناية بارصاد الكواكب وشغف بالمجسطي كتاب بطليموس وله

عدة كتب وانجب له ملأ من التلاميذ الاجلاء ولم ينجب عالم بالاندلس مثلهم ومنهم ابن السمح وابن الصفار وهو اول من اتقن علم الاصطرلاب بالمغرب والزهراي والدماني وابن خلدون **قلت** وقد رايت اصطرلابات من عمله عليها اسمه وكانت غاية في الحسن للعروض التي عملت لها صفايحها الان كواكبها كانت تحتاج الى تحريك لطول المدة منذ عملت ورايت له رسالة في المجنبه والافاقيه كتبتها بخطي لاعجابي بها ثم غالتها يد الضياع وغالبت عليها غلبة الايام التي لا تستطاع

ومنهم ابن السمح ابو القسم اصبغ بن محمد بن السمح الغرناطي المهندس حكيم تعرف له المبار وطبيب تدفع به المضار قيم بتركيب الادويه وتفاضل التفضيل والتسويه احيا الله به القوى الحيوانيه وحفظ النفس الانسانيه سلك بنظره في الابدان وملك ما ليس لاحد به يدان ونظر في تفاريق العضل وتفاريع ما كفى من الاغذية وفضل واستدل بالنبض على ما وراءه وعرف دواءه على الحقيقة وداءه بحدس صحيح حصر حتى ضيق المجاري واتساعها وانحطاط الدرجات في الادوية وارتفاعها الى غير ذلك من اسباب في علوم وحساب ونجوم وامور كان بها يقوم قال ابن ابي اصيبعة كان في زمان الحكم وقال صاعد كان محققا لعلم العدد والهندسة متقدما في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وكانت له عناية بالطب وتواليف حساب وقال اخبرني تلميذه ابو مروان الباسي المهندس انه توفي بغرناطه

ومنهم ابو الحكم الكرماني وهو عمرو بن عبد الرحمن بن احمد بن علي من اهل قرطبة طبيب لا يدق عليه غامض ولا يشق عليه خفاء وامض وكان مقدما في التعاليم ومعظما في الاقاليم وجامعا من القوى النفسانية التقاسيم

واجاد الكلام في احكام الطب واحكام ما يحتاج اليه المستطب وعرف
في القوي الطبيعية المخدومه والخادمه والبداية والخاتمه الي ان ابرز
كل خفيه واحرز قدر الكمية والكيفيه ولم يزل يعود بملاطفته ويعود
بعاطفته حتي انتعشت به الارواح في اجسامها وامنت به من انتهاب
الاقسام واقتسامها وطردت الصحة الامراض وقامت جواهر النفوس بالاعراض
قال ابن ابي اصيبعة هو احد الراسخين في العدد والهندسه وقال
صاعد ان تلميذه الحسين بن محمد المهندس المنجم قال انه ما القي احد يجاريه في
علم الهندسه ولا شق غباره في فك غامضها وتبيين مشكلها واستيفاء اجزايها
ورحل الي المشرق وانتهي الي حران وعني هناك بطلب الهندسه ثم رجع الي
الاندلس واستوطن ثغر سرقسطه وادخل معه رسايل اخوان الصفا وجربايه
فاضلة فيه ونعود مشهورة في الكلي والكي والقطع والشق والبط وغير
ذلك من اعمال الطب ولم يك بصيرا بالنجوم ولا بالمنطق

ومنهم ابن وافد بيت حكمه ونبت حشمه ورئيس طب ومنية محب
عنيت الدول برفع اخمصه ودفع منتقصه وقدمته باستحقاقه لان يكون
مقدما ونيسرد رايه ليفوت السمهري مقوما فلهذا كان مجاريه لا يقدر
له علي لحاق وحاسده ولو كان البدر لا يري الا في المحاق بلطف لو سحب ردنه
الروض لابهج رقيمه او الاصيل المعتد لشفاه وما صح من النسيم سقيمه
لم تمد يد الي مجاذبته ولا طمع في مجانبته قال ابن ابي اصيبعة
هو الوزير ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيي بن وافد
ابن مهند اللخمي احد اشراف اهل الاندلس وذوي السلف الصالح منهم
والسابقة القديمة فيهم عني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وتفهمها ومطالعة
كتب ارسطو وغيره من الفلاسفة وتعقلها قال صاعد وتمهر في
تعلم الادوية وصنف فيه كتابا جليلا لا نظير له جمع فيه ما قاله ديسقوريدس
وجالينوس في الادوية المفردة ورتبه احسن ترتيب قال واخبرني انه
عاني جمعه وترتيبه وتصحيح ما تضمنه من اسماء الادوية وصفاتها وتفصيل قواها
وتحديد درجاتها نحوا من عشرين سنة حتي كمل موافقا لغرضه مطابقا للبغيه
وله في الطب منزع لطيف ومذهب شريف كان لا يري التداوي بالادوية
ما امكن التداوي بالاغذية او كان قريبا منها ثم اذا اضطر الي الادوية لا يري
التداوي بالمركب ما اغني المفرد فان اضطر الي المركب لم يكثر التركيب
بل يقتصر علي اقل ما يمكنه منه وله نوادر محفوظه وغرايب مشهوره في الابراء
من العلل الصعبة والامراض المخيفه بايسر العلاج واستوطن طليطله وكان
ايام ابن ذي النون

ومنهم محمد بن يوسف المنجم اديب غلب عليه التنجيم وعلا قدره
فاخصر بالتقويم وسير الشهب حتي صورها من توليد خاطره وصيرها
علي لسانه بدلا من ناظره وحيرها حتي وقفت له فاصبحت قريحته منها متحيره
واضلها بلالاء انواره فظلت متحيره قال ابن رشيق وشعره صحيح
البناء ملتئم الاجزاء ملموم التواخي كانه قطعة واحده غلب عليه التنجيم كابيه
وكتب ليعلي بن فرح ثم لولده بعده وامتدح نصر الدولة مرات واورد
من شعره قوله

لعمري لئن كنا حليفي صناعة لقد سبقت ريش الخوافي القوادم
فقل للذي استهزا بنا في فعاله مقالي يقظان وعرضك نايم
ستغسل عني الماء فعلك كله وقولي باق والعظام رمايم

تدبّ علي الاعضآء منه عقارب وتنفث في الاحشآء عنه اراقم
فان كان ذا عرض تلوح للومة فعندي ضمادات له ومراهم

ومنهم ابو بكر ابن باجة ابن الصايغ واسمه محمد بن يحيى الاندلسي
أديب زبي من حالق وبلي بحارق ولم يقنع صاحب القلايد بان يضع عليه سمة
الفاسق ذكره ويا بيس ما جآء به في سوقه النافق قال فيه
رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفًا وجنونا وهجر مفروضًا
ومسنونا قال ابن ابي اصيبعة كان علامة في وقته في العلوم
الحكمية وبلي بمحن كثيرة وشناعات سيئة وقصد هلاكه مرات وكان
حافظًا للقران الكريم وقال ابن الامام كان في ثقابة الذهن
ولطف الغوص على تلك المعاني الشريفة الدقيقة اعجوبة دهره ونادرة
الفلك في زمانه وكان من اجل نظاروقته ثم اضرب عن النظر ظاهرًا لما لحقه
من المطالبات في دمه لتسببه واقبل على العلوم الشرعية فراس فيها وزاحم لكنه
لم يلح عليه ضيآء هذه المعارف ولشيه انه لم يكن بعد ابي نصير الفارابي مثله
في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم فاذا قرنت اقاويله فيها باقاويل
ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهما بعد ابي نصير بالمشرق في فتح تلك
العلوم ودونها بان لك الرجحان في اقاويله وحسن فهمه والثلاثة ايمة
دون ريب وانشد له الفتح في القلايد قوله

يا سايقي حيث لا استطيع ادركه ولا اقول غدًا أغدو فالقاه
اما النهار فليل ضم شملته على الصباح فاولاه كاخراه
اعر نفسي بامال مزخرفة منها لقاوك والايام تاباه

وقوله

نفسي اري ذلك النعيم ورتبة مرح ورب البوس وهو سقيم
هيهات ساوت بينهم اجراتهم وتشابه المجنود والمرحوم

وقوله

اقول لنفسي حين قابلها الردى فراعت فرارًا منه تسري الى يمنى
قري تحملي بعض الذي تكرهينه فقد طال ما عبت الفرار الى الاهنا

وقوله

أسكان نعمان الاراك تيقنوا بانكم في ربع قلبي سكان
ودوموا على حفظ الوداد فاننا بلينا باقوام اذا ايتمنوا خانوا
سل الليل عني مذ نآت دياركم هل اكتحلت لي فيه بالنوم اجفان
وهل اغمدت يومًا سيوف بروقكم فكان لها الا جفوني اجفان

ومنهم المبشر بن فاتك وهو الامير محمود الدولة ابو الوفآء الامري
طبيب لو جس نبض البرق لما اختلف او لاطف ما بنافر من الطبايع لأتلف
اعرف باختلال العروق من الخيال بالطروق واهدي الى معالجة الدآء
الدوي من الطفل الى الثدي لو عالج النار لخمدها او البحار لجمدها أو
شكت اليه الفراقد طول السهر لرد عليها غمضها او السحب المتصببة
من الرحضاء لازال ممضها تيسرت على يديه الممتنعات وامنت بحسن
طبه التبعات الا ان ادوآء المنية اعينه وطوارق الاجل بينه فلم
يجد لدآء منيته طبًا ولا لرجآء امنيته طبًا هذا مع ما كان له من اسلاف
وامره وبيت كم لمعتقيه من طواف به وعمره لكنه لم يدافع عنه زمره
ولا تجلت عنه غمره ذكره ما ابن ابي اصيبعة قال كان من
اعيان مصر وافاضل علمآيها يحب الفضايل والاجتماع باهلها واجتمع بجلة

الحكماء واهل الطب واخذ عنهم وكانت له خزاين كتب وكان في اكثر اوقاته
اذا نزل من الركوب لا يفارقها وليس له داب الا المطالعة والتعليق يرى
ان ذلك اتم ما عنده فلما مات عمدت زوجته الى الكتب فالقتها في بركة
ماء كبيرة كانت في وسط الدار ثم شيلت وقد غرق اكثرها وانما فعلت ذلك
لحنقها على الكتب لكونه كان يتشاغل بها عنها

ومنهم الحفيد ابو بكر بن محمد بن زهر فاضل متميز وكامل
الى الاطباء متحيز اخذ من كل علم بحظ وافر وحق ما الفا بزبه الا الظافر
وكان يقيس الامور بانظارها ويحوزها من ساير الاطراف باستحضارها
فاطلع على ربواتها واطلع على هفواتها حتى كاد يعرف نبض البرق في
اختلافه ويحيط علما بكل موافق وخلافه هذا الى آداب ترق وبهب
لطفها النسيم ويسترق ومات وفي يده ازمة الطب وذهب هو
والمستطب ولم يدفع عن حوباته تلك المعارف ولا ذادت من حينه
الاجل المشارف فاستوطن الترب مخليا للترب ومخليا للسرب
فآها ثم آها وويلاه لحسرات لا تتناهى كيف افل مثل قمره وكيف ينقضي
طيب سمره وكيف يذهب مثله من العلماء ويذهب من بين نجوم السماء
وطالما جلا الدجى وانهج طرق الحجى وامتدت نحوه ايدي الخلفاء واعتدت
له بحسن الوفاء وثنت العليا له الوسايد واخدمته الايام والليالي ولا بد
قال ابن ابي اصيبعة فيه هو الامام الوزير الحكيم الاديب الحسيب
الاصيل مولده بمدينة اشبيليه ونشا بها وتميز في العلوم واخذ الطب عن
ابيه وباشر اعمالها وكبر ولم يتغير عليه سوى ثقل السمع حفظ القرآن الكريم
وسمع الحديث الشريف واشتغل بالادب واتقن اللغة وقال الشعر واجاد

في الموشحات وكان متين الدين ملازما للامور الشرعية قوي النفس له
جراة في الكلام ولم يكن في زمانه اعلم منه بالطب لازم عبد الملك الباجي
سبع سنين يشتغل عليه وقرا المدونه لسحنون في مذهب مالك ومسند
ابن ابي شيبة وكان يجذب قوسا وزنه مايه وخمسين رطلا بالاشبيلي ورطلها
مايه وستون درهما وكان جيد اللعب بالشطرنج وخدم الملثمين والموحدين
وبقي الى ايام عبد الله الناصر ابن المنصور يعقوب ومات بمراكش وحكي
انه كان له صديق يلاعبه الشطرنج فراه يوما منقبضا فساله عما به فاخبره ان
له بنتا زوجها من رجل وانه يحتاج في جهازها الى ثلث مايه دينار فقال له العب
وما عليك فان عندي ثلث مايه دينار الاحمسة واستدعى بها فاعطاها له فلما
كان غير بعيد اتاه الرجل بالذهب فقال له الحفيد بن زهر ما هذا قال بعث
زيتونا لي بسبع مايه دينار وقد اتيتك منها بثلث مايه الاحمسة عوض ما اقرضتني
وقد بقيت عندي البقية فقال الحفيد خذه اليك فاني ما اعطيتكه على اني
اعود فيه فقال له الرجل لا تفعل فانني في سعة وثراء فقال له ابن زهر
انت عدوي او صديقي قال بل صديقك واحب الناس فيك فقال ان الصديقين
مالهما واحد فخذه فان لم تفعل عاديتك بسببه فاخذه وشكر له قال
القاضي ابو مروان الباجي وكان المنصور قد قصد ان لا يترك شيا من كتب المنطق
والحكمة باقيا في بلاده وابادكثيرا منها باحراقها بالنار وشدد في ان لا يرجع
احدا يشتغل بشيء منها وانه متى وجد احدا ينظر في هذا العلم او وجد عنده
شيا من الكتب المصنفة فيه فانه يلحقه ضرر عليه ولما شرع في ذلك جعل
امره مفوضا الى الحفيد ابي بكر بن زهر وانه الذي ينظر واراد الخليفة
انه ان كان عند ابن زهر وانه الذي ينظر فيه المنطق والحكمة لم يظهر ولا

يقال عنه انه يشتغل بها ولا بنا له مكروه بسببها ولما نظر ابن زهر في
ذلك وامتثل امر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم وان لا
يبقي شيء منها واهانة المشتغلين بها كان باشبيلية رجل من اعيانها يعادي
الحفيد ويحسده وعنده شر عظيم فعمل محضرا في ان ابن زهر دايم الاشتغال
بهذا الفن والنظر فيه وان عنده شيء كثير من كتبه وجمع فيه شهادات كثيرة
وبعث الي المنصور وكان المنصور حينئذ في حصن الفرج وهو موضع بناه
قريبا من اشبيلية عن ميلين منها صحيح الهوآء بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين
سنة لم تتغير من صحته وكان ابو بكر بن زهر هو الذي اشار ان يبنيه
المنصور في ذلك الموضع ويقيم فيه في بعض الاوقات فلما كان المنصور به وقد
اتاه المحضر نظر اليه ثم امر ان يقبض علي الذي عمله وان يودع السجن ففعل به
ذلك وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه ثم قال المنصور اني لم
اترك ابن زهر في هذا الاحتي لا ينسبه احد الي شيء منه ولا يقال عنه
والله لو ان جميع اهل الاندلس وقفوا قدامي وشهدوا علي ابن زهر بما في هذا
المحضر لم اقبل قولهم لما اعرفه في ابن زهر من متانة دينه وعقله وحدثني
ابو العباس احمد بن محمد الاشبيلي قال كان قد اتي الي الحفيد اثنان يشتغلان
عليه بصناعة الطب فدخلا عليه يوما وبيد احدهما كتاب صغير في المنطق فلما نظر
اليه نهض حافيا ليضربهما وانهزما وهو يتبعهما ولم يرجع الا من مسافة بعيدة
وانقطعا عنه اياما ثم توسلا اليه واعتذرا واظهرا التوبة مما فعلاه فقبل عذرهما
واذن لهما في الدخول عليه مستمرين في قراءة الطب علي عادتهما ثم بعد مدة امرهما
بحفظ القران وقراءة التفسير والحديث والفقه وامرهما بمواظبة الامور
الشرعية وآدابها وسننها وعدم الاخلال بذلك حتي بقي ذلك لهما سجية وطبعا

وعادة قد الفوها ثم بعد ذلك اخرج لهما الكتاب بعينه وقال لهما الآن
صلحتما لقراءة هذا الكتاب وغيره من امثاله وابتدا في اشغالهما فيه فتعجبا
من فعله رحمه الله وهذا يدل علي كمال عقله وتوفر مروته وحدثني
القاضي ابو مروان الباجي قال كان ابو زيد عبد الرحمن بن برجان وزير المنصور
يعادي الحفيد ويحسده لما يري من علو منزلته وعلمه فاحتال عليه في سم قدمه
الي الحفيد في بيض وكانت عنده بنت اخته وكانت اخته وابنتها هذه عالمتين
بصناعة الطب والمداواه ولهما خبرة جيدة بمداواة النساء يدخلان علي المنصور
لا يقبل للمنصور واهله ولدا الا اخت الحفيد وابنتها لما توفيت امها فلما اكل
الحفيد وبنت اخته ذلك البيض ماتا جميعا ولم ينفع فيهما علاج قال ولم يمت
ابو زيد عبد الرحمن بن برجان الا مقتولا قتله بعض اقربايه ∴ ومن شعره
يتشوق الي ولده

ولي واحد مثل فرخ القطا صغير تخلف قلبي لديه
نأت عنه داري فيا وحشتي لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته فيبكي علي وابكي عليه

ومنهم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الامام العلامة
المتقن جامع اشتات الفضايل ركن الدين ابو عبد الله ابن القوبع القرشي
الهاشمي الجعفري المالكي التونسي لبيب متبصر لا يخاف منه التخبيط وطبيب
مكثر لا يوتي عليه من التخليط اتقن العلم اتقانا ودرب العمل اذ كان لا
يغبت له اتيانا هذا الي فضل متسع وسبق وراه كل متبع جد في الطلب
حتي كان جد بله المحكل وغذيه المرجب لا يشكل وكان حسن وخط
المشيب عارضه واسكت معارضه اشد مما كان عارضه واشد معارضه

فلم يمتد معه لمجادل نفس ولا رفع راسه نحو مناظر الا نكس لثاقب فكره
خط عنها قناعها وكثر لكل قريح الجزم قراعها فتقهقر كل متقدم عن
مكانه وعلم ان دونه ما في امكانه لم ار له نظيرا في مجموعه واتقانه واستحضاره
واطلاعه كان مجيدا في الاصول والحديث والفقه والادب واللغة والنحو
والعروض واسماء الرجال والتاريخ والشعر بحفظ للعرب والمولدين
والمتاخرين غاية في الطب والحكمة ومعرفة الخطوط خصوصا خطوط المغاربه
قد مهر في ذلك وبرع واذا تحدث في شيء من ذلك كله تكلم على دقايقه وغوامضه
ونكته حتى يظن سامعه انما افنى عمره في ذلك الفن قال شيخنا
العلامة قاضي القضاه ابو الحسن السبكي وهو ما هو ما اعرف احدا مثل
الشيخ ركن الدين او كما قال وقد راي جماعة ما اتي الزمان لهم بنظير بعدهم مثل
الشيخ وحكي ابو الفتح ابن سيد الناس انه لما قدم الي الديار المصرية
وهو شاب حضر سوق الكتب وابن النحاس شيخ العربية حاضر وكان مع
المنادي ديوان ابن هاني المغربي فاخذه الشيخ ركن الدين واخذ يترنم بقول
ابن هاني

فتكات لحظك ام سيوف ابيك وكوس خمرك ام مراشف فيك

وكسر التاء وفتح الفاء والسين والفاء فالتفت اليه ابن النحاس وقال
له ما ذا الا نصب كثير فقال له الشيخ ركن الدين بتلك الحدة المعروفة منه
والمعرفه انا ما اعرف الذي بريد من رفع هذه الاشياء على انها اخبار لمبتدات
مقدره اي اهذه فتكات لحظك ام كذا ام كذا وانا الذي اقوله اغزل وتقديره
اقاسي فتكات لحظك ام اقاسي سيوف ابيك وارشف كوس خمرك ام مراشف
فيك فاخجل ابن النحاس وقال يا مولانا فلم لا تتصدر وتشغل الناس فقال استخفافا

بالنحو واحتقارا وايش هو النحو في الدنيا او كما قال وحكي ايضا قال
كنت انا وابن الاكفاني ناخذ عليه في المباحث المشرقية فابيت ليلتي افكر
في الدرس الذي نصبح ناخذه عنه واجهد قريحتي واعمل بعقلي وفهمي الي ان يظهر
لي فيه شيء اجزم بان المراد به هذا فاذا تكلم الشيخ ركن الدين كنت انا في
واد وهو في واد او كما قال وحكي المراكشي قال قال لي الشيخ ركن الدين
لما اوقفني ابن سيد الناس على السيرة التي عملها علمت فيها على مايه واربعين موضعا
او ستة وعشرين السهو مني او كما قال ولقد رايته مرات يواقف ابن سيد الناس
في اسماء رجال ويكشف عليها فيظهر معه الصواب قال ابو الصفا
وكنت يوما انا وهو عند ابن سيد الناس فقال قال الشيخ تقي الدين ابن تيميه
عمل ابن الخطيب اصولا في الدين الاصول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الي آخرها فنفر الشيخ ركن الدين
وقال قل له يا عرة عمل الناس وصنعوا وما افكروا فيك ونهض قايما وولى
مغضبا قال واخبرني الشيخ فتح الدين قال جاء اليه انسان يصحح
عليه في امالي القالي فاخذ الشيخ ركن الدين يسابقه الي الفاظ الكتاب
فبهت ذلك الرجل فقال لي نحو عشرين سنة ما كررت عليها وكان اذا انشد
احد شيا في اي معنى انشد فيه جملة للمتقدمين والمتاخرين كانه كان يكرر
عليه تلك الليلة وتولي نيابة الحكم للقاضي المالكي بالقاهرة مدة ثم تركها
تدينا منه وقال يتعذر فيها براءة الذمة وكان سيرته فيها حسنة مرضيه
وكان يدرس في المدرسة المنكتمرية بالقاهرة ويدرس الطب بالبيمارستان
المنصوري وينام اول الليل ثم يستفيق وقد اخذ راحة وقد اخذ كتاب الشفا
لابن سينا ينظر فيه لا يكاد يخل بذلك قال الشيخ فتح الدين قلت

له يوما يا شيخ ركن الدين الي متي تنظر في هذا الكتاب فقال انما اريد ان اهتدي
وكان فيه سآمة وملل حتي في لعب الشطرنج يكون في وسط الدست وقد
نغضه وقطع لذة صاحبه ويقول سئمت سئمت وكذلك في بعض الاوقات
في بحث وقد جرر ذلك المسئلة وكادت تنضج فيترك الكلام ويمضي وكان حسن
التودد يتودد الي الناس ويهنيهم بالشهور والمواسم من غير حاجة الي احد
لانه كان معه مال له صورة ما يقارب الخمسين الف درهم وكان يتصدق
سرا علي اناس مخصوصين ولثغته بالراء قبيحة يجعلها همزة وكان اذا
راي احدا يضرب كلبا او يؤذيه يخاصمه وينهره ويقول له لم تفعل هذا اما هو
شريكك في الحيوانية وكان خطه علي وضع المغاربة وليس بحسن وسمع
بدمشق سنة احدي وتسعين وستمايه علي المسند تقي الدين ابن الواسطي
واستجزته سنة ثمان وعشرين وسبع مايه بالقاهرة باستدعاء فيه نثر
ونظم فاجاب واجاز واجاد نثر ونظم الشعر في لنفسه اجازة

جوي يتلظي في الفؤاد استعاره ودمع هتون لا يكف انهما ن
يحاول هذا برد ذاك بصوبه وليس بماء العين تطفي نا ن
ولوعا بمن حاز الجمال باسره فحاز الفؤاد المستهام اسا ن
كلفت به بدري ما فوق طوقه ودعصي ما يثني عليه ازا ن
غزال له صدري كناس ومرتع ومن حب قلبي شيحه وعرا ن
جري سابحا ماء الشباب بروضه فازهر فيه ورده وبهـا ن
يشب ضراما في حشاي نعيمه فيبدو بانفاس الصعاد شرا ن
وينظم دمعي منه نظم موشر كنور الاقاحي حفه جلنا ن
يعل بعذب من برود رضابه تفاوح فيه مسكه وعقا ن
ويسهر اجفاني بوستان ادعج يحير فكري غنجه واحورا ن
حكاني ضعفا او حكي منه موثقا وخصرا نحيلا غال صبري احتما ن
معني بردف لا ينوء بثقله فيا شد ما يلقي من الجار جا ن
تالف في هذا وذا غصن بانه تؤافت به ازهاره وثما ن
زلال ولكن ابن مني وروده وغصن ولكن ابن مني اهتصا ن
وسلسال راح صد عني كاسه وغودر عندي سكره وخما ن
دنا وناي فالدار غير بعيدة ولكن بعدا صده ونفا ن
وحين درا ان شدا سري حبه احل في البلوي وسله افندا ن

منها

حلت لبليتي من فقدي النوم يومها كما قد حكي ليلي ظلاما نها ن
كتمت الهوي لكن بدمعي وزفرتي وسقمي تساوي سره وجها ن
ثلث سجلات علي بانني امام غرام قل فيك اشتبا ن
اروي بنظمي في العذار وتارة بمن ان يعن القرط اصغي سوا ن
وجل الذي اهوي عن الحلي رتبة ولما بقا رب ان يدب عذا ن
اراحة قلبي كيف منك عذابها وجنة قلبي كيف منك اسعا ن

وتوفي الشيخ ركن الدين المذكور بالقاهرة في تاسع ذي الحجة سنة ثمان وثلثين
وسبع مايه واعتل يومين ومضي الي رحمة ربه الرحيم ومولده سنة اربع
وستين بتونس وله من التصانيف التي دونها تفسير سورة ق في مجلد
ولما تولي الاعادة في المدرسة الناصرية عمل درسا في قوله ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا وعلق ما املاه في ذلك وكان رحمه الله قد قرا
النحو علي يحيي بن الفرج بن زيتون والاصول علي محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس

وقدم مصر عام تسعين وسمع بدمشق من ابن الواسطي وابن القواس وسماه
من المحدث ابن مرزر

ومنهم محمد بن ابرهيم المتطبب صلاح الدين المعروف بابن البرهان
الجرايحي عالم لا يحصر بامد ولا يجي البحر عنده غير ثمد نظر في علوم الاوايل
ووجهه ما تلثم بعذاره ولا بعد عهده بزمان اعذاره ففتح اطباق تلك النواويس
حتي استل علومها وسال عليمها ونقل الي حفظه خبايا اسرارها وخفايا
اسفارها وحيي به ما مات في لحود رممها وفات بخمود هممها واستقل بتلك
الاعباء واستمل منه طرايف تلك الاعيا فحصل ما كان طالبا وحش
بانفاقه ما جاء جالبا قرا الطب علي ابن النفيس وغيره وقرا الحكمة وآخر ما قرا
كتاب الشفا لابن سينا علي شيخنا الاصفهاني كان يتردد اليه من القاهرة
الي الخانقاه القوصونية بالقرافة لا يعنيه الا القراءة عليه ولم يزل حتي احكمه
قراءة وبحثا واستشراحا وكان طبيبا حكيما فاضلا متفلسفا قايلا
بالروحانيات له ميل الي النجامة ومخاطبات الكواكب وتطلع الي
الكيمياء يتحدث فيه ويصحح قول المتقدمين في صحتها وحكي لي
انه كان يصحب ابن امير يعرف بابن سنقر الرومي وانه كان يعملها وصحت
معه طرف منها وكان يحكي عن هذا ابن سنقر الرومي عجايب وغرايب منها
انه عمل له فسقية معقودة في تربة له بالقرافة لها منافس للهواء فلما تجزت
اتخذ له غذاء مركبا مما يخف مقداره وتكثر تغذيته ونزل الي تلك الفسقية
وامره بتعهده في كل اسبوع ويجدد له الماء وانه بقي يتعهده كذلك وكلما اتاه
بعد اسبوع وجده قد تزايد ضعفه عما فارقه عليه حتي كان رابع اسبوع قال او
خامسه الشك مني اتيته فوجدته قد غارت عيناه وخفت حسه حتي ظننت

انه قد مات فحملته انا وآخر كان قد اطلعه علي حاله معي واخرجناه ونقطنا
في فمه نقطا من الشراب واذكينا عنده الارايح لنغذوه بها ثم لم نزل
نتعهده الي ان نقطنا مرقة فروج في فمه فافاق ولم يكلمنا ودمنا علي هذا
حتي كلمنا وقال لي لا جزاك الله خيرا حلت بيني وبين ما حاولته من الانتقال
الي ما كنت اريد الانتقال اليه الي خير من هذا العالم ثم قال ادركني بفاصد
فقلت والله لا افعل فقال يا اخي لا تفعل ادركني به ولا تدع ينزل من دمي الا ما
قل لتري العجب فاتيته بفاصد ففصده ولم ادعه ينزل من دمه الا ما قل ثم
شددت يده فقال احفظ هذا الدم في زجاجة وسد راسها لا يفسد بالهواء
ففعلت ثم قال ايتني بقرعه وانبيق فاتيته به فاداره ثم سكب ذلك الماء
عليه فاستحال فضة بيضاء فتركته عندي الي ان عاد الي معهود صحته
وقويت قواه ثم خرجنا الي جهة الخارقانيه وكان له بها تعلق ثم امرني ان
اذهب الي بلبيس لابيع تلك الفضه واتيه من عرضها بما كل فذهبت بها الي صايغ
هناك فاريته اياها وانا خايف وجل لا يظهر له منها عيب فيظن اني اردت
التحوه عليه فاخذها واعتبرها فلما صحت معه سارع الي مشتراها مني فاخذت
من الثمن شوا وحلوا وفاكهه وغير ذلك وفضل معي ثمان مايه وثلثون درهما
او كما قال فاتيته بذلك فاكلنا ثم قال خذ الدراهم ولا جزاك الله خيرا لكونك
تسببت في عودي الي هذا العالم التعب **قلت** وكان هذا الطبيب
عارفا بالطب علما لا عملا لا يحسن العلاج ولا يطول روحه علي العليل كثير
النزاقة عديم التلطف كارها للاطباء زمانه لا يذكر احدا منهم ولا يذكر له
الا ذمه واطلق لسانه في معايبه وكان يقول هولاء اليهود قد ارتفع راسهم
وامتلاوا فوق وسعهم علي جهلهم وقلة حاصلهم يعني الشديد الدمياطي وفرج الله

ابن صغير ولا يزال يتوقد غيظاً منهما وحسداً لهما لرغبة السلطان والامرآء
والكبرآء فيهما اكثر منه وما كان تحصل لهما من الخلع والاطلاقات ويصل
اليهما من دور السلطان والامرآء لافراط ميل النسآء الي طبهما وملاطفتهما
ثم كان اذا ذمهما يقول لمن يثق به وهذا ابرهيم ابن المغربي هو مادة عز
هولاء اليهود وكنز غناهم وبه بطروا وحلقوا وهذه اللفظة بعينها وكان لا
ياكل في اليوم والليلة الا اكلة واحدة موقتة من الظهر الي الظهر
وكان يحب لبن الضان ويكثر اكله صحبناه مرة في بلاد الصعيد وكان هو
قد تقدم مع طقزدمر الي بوتيج الجارية في اقطاعه واخبرني انه لم يادم في تلك
السفرة علي طول ايامها بشي غير اللبن الامرات بسيرة وقال هو غذآء صالح
وللجسم به الف من اول زمان الرضاع وكان انه كان ينشفه ويلقي فيه طاقات
من النعنع والملح وياكله وكان واسع النعمة كثير المال ومات اخوه وورث
منه مالا كثيرا فازداد ماله ضعفا علي ضعفه وكانت له متاجر الي اخميم
وقوص واسوان وساير بلاد الصعيد وكان يري في نفسه الغضاضة لتقدم
ابن المغربي عليه في رياسة الاطبآء ويتشكي هذا الي اصحابه وسال السلطان
في الاعفآء من قطعه الخدمة فقال لا ما نعفيك انت عندنا عزيز كريم ونعرف
انه افضل من ابرهيم يعني ابن المغربي واحق ولكن ابرهيم صاحبنا وله علينا
حق خدمه وطيب قلبه فاستمر وراي انه لم يبق له الا مصافاة ابن المغربي
فخطب اليه اخته فتزوج بها لقصد الاستصلاح له لا للزواج وكان رجلا
مسيكا مفرط البخل مقترا علي نفسه مضيقا عليه مع عظيم القدرة والامكان
وكان لا ياكل الا من الظهر الي الظهر كما ذكرناه اسوا اكل ويلبس اردي
ملبوس ويركب حمير الكرآء ومع هذا كان من المعتبرين يجلس مع الشهود الموقعين

تحتشما لا تكسبا وله وجاهة عند الامرآء والوزرآء والكبرآء والحكام معظما
في الصدور ويشار اليه بالانامل ولم يصنف مصنفا ولا طلع له تلميذ ولا عرف
بغرابة في طبه وعرف الدولة بماله قبل موته وخلف اموالا جمة ورثها السلطان
عنه قلت وقد كان رحمه الله لنا صديقا صدوقا وصاحبا ملاطفا
وكان يحدثني بدقيق امره وجليله ويطلعني علي ما عنده من تقديم الرئيس
جمال الدين ابرهيم ابن المغربي عليه وينسبه الي انه يقصد قتله واغتياله
بالسم والامر خلاف ما ظنه وضد ما توهمه ولم يكن جمال الدين ممن تخافه لمكانة
جمال الدين المكينة عند السلطان ولكرم خلايقه وبعده من تقلد دم حرام
لا سيما دم مثله وقد كنت اقول له ليرجع عن سوء رايه فيه واوهامه فلا يرجع
ولا يفيد القول ثم تزوج في اخر عمره باخت جمال الدين علي عدم حاجته بالنسآء
كما يقال واظهر الصفآء وباطنه علي كدره واعتقد انه لم يزل علي هذا الي انتهاء
عمره قلت وحكي لي انه جلس يوما علي حانوت العطار الذي كان
يجلس عنده وطلب منه شرابا ليشربه فناوله شرابا مسموما قال فلما
شربته احسست بالسم وبدت في علاماته فاسرعت القيام الي داري
واخذت خرزة بادزهر حيواني كانت عندي وسحلتها ثم اذقت السحالة
بما ورد علي مسن ثم لعقتها فزالت تلك الاعراض لوقتها ولم يمض بياض
ذلك النهار حتي اكلت طعامي ولم يعين من دس ذلك عليه وما اراد والله اعلم
الا جمال الدين ابن المغربي وقد تقدم القول في بعد جمال الدين من ذلك قلت
وقد كان ابن البرهان دخل اليمن واتصل بصاحبها الملك المويد داود رحمه الله
وخدمه مدة وحصل من جهته مالا طايلا كان منه اصل نعمته وراس ماليه
ثم فارقه وعاد الي مصر وكانت كتبه لا تنقطع عنه وصلاته تصل اليه وكان

يعرض الكتب التي ترد عليه علي السلطان فيامره لقضاء حوايجه وكانت
الكتب تتضمن طلب كتب طبية وعقاقير مصرية ومغربية مما يجل السلطان
عن طلب ذلك منه ويجهز الي ابن البرهان ذهبًا لمشتراه فكان يتولي
ذلك ويقوم في هذه الخدمة بنفسه قلت ولقد قرات كتابًا
منها له بالخط المويدي ومضمونه بعد البسملة كتابنا هذا الي عند بابنا المعمور
وولينا العبد الشكور الحكيم الجليل الفاضل المعتمد الثقة صلاح الدين
معتمد الملوك والسلاطين ادام الله توفيقه ومراشده واسعد مقاصده
نامره عنا بتسليم عادة انعامه من حامله وهو مايتا دينار مصرية مع
ما معها برسم مشتري الحوايج المطلوبة من الديار المصرية وهو ثلث مايه دينار
وقد اشتملت التذكرة المجهزة طيها علي ذكره فيقف عليها وينجز المطلوب
ويتخيره ولا يقطع مطالعاته عن ابوابنا المعمورة ان شاء الله هذه صورة
الكتاب ولفظه بنصه وعليه اسمه داود بن يوسف وقد ذكرت ذلك
ليعلم فقد لا يخلو من فايدة

ومنهم ابن الاكفاني محمد بن ابرهيم بن ساعد الانصاري

شمس الدين ابو عبد الله السنجاري المولد والاصل المصري الدار حكيم تكلم
في الجوهر والعرض وعرف اسباب الصحة والمرض وبرهن علي الطب
وموضوعاته والعلاج وتبعاته دقق في العلم حتي اوضح معالمه الوضعية
وبين الفرق في القوي الطبيعية وجال نظرًا في التشريح وقال فيه
بالتصريح وذكر ترتيب الشريان علي المنازل ومكان الصاعد والنازل
بكلام جلاه وكمال مكن علاه ولهذا ساد في اهل عصره وعاذ بالظفر من
قام بنصره واهل مصر يظنون انه لولا مس الماء لا لتهب او لمس التراب

لاحاله الي الذهب يدعي ان له علمًا يقلب الاعيان اسرع من ادراك العيان
لعلوم لم يضرب دونها سترًا وبيان اتقنه وان من البيان لسحرا ؞
ذكره الفاضل ابو الصفاء الصفدي وقال فاضل جمع اشتات العلوم
وبرع في علوم الحكمة خصوصًا الرياضي فانه امام في الهيئة والهندسة والحساب
له في ذلك تصانيف واوضاع مفيدة وقال قرات عليه قطعة جيدة
من كتاب اوقليدس وكان يحل لي فيه ما اقراوه عليه بلا كلفة كانما هو
ممثل بين عينيه فاذا ابتدات في الشكل شرع هو فيسرد باقي الكلام
سردًا واخذ الميل ووضع الشكل في حروفه في الرمل علي التخت وعبر عنه
بعبارة جزلة فصيحة بينة واضحة كانه ما يعرف شيًا غير ذلك الشكل
وقرات عليه مقدمة في وضع الاوفاق فشرحها الي احسن شرح وقرات عليه
اول الاشارات وكان يحل شرح النصير الطوسي باجل عبارة واحلي اشارة وما
سالته عن شي في وقت من الاوقات مما يتعلق بالحكمة من المنطق والطبيعي
والرياضي والالهي الا واجاب باحسن جواب كان ما كان البارحة يطالع تلك
المسئلة طول الليل واما الطب فانه امام عصره وغالب طبه بخواص
ومفردات ياتي بها وما يعرفها احد لانه يغير كيفيتها وصورتها حتي لا
تعلم وله اصابات غريبة في علاجه واما الادب فانه فريد فيه يفهم
نكته ويذوق غوامضه ويستحضر من الاخبار والوقايع والوفيات
للناس قاطبة جملة كبيرة ويحفظ من الشعر شيًا كثيرًا الي الغاية من شعر
العرب والمولدين والمحدثين والمتاخرين وله في الادب تصانيف ويعرف
العروض والبديع جيدًا وما رايت مثل ذهنه توقد ذكا لسرعة ما لهاروته
وما رايت فيمن رايت اصح ذهنًا منه ولا اذكر واما عبارته الفصيحه الموجزه

الخالية من الفضول فما رأيت مثلها كان ابن سيد الناس يقول ما رايت من
يعبر عما في ضميره بعبارة موجزة مثله انتهي قال ابو الصفاء
لم ار امتع منه ولا افكه من محاضرته ولا اكثر اطلاعا منه علي احوال الناس
وتراجمهم ووقايعهم ممن تقدمه وممن عاصره واما احوال الشرق ومتجددات
التتار في بلادهم في اوقاتها فما كانت القصاد تجي اليه والملطفات تتلي
عليه بحيث انني كنت اسمع منه ما لم اطلع عليه من الديوان واما الترقي
والعزايم فيحفظ منها جملا كثيرة وله اليد الطولي في الروحانيات والطلاسم
وما يدخل في هذا الباب قال وقرات عليه من تصانيفه ارشاد
القاصد الي اسني المقاصد واللباب في الحساب ونخب الذخاير في معرفة
الجواهر وغنية اللبيب عند غيبة الطبيب وممالم اقراه عليه من تصانيفه
كشف الرين في امراض العين قال وانشدني لنفسه

ولقد عجبت لعاكس للكيمياء في طبه قد جاء بالشنعاء
يلقي علي العين النحاس يحلها في لمحة كالفضة البيضاء

وله تجمل في بيته وملبسه ومركوبه من الخيل المسومة والبزة
الفاخرة ثم انه اقتصر وترك الخيل والي علي نفسه ان لا يطب احدا
الا ببيته او في المارستان او في الطريق وهو غاية في معرفة الاصناف
من الجواهر والقماش والالات وانواع العقاقير والحيوانات وما يحتاج اليه
البيمارستان ولا يشتري بالبيمارستان المنصوري شي ولا يدخل اليه الا
بعد عرضه عليه فان اجازه اشتراه الناظر وان لم يجزه لم يشتر البته وهذا
اطلاع كثير وخبرة تامة لان البيمارستان يريد كل ما في الوجود مما يدخل
في الطب والكحل والجراح وغير ذلك واما معرفة الرقيق من المماليك

والجواري فاليه المال في ذلك ورايت المولعين بالصنعة يحضرون اليه ويذكرون
له ما وقع لهم من الخلل في اثناء اعمالهم فيرشدهم الي الصواب ويدلهم علي اصلاح
ذلك الفساد ولم اره شيا يعوزه من كمال الادوات غير ان عربيته ضعيفه
وخطه اضعف من مرضي مارستانه ومع ذلك فله كلام حسن ومعرفة
باصول الخط المنسوب والكلام علي ذلك انتهي ما ذكره ابو الصفاء
قلت هذا رجل اجتمع بي وتردد الي غير مرة وجاريته الحديث
كرة علي كرة وهو كما ذكره من الحديث الممتع والكلام المطمع وقرات
عليه ولقد كنت التقط من اثناء كلامه ثمرات الحكم واستدل
له بمجاراته علي سعة اطلاع ووفور مدد ورايت له في هذا ما لم اره لاحد
وكان يستجهل الاطباء ويستبعد طرق معالجاتهم ويستبشع كريه
وصفاتهم ويقول انا اعالج المرضي بما لا يستكره كهذه الادوية الكريهة
التي يصفها الاطباء واعطي القدر اليسير مما يستطاب فيقوم مقام
الكثير مما يعطونه مما لا يستطاب ويكون ما اعطيه من نوع الغذاء
وهو يقوم مقام الدواء وحكي لي القاضي ضياء الدين يوسف ابن
الخطيب انه احتاج الي استفراغ فعرض ما به علي الاطباء واستوصفهم
فقالوا هذا يحتاج الي خمسة ايام تتقدم قبل استعمال دواء وشرعوا في وصف
دواء يشتمل علي عقاقير كثيرة كريهة فلم اجد لي قابلية علي ما قالوه
فقلت لابن الاكفاني فقال تحصل القصد ثم اتاني ببرنية فيها شراب
حماض وقال كلما اردت قيام مجلس العق من هذا الشراب لعقة قال فلعقت
منه تسع لعقات فقمت تسعة مجالس وزال ما كنت اشكوه ثم كنت
في كل حين العق من ذلك الشراب وكلما لعقت لعقة قمت مجلسا لا يخالف

عند القيام عند اللعقات ولم يحرم معي هذا وحكي لي الصدر مجد الدين
السلامي نحو ذلك ومع هذا كله وما لا يجحد من فضله لا يقول الاطباء مصر الا
انه طرقي لا طبيب • واي حسن ما له من يعيب
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا انه لذميم •

فاما اول من استخرج الطب فرجلان

لم يعد بعدهما بارع في لجام ولا بعدهما الا خالع الالجام جليا كل مبهم وجليا
كغرة الادهم فالاول

اسقلبينوس بن زيوس متطبب لا يقرن باهل الجد الا اذا
هزل ولا يقرب من مطمح النجم الا اذا نزل يجله من تعقله ويجهله من
ظن انه مع البحار الزاخرة قد تمقله عزت اليه الحكماء طبها واعزت
خطبها لما اخذ عنه من علم جليل كم اعاذ من مندم وصان من دم وقبر
اعمي واثر نعمي واخمد من نار سوء المزاج العايث ما تضرم حتي لم يبق جسم
نحيل يتوجع ولا ام عليل تتفجع طب طب غير عاجز وعلاج ولاج علي العلل لا
يرده حاجز ترفوا به الاعلاء ملابس صحتها وترفل بطبه الاصحاء في مجرور
ذيل فسحتها قد اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطببين علي انه اول
من ذكر من الاطباء واول من تكلم في الطب علي طريق التجربة وكان
يونانيا ولليونان جزيرة كانت للحكماء من الروم ينزلونها فنسبوا اليها
وقال ابو معشر بلدة من المغرب كانت تسمي ارغس وكان
اهلها يسمي ارغيا ثم سميت اثينا وسمي اهلها اليونان وكان ملكها احد
ملوك الطوايف واول من اجتمع له ملك اثونيا من اليونانيين لوليوس
وكان لقبه دقاطر ووضع لهم سننا كثيرة مستعملة عندهم وقال

ابو سليمان السجستاني هو امام الطب وابو اكثر الفلاسفة قال وينسب
اليه اقليدس وافلاطون وارسطو وابقراط واكثر اليونانية قال وكان ابقراط
هو السادس عشر من اولاده يعني البطن السادس عشر قال وسولن
اخوه هو ابو واضعي النواميس ويقال ان اسقلبينوس انكشف له
امور عجيبة من احوال العلاج بالهام الهي ويحكي انه وجد علم الطب في
هيكل كان لهم برومية كان يعرف بهيكل ابلق ثم عرف به وكان بيتا
يحجون اليه وحج اليه جالينوس اذ عوفي من دبيلة قتالة عرضت له وقد
حكي صاحب تاريخ الاطباء انه كانت فيه صورة تكلمهم عندما
يسالونه وقال جالينوس ان طب اسقلبينوس كان طبا الهيا
وقال ان قياس الطب الالهي الي طبنا قياس طبنا الي طب الطرقات
وقال ابقراط ان اسقلبينوس رفع في عمود من نور وقيل انه
كان يستشفي بقبره وكان يسرج عليه كل يوم وليلة الف قنديل وكان
الملوك من نسله وتدعي له النبوة وكان اولاده عالمين بالطب وقال
ابو الوفاء ابن فاتك ان اسقلبينوس كان تلميذ هرمس ؞ ويزعم ان هرمس
هو ادريس عليه السلام وقيل بل كان اسقلبينوس تلميذ اغاثاديمون
المصري ومعني اسمه السعيد الجد ويزعم انه احد انبياء اليونانيين
ويقال ان اسقلبينوس هو البادي بصناعة الطب في اليونان
وعلمها بنيه وحظر عليهم ان يعلموها الغرباء ؞ وقد خالف ابو معشر
اهل هذا القول وقال انه لم يكن بالمتاله الاول في صناعة الطب ولا
المبدي بها بل انه عن غيره اخذ ولمنهج من قبله سلك ؞ وكان يعلم الطب
مشافهة فلما تضعضع الامر علي ابقراط وقل اهل بيته لم يامن ان ينقرض

الصناعة فابتدا في تاليف الكتب على جهة الايجاز ومن كلامه من عرف
الايام لم يهمل الاستعداد وقوله كم من امر ابغضت اوله وتبكي عند
اواخره عليه وقوله المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح
وقوله فوت الحاجة خير من طلبها الى غير اهلها وقوله اني لاعجب
ممن يحتمي من الماكل الرديه مخافة الضرر ولا يدع الذنوب مخافة الاخرة وقوله
اكثروا من الصمت فانه سلامة من المقت واستعملوا الصدق فانه زين النطق
وقيل له صف الدنيا فقال امس اجل واليوم عمل وغدا امل

واما الثاني فهو ابلق ويقال ابله وهو تلو صاحبه وصنو
صوابه ومدرك وفاته ومستدرك فواته كم متعاجسوما وقطعا الادواء
حسوما ولا يلوق في المجامع بشر بابلق وذكر بالمسامع يتعلق ولم يقصر
به دون رجاء ياس ولا ضاق به مدى فتر في قياس قال ابن جلجل
انه اول حكيم تكلم في الطب ببلد الروم والفرس واستنبط كتاب
الاغريقي لهيامس الملك وتكلم في الطب وقاسه وعمل به وكان بعد موسى
عليه السلام في زمان بداق الحاكم وله اثار عظيمة شنيعه وهو بعيد في
كثرة العجايب مثل اسقلنينوس

ومن هنا نذكر ما وقع عليه قسم كل قسم

فاما اهل الجانب المشرقي فمنهم حكماء العرب والسريان والعراق
وما معه والعجم والهند والشام ونبدا بحكماء العرب

اطباء العرب ممن كانوا في اول ظهور الاسلام ومن بعدهم
فمنهم الحرث بن كلده الثقفي طبيب العرب وكانت له معرفة
بما يحتاج اليه من مداواتها وخبرة في طب امراضها وادوائها اينع من نبعة

البادية غصنه الفينان وجمع الى فصاحة العرب حكمة اليونان ولحقت
به تلك العبارات التي لا تفهم وخلصت خلاص ابن المهلب من الادهم واخذ
يعالج سكان البادية بما لا يبعد من امزجتها ولا يعد منه خروج عن محجتها
مما تعهده في ديارها وتتعهد به ملابس غبارها وعمر مدة في صدر الاسلام
وسطر عنه تحفظ له من حر الكلام وهو الذي تعده ائمة العرب سابق
اطبائها وسابق ابنائها وكفاه شكرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجرى له ذكرا قال ابن ابي اصيبعة كان من الطايف وسافر البلاد
وتعلم الطب بناحية فارس وتمرن هناك وعرف الداء والدواء وكان يضرب
بالعود تعلمه بفارس واليمن وبقي ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وادرك
سلطان معوية وقال له معوية ما الطب قال الازم يعني الجوع وفي الحديث ان
عمر ساله ما الدواء قال الازم يعني الحميه وروي عن سعد ابن ابي وقاص انه مرض
بمكة مرضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادعوا له الحرث بن
كلده فانه رجل يتطبب فلما نظر اليه الحرث قال ليس عليه باس اتخذوا له فريقة
بشيء من تمر عجوة وحلبه يطبخان فيتحساها فبرا وفد على كسرى انوشروان
فلما وقف بين يديه قال له من انت قال الحرث بن كلدة الثقفي قال ما صناعتك
قال الطب قال اعرابي انت قال نعم قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها
وضعف عقولها وسوء اغذيتها قال ايها الملك اذا كانت هذه صفتها كانت احوج
الى من يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس ابدانها ويعدل امشاجها فان العاقل
يعرف موضع دائه ويحترز من الادواء قال كسرى فكيف تعرف ما
تورده عليها ولو عرفت الحكم لم تنسب الى الجهل قال الحرث الطفل يناغي
فيداوى والحية ترقى فتحاوى ثم قال ايها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه

بين عباده كقسمة الرزق فيهم ومنهم مثر ومعدم وجاهل وعالم وعاجز
وحازم وذلك تقدير العزيز العليم فاعجب كسرى من كلامه ثم قال
فما الذي تحمد من اخلاقها ويعجبك من مذاهبها وسخا بها قال الحرث
ايها الملك لها انفس سخيه وقلوب حريه ولغة فصيحه والسن بليغه وانساب
صحيحه واحساب شريفه يمرق من افواههم الكلام مروق السهم من
نبعة الرام اعذب من هوآء الربيع والين من السلسبيل المعين مطعموا
الطعام في الجدب وضاربوا الهام في الحرب لا يرام عزهم ولا يضام جارهم
ولا يستباح حريمهم ولا يذل كريمهم لا يقرون بفضل للانام الا للملك الهمام
الذي لا يقاس به احد ولا يوازيه سوقة ولا ملك قال فاستوى كسرى
جالسا وجرى ماء رياضة الحكم في وجهه وقال لجلسائه اني وجدته راجحا
ولقومه مادحا وبفضلهم ناطقا وفي لفظه صادقا وكذلك العاقل الذي
احكمته التجارب ثم امره بالجلوس فجلس ثم قال كيف بصرك بالطب
قال ناهيك قال فما اصل الطب قال الازم قال فما الازم قال ضبط الشفتين
والرفق باليدين قال اصبت قال فما الداء الدوي قال ادخال الطعام
على الطعام هو الذي يفني البريه ويهلك السباع في جوف البريه قال اصبت
قال فما العلة التي لا تصطلم منها الادوآء قال هي التخمة ان بقيت في الجوف
قتلت وان تحللت اسقمت قال فما تقول في الحجامة قال في نقصان الهلال
في يوم صحو لا غيم فيه والنفس طيبه والعروق ساكنة لسرور يفاجيك
وهم يباعدك قال فما تقول في دخول الحمام قال لا تدخله شبعانا ولا تغش
اهلك سكرانا ولا تقم بالليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق
بنفسك تكن ارخى لبالك وقلل من طعمك يكن اهنا لنومك قال فما تقول

في الدوآء قال ما لزمتك الصحة فاجتنبه فان هاج داء فاحسمه بما يردعه
قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت وان تركتها خربت
قال فما تقول في الشراب قال اطيبه اهناه وارقه امراه واعذبه اشهاه
لا تشربه صرفا فيورثك صداعا ويثير عليك من الادوآء انواعا قال فاي اللحمان
افضل قال الجدآء الرضع الفتي والقديد المالح مهلك الاكل واجتنب لحم الجزور
والبقر قال فما تقول في الفواكه قال كلها في اقبالها وحين اوانها
واتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها وافضل الفاكهة الرمان
والاترج وافضل الرياحين الورد والبنفسج وافضل البقول الهندبا والخس
قال فما تقول في شرب الماء قال هو حياة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب
منه بقدر وشربه بعد النوم ضرر افضله امراه وارقه اصفاه ومن عظام
انهار البارد الزلال لا يختلط بماء الاجام والاكام يدل عن صرادع المشطان
ويتسلسل عن الرضراض وعظام الحصا في الايقاع قال فما طعمه قال لا يوصف
له طعم الا انه مشتق من الحياه قال فما لونه قال اشتبه على الابصار
لونه لانه يحكي لون كل لون يكون فيه قال فاخبرني عن اصل الانسان
ما هو قال اصله من حيث شرب الماء يعني راسه قال فما هذا النور
الذي في العينين قال مركب من ثلثة اشياء فالبياض شحم والسواد ماء
والنظر ريح قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن قال على اربع طبايع المرة
السودآء وهي باردة يابسه والمرة الصفرآء وهي حارة يابسه والدم وهو
حار رطب والبلغم وهو بارد رطب قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو
خلق من طبع واحد لم ياكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك قال فمن طبعين
لو كان اقتصر عليهما قال لم يجز لانهما ضدان يقتتلان قال فمن ثلثه قال لم

يصلح موافقان ومخالف فالاربع هولا عند الاعتدال والقيام قال فاجمل لي الحار والبارد في احرف جامعة قال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وفي المر حار وبارد قال فافضل ما عولج به المرة الصفرا قال كل بارد لين قال فالمرة السودا قال كل حار لين قال والبلغم قال كل حار يابس قال والدم قال اخراجه اذا زاد وتطفيته اذا سخن بالاشيا البارده اليابسه قال فالرياح قال بالحقن اللينة والادهان الحارة اللينه قال افتامر بالحقنة قال نعم قرات في بعض كتب الحكما ان الحقنة تنقي الجوف وتكسح الادوا عنه والعجب لمن احتقن كيف يهرم او يعدم الولد وان الجهل كل الجهل من اكل ما قد عرف مضرته ويوثر شهوته على نهك بدنه قال فما الحمية قال الاقتصاد في كل شي فان الاكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها قال فما تقول في النسا واتيانهن قال كثرة غشيانهن ردي واياك واتيان المراة المسنه فانها كالسن الثاني تجذب قوتك وتسقم بدنك ماوها سم قاتل ونفسها موت عاجل تاخذ منك الكل ولا تعطيك البعض والشابة ماوها عذب زلال وعناقها غنج ودلال فوها بارد وريحها طيب وهنها ضيق تزيدك قوة الى قوتك ونشاطا الى نشاطك قال فايهن القلب اليها اميل والعين برويتها اسر قال اذا اصبتها المديدة القامه العظيمة الهامه واسعة الجبين اقناه العرنين كحلا نعسا صافية الخد عريضة الصدر مليحة النحر في خدها رقه وفي شفتيها لعس مقرونة الحاجبين ناهدة الثديين لطيفة الخصر والقدمين بيضا فرعا جعدة غضة بضة تخالها في الظلمة بدرا زاهرا تبسم عن اقحوان وعن مبسم كالارجوان كانها بيضة مكنونه الين من الزبد واحلى من الشهد وانزه من الفردوس والخلد واذكى ريحا

من الياسمين والورد تفرح بقربها وتسر لك الخلوة معها قال فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه قال ففي اي الاوقات اتيانهن افضل قال عند ادبار الليل يكون الجوف اخلى والنفس اهدى والقلب اشهى والرحم ادفى فان اردت الاستمتاع بها نهارا تسرح عينك في جمال وجهها وتجتني قول من ثمرات حسنها ويعي سمعك من حلاوة لفظها وتسكن الجوارح كلها اليها قال كسرى لله درك من اعرابي لقد اعطيت علما وخصصت فطنة وفهما واحسن صلته وامر بتدوين ما نطق به وقال الواثق بالله في كتابه المسمى البستان ان الحرث بن كلدة مر بقوم وهم في الشمس فقال عليكم بالظل فان الشمس تبلي الثوب وتسقل الريح وتشحب اللون وتهيج الدا الدفين ومن كلام الحرث البطنة بيت الدا والحمية راس الدوا وعودوا كل جسد بما اعتاد وقيل هو من كلام عبد الملك بن ابجر وقد نسب قوم هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واوله المعدة بيت الدا وهو ابلغ من لفظ البطنة وروي عن امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلام قال من اراد البقا ولا بقا فليجود الغذا وليأكل على نقا وليشرب على ظما وليقل من شرب الما ويتمدد بعد الغدا ويتمشى بعد العشا ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلا ودخول الحمام على البطنة من سرب الدا ودخلة الى الحمام في الصيف خير من عشرة في الشتا واكل القديد اليابس في الليل معين على الفنا ومجامعة العجوز تهدم اعمار الحيا وروي حرب بن محمد قال سمعت ابي قال قال لي الحرث بن كلدة اربعة اشيا تهدم البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلا واكل القديد ومجامعة العجوز وروي داود بن رشيد عن عمر ابن معروف قال لما احتضر الحرث بن كلدة اجتمع اليه الناس فقالوا له مرنا

بامر ننتهي اليه من بعدك فقال لا تتزوجوا من النساء الا شابه ولا تاكلوا الفاكهة
الا في اوان نضجها ولا يتعالجن احدكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم بالنورة
في كل شهر فانها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم واذا تغدي احدكم
فلينم علي اثر غدائه واذا تعشي فليخط اربعين خطوة ومن كلام الحرث ايضا
قال دافع بالدواء ما وجدت مدفعا ولا تشربه الا من ضرورة فانها لا تصلح شيا
الا افسد مثله وقال سليمن بن جلجل اخبرنا الحسن بن الحسين
الازدي قال اخبرنا محمد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال كان اخوان من ثقيف
من بني كنة متحابان لم ير قط احسن الفة منهما فخرج الاكبر الي سفر فاوصي
الاصغر بامراته فوقعت عينه عليها يوما ولم يتعمد لرويتها فهويها وضني وقدم
اخوه فجاءه بالاطباء فلم يعرفوا ما به الي ان جاءه بالحرث بن كلدة فقال اري
عينين محجبين وما ادري ما هذا الوجع وساجرب فاسقوه نبيذا فلما عمل النبيذ
فيه قال

الا رفقا الا رفقا قليلا ما اكوننه
الما بي الي الابيات بالخيف ازرهنه
غزالا ما رايت اليوم في بيت دور بني كنه
اسيل الخد مربوب وفي منطقه غنه

فقالوا له انت اطب العرب ثم قال ردوا النبيذ عليه فلما عمل فيه قال

ايها الجيرة اسلموا وقفوا كي تكلموا
وتقضوا البانة وتحيوا وتنعموا
خرجت مزنه من البحر ريا تجمجم
فيهما كنيتي وتزعم اني لها حم

قال فطلقها اخوه ثم قال له تزوج بها يا اخي فقال لا والله لا تزوجتها
فمات وما تزوجها

ومنهم النضر بن الحرث

بن كلدة وهو ابن خالة النبي صلي الله عليه وسلم طبيب اثرت به تلك البلاد المقفره واثر بطبته في امزجة تلك الحمر المستنفره تبع طريق ابيه واضاف الي تالد والده طريف تأتيه ودرب العلاج حتي كاد يبري الاكمه وكان يعرف بضياء الحس ودرس الحكمه ولم ينفعه من جهة الامومة الشريفة النبوية قربه ولم يمنعه وقد قضي عليه بالبعد ربه قتل بسيف النبوة صبرا وعجل له مثوي في جهنم ليسمي قبرا قال ابن ابي اصيبعة كان النضر قد سافر البلاد كابيه واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنه واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطلع علي علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلم من ابيه ايضا ما كان تعلمه من الطب وغيره وكان النضر يوالي ابا سفين في عداوة النبي صلي الله عليه وسلم لكونه كان ثقفيا كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قريش والانصار حليفان وبنو امية وثقيف حليفان فكان النضر كثير الاذي والحسد للنبي صلي الله عليه وسلم ويتكلم فيه باشياء كثيرة كيما يحط من قدره عند اهل مكة ويبطل ما اتي به ولم يعلم لشقاوته ان النبوة اعظم والسعادة اقدر والعناية الالهية اجل والامور المقدرة اثبت وانما النضر اعتقد ان بمعلوماته وفضايله وحكمته يقاوم النبوة وابن الثري من الثريا والحضيض من الاوج والشقي من السعيد وما احسن ما وجدت حكاية ذكرها افلاطون في كتاب النواميس في ان النبي وما ياتي به لا يصل اليه الحكيم بحكمته ولا العالم بعلمه قال افلاطون

وقد كان مارنوس ملك اليونانيين الذي يذكر ومهرس الشاعر باسة وجبروته
وما تهيا لليونانيين في سلطانه زمي بشدايد في زمانه وخوارج في سلطانه ففزع
الي فلاسفة عصره فتاملوا مصادر اموره وموارده وقالوا له قد تاملنا امرك
فلم نجد فيه من جهتك شيئا يدعوا الي ما لحقك وانما يعلم الفيلسوف الافراطات
وسوء النظام الواقفين في الجز فاما ما خرج عنه فليس نبحث عنه الفلسفة
وانما يوقف عليه من جهة النبوة واشاروا عليه ان يطلب نبي عصره ليجمع
معهم مع علمهم ما ينبي به وقالوا انه لا يسكن في البلدان العامرة وانما يكون
في الاقاصي المقفرة بين فقراء ذلك العصر فسالهم ما يجب ان يكون عليه رسله
اليه وما يكون دليلا لهم عليه فقالوا اجعل رسلك اليه من لانت سجيته وظهرت
قناعته وصدقت لهجته وكان رجوعه الي الحق احب اليه من الظفر به فان
بين من استولي عليه هذا الوصف وبينه وصلة تدلهم عليه **اقول**
ولما كان يوم بدر والتقي المسلمون ومشركوا قريش وكانت عدتهم ما بين
التسع مايه والالف والمسلمون يومئذ ثلث مايه وثلثة عشر وايد الله الاسلام
ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام ووقعت الكسرة علي المشركين وقتل
من جملتهم صناديد قريش واسر جماعة من المشركين فبعضهم استفكوا
انفسهم وبعضهم امر النبي صلي الله عليه وسلم بقتلهم وكان في جملة الماسورين
النضر بن الحرث بن كلدة فقتله عليه الصلاة والسلام بعد منصرفه من بدر

ومنهم عبد الملك بن ابجر

وهو من افاضل الاطباء واماثل الالباء
واهل العلم النافع والتمييز بين المضار والمنافع لقي جماعة المدن الممصرة واستضاء
بتلك الفطن المبصرة واقام بين اهل الكتاب الاول ثم خالط النصاري وخالل
منهم انصارا وقدم بينهم في شرايف الرتب ووظايف الحكمة التي عنها يكتتب
ولازم الطلب حتي مهر وداوم الاكتنان ببيت التدريس حتي ظهر **قال**
ابن ابي اصيبعة وقد ذكر كان طبيبا عالما ماهرا وكان اول امره مقيما بالاسكندرية
لانه كان متوليا علي التدريس بها من بعد الاسكندرانيين الذين تقدم ذكرهم
وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصاري ثم ان المسلمين لما استولت
علي البلاد وملكوا الاسكندرية اسلم ابن ابجر علي يد عمر بن عبد العزيز وكان حينئذ
اميرا قبل ان تصل اليه الخلافة وصحبه فلما افضت الخلافة الي عمر وذلك في صفر
سنة تسع وتسعين للهجرة نقل التدريس الي انطاكيه وحران وتفرق في البلاد وكان
عمر بن عبد العزيز يستطب ابن ابجر ويعتمد عليه في صناعة الطب وروي عن
ابن ابجر قال دع الدواء ما احتمل بدنك الداء وهذا من قول النبي صلي الله عليه وسلم
سر بدايك ما حملك

ومنهم ابن اثال

كان لا يهاب اغتيال النفوس واختيال مهج الروس طريقة خالف فيها شروط الاطباء وخال انه يخفيها عن اذان الابناء حتي قيلت فيه ملح الاشعار ووسمت صيته بشنع العار وبقيت عليه قبايحها وذهب المعار

كتابي ضيع امانته وباع بدنياه ديانته

قال ابن ابي اصيبعة
كان طبيبا من الاطباء المتقدمين في دمشق نصراني الدين ولما ملك معوية ابن
ابي سفين دمشق اصطفاه لنفسه واحسن اليه وكان كثير الانبساط له والاعتقاد
فيه والمحادثة معه ليلا ونهارا وكان ابن اثال خبيرا بالادوية المفردة والمركبة
وقواها وما منها سموم قواتل وكان معوية يقربه لذلك كثيرا ومات في ايام
معوية جماعة كثيرة من اكابر الناس والامراء بالسم ومن ذلك ما حدثنا ابو عبد الله
محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ان معوية لما اراد ان يظهر العقد ليزيد
قال لاهل الشام ان امير المومنين قد كبرت سنه ورق جلده ودق عظمه واقترب

اجله ويريد ان يستخلف عليكم فمن ترون فقالوا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
فسكت واضمرها ودس ابن اثال النصراني الطبيب اليه فسقاه سمًا فمات
وبلغ ابن اخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة وكان اسوا
الناس رايا في عمه لان اباه المهاجر كان مع علي عليه السلام بصفين وكان
عبد الرحمن بن خالد مع معوية وكان خالد بن المهاجر على راي ابيه هاشمي المذهب
فلما قتل عمه عبد الرحمن مر به عروة بن الزبير فقال يا خالد اتدع ابن اثال
يفري اوصال عمك بالشام وانت بمكة مسبل ازارك تجره وتخطر فيه متخايلًا فحمي
خالد ودعا مولى له يقال له نافع فاعلمه الخبر وقال له لا بد من قتل ابن اثال وكان
نافع جلدًا شهمًا فخرجا حتى قدما دمشق وكان ابن اثال يتمسى عند معوية فجلس
له في مسجد دمشق الى اسطوانة وجلس غلامه الى اخرى حتى خرج فقال خالد لنافع
اياك ان تعرض له انت فاني اضربه ولكن احفظ ظهري واكفني من ورآى قال
فشانك فلما حاذاه وثب اليه خالد فقتله وثار اليه من كان معه فصاح بهم نافع
فانفرجوا ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معه فلما غشوهما حملا عليهم فتفرقوا
حتى دخل خالد ونافع زقاقًا ضيقًا ففاتا الناس وبلغ الخبر معوية فقال هذا
خالد بن المهاجر انظروا الزقاق الذي دخل فيه ففتش عليه فاتي به فقال له لا
جزاك الله من زاير خيرًا قتلت طبيبي فقال قتلت المامور وبقي الآمر فقال له
عليك لعنة الله اما والله لو كان مرة واحدة لقتلتك به امعك نافع قال لا قال
بلى والله وما اجترات الا به ثم امر بطلبه فوجد فاتي به فضرب مايه سوط ولم
يهج خالدًا بشيء اكثر من ان حبسه والزم بني مخزوم دية ابن اثال اثني عشر
الف درهم ادخل بيت المال منها ستة آلاف واخذ ستة الاف فلم يزل ذلك يجري
في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فابطل الذي ياخذه السلطان واثبت

الذي يدخل بيت المال وقال ابو عبيد القسم بن سلام البغدادي
في كتاب الامثال ان معوية ابن ابي سفين كان خاف ان يميل الناس الى عبد الرحمن
ابن خالد بن الوليد فاشتكى عبد الرحمن فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم
فاحرقته فعند ذلك قال معوية لا جد الا ما افض عنك من تكره قال
وقال معوية ايضًا حين بلغه ان الاشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات ان لله جنودًا
منها العسل ۞ ونقلت من تاريخ ابي عبد الله محمد بن عمر الواقدي قال لما كان في
سنة ثمان وثلثين بعث علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاشتر واليًا على مصر بعد
قتل محمد بن ابي بكر وبلغ معوية مسيره فدس الى دهقان بالعريش فقال ان
قتلت الاشتر فلك خراجك عشرين سنة فلطف له الدهقان فقال اي الشراب
احب اليه فقيل العسل فقال عندي عسل من عسل برقه فسمه واتى به فشربه
فمات فبلغ ذلك معوية فقال الدين والفم ۞ وفي تاريخ الطبري ان الحسن بن
علي رضي الله عنهما مات مسمومًا في ايام معوية ۞ وكان عند معوية كما قيل دهاء
فدس الى جعدة بنت الاشعث بن قيس وكانت زوجة الحسن شربة وقال لها
ان قتلت الحسن زوجتك بيزيد فلما توفي الحسن بعثت الى معوية تطلب قوله
فقال لها في الجواب انا اضن بيزيد وقال كثير يرثي الحسن رضي الله عنه

يا جعد بكيه ولا تسامي بكاء حق ليس بالباطل
لن تستري البيت على مثله في الناس من حاف ومن ناعل

ومنهم ابو حكم وكان من حذاق الحكماء وسباق اهل الطب
القدماء وله في علمه حقايق وفي فهمه ما ينفد مدد الاعمار وما ينتهي منه الى
دقايق وله في دمشق بقيه ورثوا ما خلف من علمه وحلي ليتبه لا يظلم احد
منهم في قسمه قال ابن ابي اصيبعة كان طبيبًا نصرانيًا عالمًا بانواع

العلاج والادوية وله اعمال كثيرة مذكورة وصفات مشهورة وكان ليستطبه
معوية ابن ابي سفين ويعتمد عليه في تركيبات ادوية لاغراض قصدها منه
وعمر ابو حكم هذا عمرا طويلا حتي تجاوز المايه سنه قال يوسف
ابن ابرهيم وحدثني عيسي بن حكم عن ابيه ان جده اعلمه انه كان حمي عبد الملك
ابن مروان من شرب الماء من علته التي توفي فيها واعلمه انه متي شرب الماء
قبل نضج علته توفي قال فاحتمي عن الماء يومين وبعض الثالث قال فاني عنده لجالس
وعنده بناته اذ دخل عليه الوليد ابنه فساله عن حاله وهو يتبين في وجه الوليد
السرور بموته فاجابه بان قال

ومستخبر عنا يريد بنا الردي ومستخبرات والدموع سواجم

وكان استفتاحه النصف الاول وهو مواجه الوليد ثم واجه البنات
عند قوله النصف الثاني ثم دعا بالماء فشربه فقضا من ساعته

ومنهم حكم الدمشقي

ممن نمي وراثة ابيه ودني بفضله
قلوب حاسديه وامسي علي من ناواه شديد الشكيم واضحي وهو لا
يدعي الا الحكم الحكيم قال ابن ابي اصيبعة كان يلحق بابيه
في معرفته بالمداواة والاعمال الطبية والصفات البديعه وكان مقيما بدمشق
وعمر ايضا عمرا طويلا كابيه قال يوسف بن ابرهيم حدثني عيسي بن
حكم ان والده توفي وكان عبد الله بن طاهر بدمشق في سنة عشر وماتين
وان عبد الله ساله عن مبلغ عمر ابيه فاعلمه انه عمر مايه وخمس سنين لم يتغير
عقله ولم ينقص علمه فقال عبد الله عاش حكم نصف التاريخ قال
يوسف وحدثني عيسي انه ركب مع ابيه حكم بمدينة دمشق اذ اجتازوا بحانوت
حجام قد وقف عليه بشر كثير فلما بصر بنا بعض الوقوف قال افرجوا لهذا

حكم المتطبب وعيسي ابنه وافرج القوم فاذا رجل قد فصده الحجام في العرق
الباسليق وقد فصده فصدا واسعا وكان الباسليق علي الشريان فلم يحسن
الحجام تعليق العرق فاصاب الشريان ولم يكن عند الحجام حيلة في قطع الدم
واستعملنا الحيلة في قطعه بالرفايد ونسج العنكبوت والوبر فلم ينقطع
بذلك فسالني والدي عن حيلة فاعلمته انه لا حيلة له عندي فدعا بفستقة
فشقها وطرح ما فيها واخذ احد نصفي القشر فجعله علي موضع الفصد ثم اخذ
حاشية من ثوب كان غليظ فلف بها موضع الفصد ثم اخذ حاشية من ثوب
كان غليظ فلف بها موضع الفصد علي قشر الفستقة لفا شديدا حتي كان
ليستغيث المفتصد من شدته ثم شد ذلك بعد اللف شدا شديدا وامر بحمل الرجل
الي نهر بردا وادخل يده في الماء ووطي له علي شاطي النهر ونومه عليه وامر فحتي
محاق ببيض نمرشت ووكل به تلميذ من تلامذته وامره بمنعه من اخراجه يده من
موضع الفصد من الماء الا عند وقت الصلاة او يتخوف عليه الموت من شدة البرد
فان تخوف ذلك اذن له في اخراج يده هنية ثم امره بردها ففعل ذلك الي الليل
ثم امر بحمله الي منزله ونهاه عن تغطية موضع الفصد وعن حل الشد قبل استتمام
خمسة ايام ففعل ذلك الا انه صار اليه في اليوم الثالث وقد ورم عضده وذراعه
ورما شديدا فنفس من الشد شيا يسيرا وقال للرجل الورم اسهل من الموت
فلما كان في اليوم الخامس حل الشداد فوجدنا قشر الفستقة ملتصقا بلحم
الرجل فقال والدي للرجل بهذا القشر نجوت من الموت فان خلعت هذا القشر
قبل انخلاعه وسقوطه من غير فعل منك تلفت نفسك قال عيسي فسقط القشر
في اليوم السابع وبقي في مكانه دم يابس في خلقة الفستقة فنهاه والدي
عن العبث به او حك ما حوله او حت شي من ذلك الدم فلم يزل الدم بحاله

حتي انكشف موضع الفصد في اكثر من اربعين ليلة وبري الرجل

ومنهم عيسى بن حكم الدمشقي المعروف بالمسيح عُرف بهذا لما ظهرت من الآثار المسيحية علي يديه العيسوية ونقلت العجايب الا انها غير النبوية وكان من فضلاء الاطباء ونبلاء ذوي الانباء قال ابن ابي اصيبعة وهو صاحب الكناش الكبير الذي يعرف به وينسب اليه قال يوسف بن ابرهيم وحدثني عيسي بن حكم انه عرض لغضيض ام ولد الرشيد قولنج فاحضرته واحضرت الابح والطبري الحاسبين وسالت عيسي مما يري معالجتها به قال عيسي فاعلمتها ان القولنج قد استحكم بها استحكاما ان لم تبادره بالحقنة لم يومن عليها التلف فقالت للابح والطبري اختارا لي وقتا اتعالج فيه فقال لها الابح علتك هذه ليست من العلل التي يوخر لها العلاج الي وقت تحمده المنجمون وانا اري ان تبادري بالعلاج قبل ان تعمل عملا وكذلك يري عيسي بن حكم فسالتني فاعلمتها ان الابح قد صدقها فسالت الطبري عن رايه فقال القمر اليوم مع زحل وهو في غد مع المشتري وانا اري لك ان توخري العلاج الي مقارنة القمر مع المشتري فقال الابح انا اخاف ان يصير القمر مع المشتري وقد عمل القولنج عملا لا يحتاج معه الي علاج فتطيرت من ذلك غضيض وابنتها ام محمد وامرتا باخراجه من الدار وقبلت قول الطبري فماتت غضيض قبل موافاة القمر المشتري فلما وافي القمر المشتري قال الابح لام محمد هذا وقت اختيار الطبري للعلاج فاين العليل حتي نعالجه فزادتها رسالته غيظا عليه ولم تزل سيئة الراي فيه حتي توفيت قال يوسف نزلت علي عيسي بن حكم في منزله بدمشق سنة خمس وعشرين ومايتين ولي نزلة صعبة فكان يغذوني باغذية طيبة ويسقيني الثلج فكنت انكر ذلك واعلمه ان تلك الاغذية مضرة

بالنزلة فيعتل علي بالهواء ويقول انا اعلم بهواء بلدي منك وهذه الاشياء مضرة بالعراق نافعة بدمشق فكنت اغتذي بما يغذوني به فلما خرجت عن البلد خرج مشيعا لي حتي صرنا الي الموضع المعروف بالراهب وهو الموضع الذي فارقني فيه قال قد اعددت لك طعاما يحمل معك يخالف الاطعمة التي كنت تاكلها وانا امرك ان لا تشرب ماء باردا ولا تاكل من مثل الاغذية التي كنت تاكلها في منزلي شيئا فلمته علي ما كان تغذوني به فقال انه لا يحسن بالعاقل ان يلزم قوانين الطب مع ضيفه في منزله قال يوسف وتجاريت وعيسي يوما بدمشق ذكر البصل فافرط في ذمه ووصف معايبه وكان عيسي وسلمويه بن بنان يسلكان طريق الرهبان ولا يحمدان شيئا مما يزيد في الباه ويذكران ان ذلك مما يتلف الابدان ويذهب الانفس فلم استجز الاحتجاج عليه بزيادة البصل في الباه فقلت له قد رايت له في سفري هذا اعني فيما بين سر من راي ودمشق منفعة فسال عنها فاعلمته اني كنت اذوق الماء في بعض المناهل فاصيبه مالحا فاكل البصل النيّ ثم اعاود شرب الماء فاجد ملوحته قد نقصت وكان عيسي قليل الضحك فاستضحك من قولي ثم رجع الي اظهار جزع منه ثم قال يعز علي ان يغلط مثلك هذا الغلط لانك صرت الي اسمج نكتة في البصل واعيب عيب فيه فجعلتها مدحا ثم قال البس متي حدث في الدماغ فساد فسدت الحواس حتي ينقص حس الشم والذوق والسمع والبصر فاعلمته ان الامر كذلك فقال لي ان خاصية البصل احداث فساد في الدماغ فانما قلل حسك بملوحة الماء ما احدث البصل في دماغك من الفساد قال يوسف وقال لي عيسي وقد شيعني الي الراهب وهو آخر كلام دار بيني وبينه ان والدي توفي وهو ابن ماية سنة وخمس سنين لم يتشنج له وجه ولم ينقص من ماء وجهه

لأشياء كان يفعلها وانا الآن مزودكها فاعمل بها وهي ان لا تذوق الغديد
ولا تغسل يديك ورجليك عند خروجك من الحمام ابدًا الا بماء بارد ابرد ما يمكنك
والزم ذلك فانه ينفعك فلزمت ما امرني به

ومنهم بياذوق حكيم ماهر وعليم بعلمه ماهر وحميم لا تبل
به عين صديق ولا يعل بحلقة السلسل الاصفو رحيق ولم يزل يقمع سلطان
المرض علاجه ويمنع وجهة الندي منا ظرًا بثور عجاجه قال ابن
ابي اصيبعة كان طبيبًا فاضلًا وله نوادر والفاظ مستحسنة في صناعة
الطب وعمر وكان في اول دولة بني امية ومشهورًا عندهم بالطب وصحب
ايضًا الحجاج بن يوسف الثقفي المتولي من جهة عبد الملك بن مروان وخدمه
بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته وكان له الجامكية الوافرة
والانفقاد الكثير ومن كلام بياذوق للحجاج قال لا تنكح الا شابة ولا تاكل
من اللحم الا فتيًا نضيجًا ولا تشرب الدواء الا من علة ولا تاكل الفاكهة الا
في اوان نضجها واجد مضغ الطعام واذا اكلت نهارًا فلا باس ان تنام واذا
اكلت ليلًا فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة فقال له بعض من حضر اذا
كان الامر كما تقول فلم هلك بقراط ولم هلك جالينوس وغيرهما ولم ار واحدًا
منهم فعل ذلك قال يا بني قد احتججت فاسمع ان القوم دبروا انفسهم بما
يملكون وعليهم ما لا يملكون يعني الموت وما يرد من خارج كالحر والبرد
والوقوع والغرق والجراح والغم وما اشبه ذلك واوصى بياذوق ايضًا
الحجاج فقال لا تاكلن حتى تجوع ولا تتكارهن على الجماع ولا تحبس البول وخذ من
الحمام قبل ان ياخذ منك وقال ايضًا للحجاج اربعة تهدم العمر وربما قتلن
دخول الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء واكل القديد الجاف وشرب الماء

البارد على الريق ومجامعة العجوز بعيدة منهن ووجد الحجاج في راسه صداعًا
فبعث الى بياذوق واحضره فقال اغسل رجليك بماء حار وادهنهما وخصي
على راس الحجاج قايم فقال والله ما رايت طبيبًا اقل معرفة بالطب منه شكا
الامير الصداع في راسه فتصف له دواء في رجليه فقال له ان علامة ما قلت
فيك بينة قال الخصي وما هي قال نزعت خصيتاك فذهب شعر لحيتك فضحك
الحجاج ومن حضر وشكا الحجاج ضعفًا في معدته وقصورًا في الهضم الى بياذوق
فقال يكون الامير يحضر بين يديه الفستق الاحمر القشر البراني ويكسر
وياكل من لبه فان ذلك يقوي المعدة فلما امسى الحجاج بعث الى حظاياه وقال
ان بياذوق وصف لي الفستق فبعثت اليه كل واحدة منهن صينية فيها
قلوب فستق فاكل من ذلك حتى امتلا واصابته بعقبه هيضة كادت تاتي
على نفسه فشكا حاله الى بياذوق وقال وصفت لي شيئًا اضرني وذكر لهما
تناول فقال له انما قلت لك ان تحضر عندك الفستق بقشره البراني فتكسر
الواحدة بعد الواحدة وتلوك قشرها البراني وفيه العطرية والقبض فيكون
بذلك تقوية المعدة وانت فقد عملت غير ما قلت لك وداواه بما عرض له قيل
ومن اخباره مع الحجاج انه دخل عليه يومًا فقال له الحجاج اي شيء دواء اكل
الطين فقال عزيمة مثلك ايها الامير فرمى الحجاج بالطين ولم يعد اليه
ابدًا وقيل ان بعض الملوك لما راى بياذوق وقد شاخ وكبر سنه وخشي
ان يموت ولا يعتاض عنه لانه كان اعلم الناس واحذق الامة في وقته
بالطب فقال له صف لي ما اعتمد عليه فاسوس به نفسي واعمل به ايام حياتي
فلست آمن ان تحدث عليك حدث الموت ولا اجد مثلك فقال بياذوق ايها
الملك بالخيرات اقول لك عشرة ابواب ان عملت بها واجتنبتها لم تعتل مدة

حياتك وهذه عشر كلمات لا تاكل طعامًا وفي معدتك طعام ولا تاكل ما تضعف
اسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه ولا تشرب الماء على الطعام
حتى تفرغ ساعتين فان اصل الداء التخمة واصل التخمة الماء على الطعام
وعليك بدخول الحمام في كل يومين مرة واحدة فانه يخرج من جسدك ما لا يصل
اليه الدواء واكثر الدم في بدنك تحرس به نفسك وعليك في كل فصل قية ومسهلة
ولا تحبس البول وان كنت راكبًا واعرض نفسك على الخلاء قبل نومك ولا
تكثر الجماع فانه يقتبس من نار الحياة فلتكثر او تقل ولا تجامع العجوز فانه
يورث الموت فجاة فلما سمع الملك ذلك امر كاتبه ان يكتب هذه الالفاظ
بالذهب الاحمر ويضعه في صندوق من ذهب مرصع وبقي ينظر اليه في كل يوم
ويعمل به فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذي لا بد منه ولا محيص عنه
وذكر ابرهيم بن القسم الكاتب قال قال الحجاج لابنه يا بني ان تياذوق
الطبيب كان اوصاني في تدبير الصحة بوصية كنت استعملتها فلم ار الا خيرًا
ولما حضرته الوفاة دخلت عليه اعوده فقال الزم ما كنت اوصيتك به وما
نسيت منها فلا تنس لا تشربن دواء حتى تحتاج اليه ولا تاكلن طعامًا وفي
جوفك طعام واذا اكلت فامش اربعين خطوة واذا امتلات من الطعام فنم على
جنبك الايسر ولا تاكلن الفاكهة وهي مولية ولا تاكلن من اللحم الا فتيًا
ولا تنكحن عجوزًا وعليك بالسواك ولا تتبعن اللحم اللحم فان ادخال اللحم
على اللحم يقتل الاسود في الفلوات وقال ايضا ابرهيم بن القسم
الكاتب في كتاب اخبار الحجاج ان الحجاج لما قتل سعيد بن جبير رحمه الله وكان
من خيار التابعين وجرى بينهما كلام كثير وامر به فذبح بين يديه وخرج
منه دم كثير استكثره وهاله فقال الحجاج لتياذوق طبيبه ما هذا
قال لاجتماع نفسه وانه لم يجزع من الموت ولا هاب ما فعلت به وغيره تقتله
وهو مفترق النفس يقل دمه لذلك ومات تياذوق بعد ما اسن وكبر
وكانت وفاته بواسط في نحو سنة تسعين للهجرة

ومنهم زينب طبيبة بني اود وكانت طبة عارفة لا كما زعم ابن ابي ربيعة
عالمة حليمة لا كما قال ابن سناء الملك في موشحته البديعة متعت بالعلم فلم
تحس فوتا ونفعت بطبها الاحياء وكادت تنعش الموتى ما عرفها الا من
شكر ولا انصفها من قاسها من الحكماء برجل ولا الصارم الذكر
قال ابن ابي اصيبعة كانت عارفة بالاعمال الطبية خبيرة بالعلاج
ومداواة آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب بذلك قال
ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني الكبير قال اخبرنا كاسة عن ابيه
عن جده قال اتيت امراة من بني اود لتكحلني من رمد كان اصابني فكحلتني ثم
قالت لي اضطجع قليلًا حتى يذوب الدواء في عينك فاضطجعت ثم تمثلت قول
الشاعر

امخترمي ريب المنون ولم ازر طبيب بني اود على النأي زينبا

فضحكت ثم قالت اتدري فيمن قيل هذا الشعر قلت لا قالت فيّ والله قيل انا زينب
التي عناها وانا طبيبة بني اود افتدري من الشاعر قلت لا قالت عمك ابو سماك الاسدي

اطباء السريان الكائنين في ابتداء الدولة العباسية

منهم جرجس بن جبريل طبيب طالما اصلح بين الصحة والمزاج
واصبح وعليله لا يحتاج الى العلاج رزق من ابي جعفر المنصور اقبالًا على تجهمه
وصادف علاجه منه قبولًا على توهمه وحظي منه بحظوة على قلة من حظي
لديه بطائل وحبي منه بالجزيل على بخله بالنائل وحمي من نزغات غضبه وما

قال هذا عنه سواه قابل قال ابن ابي اصيبعة كانت له خبرة
بصناعة الطب ومعرفة بالمداواة وانواع العلاج وخدم المنصور وكان حظيًّا
عنده ونال من جهته اموالًا جزيلة ونقل له كثيرًا من كتب اليونان الي العربي
قال فينون الترجمان كان المنصور قد فسدت معدته وانقطعت
شهوته وبقي كلما عولج ازداد مرضًا فتقدم الي الربيع بان يجمع الاطباء للمشاورة
فجمعهم فسالهم عن طبيب ماهر فقالوا ليس احد مثل جرجس رئيس اطباء جندي
سابور فانفذ لاحضاره فاستمهله فاعتقله فاتاه المطران ورؤساء المدينة
واشاروا عليه بالخروج بعد ان اوصي ابنه بختيشوع بامر البيمارستان وساير
اموره فلما اتى حضرة المنصور اجلسه وساله عن اشياء اجابه عنها بسكون
فقال له قد ظفرت منك بما كنت احبه وخلع عليه وامر له بمنزل ونفقة وحدثه
بعلته ثم نظر الي قارورة الماء واشار عليه بتخفيف الغذاء ولاطفه حتى عوفي
ثم لما داني اجله مرض مرضًا متقلًا وامر به المنصور فحمل اليه حتى راه وعرض
عليه الاسلام فابي وسال ان يحمل الي بلده ليدفن عند ابائه فاعطاه عشرة
الاف دينار ورده بعد ان استخلف لديه تلميذه عيسي بن سهل فاساء السيرة
وبسط يده في المطارنة والاساقفه ياخذ اموالهم لنفسه حتى انه كتب الي
مطران نصيبين يلتمس منه من الات البيعة اشياء جليلة المقدار وقال
في كتابه الي المطران الست تعلم ان امر الملك بيدي ان شيت امرضته
وان شيت عافيته فتلطف المطران في الصلة بالربيع واقراه كتاب عيسي
ابن سهل فاعلم الربيع المنصور به فسلبه ما كان حصله ثم امر بنفيه وكتب
ان كان جرجس حيًّا يحضر وان كان قد مات يحضر ابنه فصادف جرجس وقد
وقع من السطح وضعف ضعفًا عظيمًا فقيل له فابي ان يجهز الا ابرهيم تلميذه

فلما اتى المنصور استخلصه ولم يزل معه حتى مات المنصور
ومنهم بختيشوع بن جرجس كان لا يكفكف له المعيّه
ولا تلوذ بعي له لوذعيته ولا تزال اليه نهان مبصره وسحايب مدده
معصره ودنا من الخلفاء بحيث لا ترفع الستور ولا ترتع اللحظات في غابة
الليث الهصور وراس على اقرانه وانبجس نهرًا لا يضرب الليل دونه بجرانه
وناظر الكبراء ونافر حتى الامراء وسار امامًا في الاطباء ولولاه لما ركبوا
وراء قال ابن ابي اصيبعة كان يلحق بابيه في معرفته بالطب
وخدم الرشيد وتميز في ايامه قال فينون الترجمان لما مرض الرشيد
احضر بختيشوع من جندي سابور واحضر الاطباء لمناظرته فقال ابو قريش
وكان راس الاطباء ببغداد يا امير المومنين ليس في الجماعة من يقدر علي الكلام مع
هذا لانه هو وابوه واهل جنسه فلاسفة فقال الرشيد لبعض الخدم احضر
له ماء دابة لنختبره فاتاه به فقال ليس هذا بول انسان فقال له ابو قريش
كذبت هذا بول حظية الخليفة فقال له بختيشوع ايها الشيخ الكريم
انه لم يبل هذا انسان البتة وان كان علي ما قلت فلعلها قد صارت بهيمة
فقال له الرشيد من اين علمت هذا قال لانه ليس في قوام بول الانسان ولا
لونه ولا ريحه فقال له فما تري ان نطعم صاحب هذا الماء قال الشعير فضحك
الرشيد ضحكًا شديدًا وخلع عليه ووهبه مالًا وافرًا وقال ليكن رئيس الاطباء
ومروهم فليسمعوا له ويطيعوا
ومنهم جبريل بن بختيشوع يجل ان يقاس بالاكفاء وان يقال
اسمه الامع الخلفاء عظم ثراوه وعم جداه ان يماثل به ارسطو ونظراوه وخلف
ما يتجاوز الحد ويرابي العد مع نفقاته الموسعه وصدقاته التي رفلت الايام في

حللها الموشعه حتي شرقت دونه النفوس بحسراتها واختنقت القلوب بزفراتها
حتي كانت الخلفاء تركب الي منزله وترغب في اكرام نزله وهو يتسم لا
تخضع عرنينه ولا يخشع انينه ولا يطلع زهر الروض الجني الاجنيه
قال ابن ابي اصيبعة كان مشهورًا بالفضل جيد التصرف في
المداواة عالي الهمة سعيد الجد حظيًا عند الخلفاء وحصل لهم من الاموال ما
لم يحصله احد من الاطباء قال الترجمان ان اباه افرده لجعفر بن
يحيي وكان قد اعتل فعالجه فبرأ في ثلثة ايام فاحبه جعفر مثل حب نفسه
وكان لا يصبر عنه ثم تمطت حظية الرشيد ثم لم تقدر ترد يدها ولم يفد فيها
طب الاطباء فدل جعفر الرشيد علي ابن بختيشوع فاحضره وقال له ما تعرف
من الطب فقال ابرد الحار واسخن البارد وارطب اليابس وايبس الرطب فضحك
وقال هذا غاية ما تحتاج اليه فنباه نبا الجاريه فقال جبريل لها عندي حيلة ان
لم يسخط علي امير المومنين قال وما هي فامر بها الجارية الي ههنا بحضرة الجمع
لاعمل ما يراه ويمهل علي ولا يعجل بالسخط فامر بها فاخرجت فحين راها جبريل
مشي اليها ونكس راسها وامسك ذيلها كانه يريد يجل سرا ويلها فانزعجت الجارية
فاسترسلت اعضاوها وبسطت يدها الي اسفل وامسكت ذيلها فقال
جبريل قد برئت يا امير المومنين فقال الرشيد للجارية ابسطي يديك يمنة
ويسرة ففعلت فعجب الرشيد ومن حضر وامر له بخمسماية الف درهم وعظمت
منزلته عنده وجعله رئيسا علي ساير الاطباء وسئل عن سبب العلة فقال
هذه الجارية انصب الي اعضايها وقت الحركة خلط رقيق بالحركة وانتشار
الحرارة ولاجل سكون حركة الجماع بغتة جمدت الفضلة في بطون الاعصاب
وما كان يحللها الا حركة مثلها فاحببت الي ان انبسطت حرارتها وانحلت الفضلة

ولم يزل يزداد مكانه من الرشيد الي ان مرض الرشيد بطوس مرض موته
حبسه واستطب اسقف فارس فقال له مرضك كان من خطاء طبيبك كذبا
عليه فامر الرشيد بقتل جبريل فلم يقبل منه الفضل بن الربيع لانه كان يئس
من حياته واصاب تلك الايام الفضل قولنج شديد فكان جبريل يعالجه فافاق
ثم لما صار الامر الي الامين زاد تقريبه وضاعف مواهبه وكان لا ياكل ولا يشرب
الا باذنه ثم لما ملك المامون كتب الي الحسن بن سهل بان يقبض عليه لكونه
بعد الرشيد اتي الامين ببغداد ولم ياته بخراسان فحبسه ابن سهل ثم مرض ابن
سهل فعالجه الاطباء فلم ينتفع بذلك فاخرج جبريل من الحبس فعالجه في ايام يسيرة
فبرأ فوهب له مالا وافرا وتلطف له مع المامون فصفح عنه واتخذ ميخاييل صهر جبريل
بدلا منه واكرمه كيادا لجبريل فمرض المامون مرضا صعبا اعلا الاطباء علاجه
فقال ابو عيسي ابن الرشيد للمامون يا امير المومنين احضر جبريل فانه يعرف
امزجتنا منذ الصبي فتغافل عنه واحضر يوحنا ابن ماسويه فلما ضعفت قوة
المامون ذكر بجبريل فامر باحضاره فلما حضر غير تدبيره كله فافلح بعد يوم
واستقل بعد ثلثة ايام ثم بعد ايام يسيرة صلح صلاحا تاما فسر به المامون
وامر له بالف الف درهم والف كر حنطة ورد عليه ما كان قبض له وصار اذا
خاطبه يكنيه ثم انتهي الي ان كان لا يخرج عامل الي عمله الا بعد ان يلقي جبريل
ويكرمه وعلا محلة وانحط من سواه وقال اسحق بن علي الرهاوي
ان يوحنا بن ماسويه اخبر ان الرشيد قال لجبريل بن بختيشوع وهو حاج بمكة
يا جبريل اعلمت اني دعوت لك والله في الموقف دعاء كثيرا ثم التفت الي بني هاشم
فقال هل انكر تم قولي فقالوا ذمي هو فقال نعم ولكن صلاح بدني وقوامي به وصلاح
المسلمين بصلاحي فقالوا صدقت يا امير المومنين وقال قال ابن بختيشوع اشترت

ضيعة بسبع مايه الف درهم فنقدت بعض الثمن وتعذر علي بعضه فدخلت علي يحيي
ابن خالد وعنده ولده وانا مفكر فقال لي اراك مفكرا فاخبرته فدعا بالدواة
وكتب بخطه جبريل سبع مايه الف درهم ثم دفع الي كل واحد من ولده فوقع ستمايه
الف درهم قال فقلت جعلت فداك قد اديت عامة الثمن وانما بقي اقله قال اصرف
ذلك فيما ينوبك ثم صرت الي دار الرشيد فلما راني قال ما ابطاك فقلت كنت
يا امير المومنين عند ابيك واخوتك ففعلوا بي كذا وكذا الخدمتي لك قال فما حالي
انا ثم دعا بدابته فركب الي يحيي ثم قال يا ابه اخبرني جبريل بما كان فما كان حالي
انا من بين ولدك فقال امره يا امير المومنين بما شيت يحمل اليه فامر لي بخمسمايه
الف درهم وحكي سعيد بن اسحق النصراني قال قال لي جبريل بن بختيشوع
كنت مع الرشيد بالرقة ومعه ولداه الامين والمامون وكان رجلا كثير الاكل
والشرب فاكل في بعض الايام اشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشي عليه واخرج
فقوي عليه الغشي حتي لم يشك في موته وارسل الي فحضرت وجسست عرقه
فوجدت نبضه خفيا وكان قبل ذلك بايام يشكوا امتلاء وحركة الدم فقلت
لهم يموت ان لم يحتجم الساعة فاجاب المامون اليه وتقدم الحجام وتقدمت باقعاده
فلما وضع المحاجم عليه ومصها رايت الموضع قد احمر فطابت نفسي وعلمت انه حي
فقلت للحجام اشرط فشرط فخرج الدم فسجدت شكرا لله وجعل كلما اخرج
الدم يحرك راسه ويسفر لونه الي ان تكلم وقال اين انا فطيبنا نفسه وغديناه
بصدر دراج وسقيناه شرابا وما زلنا نشمه الارايح الطيبة ونجعل في انفه
الطيب حتي تراجعت قوته ودخل الناس عليه ثم وهب الله له عافيته فلما كان
بعد ايام دعا صاحب حرسه فسال عن غلته في السنة فقال ثلث مايه الف درهم
فسال صاحب شرطته فقال خمسمايه الف درهم فسال حاجبه فقال الف الف درهم

فقال لي ما انصفناك حيث غلات هولاء وهم يحرسوني من الناس علي ما ذكروا
وانت تحرسني من الامراض وتكون غلتك دونهم ثم امر باقطاعي غلة الف الف
درهم فقلت يا سيدي ما لي حاجة الي الاقطاع ولكن تهب لي ما اشتري
لي به ضياعا ففعل ذلك فابتعت بهباته ضياعا غلتها الف الف درهم فجميع ضياعي
املاك لي لا اقطاع والذي صار اليه في ايام خدمته للخلفاء وهي نحو ثلثين سنة
جمل كثيرة وجدته مدرج بخط كاتبه وفيه اصلاحات بخطه فاما ما صرفه منه
في مدة حياته في نفقاته تقريبا فهو سبعة وعشرون الف الف درهم
وست مايه الف درهم وفي ثمن دور وبساتين ومنتزهات ورقيق ودواب
سبعون الف الف درهم وفي عماير ثمانية الاف الف درهم وفي ثمن ضياع اثنا عشر
الف الف درهم وفي ثمن جواهر وما اعده للذخاير خمسمايه الف دينار وخمسون
الف الف درهم وفي وجوه القرب وما كفله عن المصادرين ثلثة الاف الف
درهم وما جحده ارباب الودايع له ثلثة الاف الف درهم ثم الذي خلفه بعد هذا
عند وفاته لابنه بختيشوع وجعل المامون الوصي فيه فسلمه اليه عن اخره
ولم يتعرض الي شي منه فتسعمايه الف دينار وهذا جبريل هو الذي عناه
ابو نواس بقوله

سالت اخي ابا عيسي وجبريل له عقل
فقلت الراح تعجبني فقال كثيرها قتل
فقلت له فقدر لي فقال وقوله فصل
وجدت طبايع الانسان اربعة هي الاصل
فاربعة لاربعة لكل طبيعة رطل

وذكر ابو الفرج الاصفهاني للمامون شعرا قاله في جبريل وهو

الا قل للذي ليس على الاسلام والمله
لجبريل ابي عيسي اخي الانذال والسفله
اني طبك يا جبريل ما يشفي دوا الغله
غزال قد سبا عقلي بلا جرم ولا زله

قال والغناء فيه لتيم خفيف الرمل. ومن كلام جبريل اربعة تهدم العمر ادخال الطعام على الطعام قبل الانهضام والشرب على الريق ونكاح العجوز والتمتع في الحمام

ومنهم بختيشوع بن جبريل

بن بختيشوع عادي الكبار وعادل البحار وعاد النجوم في الاقطار واناف رتبة على ابيه وكانت تتزاحم الاطواد وتتزاح بها اعذار حساده ابن الزيات وابن ابي دواد فلهذا قصد مرات بالغوايل وارصد تارات لعلق الحبايل فلولم تتذكر له سوابق المساعي ويتدارك بالدرياق به سم الافاعي لما امتد به طلق نفسه ولا نفس عنه حلق حبسه ثم صلح حاله وقوي محاله ونطق في مجالس الخلفاء لسانه وصدق احسانه واستعاد ايامه الاول اترابا وايامه الحسان وطالما هزته اطرابا. ذكره ابن ابي اصيبعة وقال فيه كان سريانيا نبيل القدر وبلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ما لم يبلغه احد من ساير الناس الذين كانوا في عصره وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرش قال الترجمان وكان ابن ابي دواد وابن الزيات يعاديانه ويغريان به الواثق فسخط عليه وقبض على امواله وضياعه ونفاه الى جندي سابور فلما اعتل الواثق بالاستسقاء بعث لاحضاره ثم عاجل الواثق الموت قبل وصوله ثم صلحت ايام المتوكل حاله الى ان بلغ مبلغا حسده عليه المتوكل وقبض عليه قال ان بختيشوع

كان عظيم المنزلة عند المتوكل فافرط في الادلال عليه فنكبه وقبض على املاكه ونفاه الى مدينة السلام ثم عرض للمتوكل قولنج فاستحضره واعتذر اليه وعالجه فبرا فانعم عليه ورضي عنه واعاد عليه ما كان له ثم جرت على بختيشوع مكيدة اخرى فنكبه ووجه به الى البصرة ثم رده المستعين الى وظيفة الخدمة واحسن اليه احسانا كثيرا فلما ولي المهتدي جرى مجرى المتوكل في انسه بالاطباء وكان بختيشوع لطيف المحل منه وشكا اليه بختيشوع ما اخذ منه ايام المتوكل فامر بان يدخل الخزاين فكلما عرفه رد اليه فلم يبق له شي الا اخذه واطلق له كلما فاته وكتب برعاية اسبابه وقال بختيشوع للمهتدي في آخر امره يا امير المومنين لي اربعون سنة لم افتصد ولا شربت دواء وقد حكم المنجمون باني اموت في هذه السنة ولست اغتم لموتي وانما اغتم لمفارقتكم فكلمه المهتدي بجميل وقال قل ان يصدق المنجم فلما انصرف كان اخر العهد به وقال الحضري تنازع ابرهيم بن المهدي وبختيشوع بين يدي احمد ابن ابي دواد في عقار بالسواد فاغلظ عليه ابرهيم فغضب ابن ابي دواد وقال يا ابرهيم اذا نازعت في مجلس الحكم في حضرتنا امرا فليكن قصدك اما وطريقك نهجا وريحك ساكنة وكلامك معتدلا ووف مجالس الخلافة حقوقها فان هذا اليق بك واجمل بحسن مذهبك وشريف محتدك ولا تعجلن فرب عجلة تورث ريثا والله يعصمك من الزلل وخطل القول والعمل ويتم نعمته عليك كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم فقال ابرهيم امرت اصلحك الله بسداد وحضضت على الرشاد ولست بعايد الى ما يثلم قدري عندك ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار وها انا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه لان الغضب لا يزال يستفزني بمراده فيردني مثلك بحلمه وتلك عادة الله

عندك وعندنا فيك وقد جعلت حظي من هذا العقار لبختيشوع وليت ذلك يفي
بارش الجناية عليه ولن يتلف مال افاد موعظة قال ـــ ابو محمد بدر ابن
ابي الاصبغ الكاتب حدثني جدي قال دخلت على بختيشوع في يوم شديد الحر وهو
جالس في مجلس بخيش عنده طاقات من الخيش طاقان ريح بينهما طاق اسود وفي
وسطها قبة عليها جلال اسود من قصب مطهر بديبقي قد صبغ بماء الورد والكافور
والصندل وعليه جبة يماني سعيدي مثلة ومطرف قد التحف به فعجبت من زيه
فحين حصلت معه في القبة نالني من البرد امر عظيم فضحك وامر لي بجبة ومطرف
وقال يا غلام اكشف جوانب القبة فكشفت فاذا ابواب مفتوحة من جوانب
الايوان الى مواضع مكبوسة بالثلج فيخرج منه البرد الذي لحقني ثم دعا
بطعامه فاتي بمائدة في غاية الحسن عليها كل شيء حسن ظريف ثم اتي بفراريج
مشوية في غاية الحمرة وجاء الطباخ فنفضها كلها فانتفضت وقال هذه فراريج
تعلف اللوز والبزر قطونا وتسقى ماء الرمان ولما كان في صلب الشتاء دخلت
اليه يوما والبرد شديد وعليه جبة محشوة وكساء وهو جالس في طارمة في
الدار على بستان في غاية الحسن وعليها سمور قد ظهرت به وفوقه جلال حرير
مصبغ ولبود مغربية وانطاع ادم يمانية وبين يديه كانون فضة مذهب مخرق
وخادم يوقد العود الهندي وعليه غلالة قصب في نهاية الرفعة فلما حصلت معه
في الطارمة وجدت من الحر امرا عظيما فضحك وامر لي بغلالة قصب وتقدم
بكشف جوانب الطارمة فاذا مواضع لها شبابيك خشب بعد شبابيك حديد
وكوانين فيها فحم الغضا وغلمان ينفخون ذلك الفحم بالزقاق كما يكون للحدادين
ثم دعا بطعامه فاحضروا ما جرت به العادة في السرو والنظافة واحضرت
فراريج بيض شديدة البياض فبشعتها وخفت ان تكون غير نضيجة ووافى الطباخ

فنفضها فانتفضت فسألته عنها فقال هذه تعلف الجوز المقشر وتسقى اللبن
الحليب وكان بختيشوع بن جبريل يهدي البخور في درج ومعه درج آخر فيه فحم
يتخذ له من قضبان الاترج والصفصاف وسوق الكرم المرشوش عليه عند
احراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور وماء الخلاف والشراب العتيق ويقول
انا اكره ان اهدي بخورا بغير فحم العامة ويقال هذا عمل بختيشوع قال ـــ
ابو محمد بدر ابن ابي الاصبغ عن ابيه عن ابي عبد الله محمد بن الجراح عن ابيه ان
المتوكل قال يوما لبختيشوع ادعني فقال السمع والطاعة فقال اريد ان يكون ذلك
غدا قال نعم وكرامة وكان الوقت صائفا وحره شديد فقال بختيشوع لانسابه
واصحابه وامرنا كله مستقيم الا الخيش فانه ليس لنا منه ما يكفي فاحضر وكلاه
وامرهم بابتياع كل ما يوجد من الخيش ببسر من راي ففعلوا ذلك واحضروا كل
من وجدوه من النجادين والصناع فقطع لداره كلها صحونها وحجرها ومجالسها
وبيوتها ومستراحاتها خيشا حتى لا يجتاز الخليفة في موضع غير مخيش وانه افكر
في روائحه التي لا تزول الا بعد استعماله مدة فامر بابتياع كل ما يقدر عليه بسر من راي
من البطيخ واحضر حشمه وغلمانه واجلسهم يدلكون الخيش بذلك البطيخ
ليلتهم كلها واصبح وقد انقطعت روائحه فتقدم الى فراشيه فعلقوا جميعه في
المواضع المذكورة وامر طباخيه بان يعملوا خمسة الاف جونة في كل جونة باب
خبز سميد ودست رقاق وزن الجميع عشرون رطلا وحمل مشوي وجدي بارد
وفائقة ودجاجتان مصدرتان وفرخان ومصوصتان وثلثة الوان وجام حلوا
فلما وافاه المتوكل راى كثرة الخيش وجدته فقال اي شيء ذهب برائحته فاعاد
عليه حديث البطيخ فعجب من ذلك فاكل هو وبنو عمه والفتح بن خاقان على مائدة
واحدة واجلس الامراء والحجاب على سماطين عظيمين لم ير مثلهما لامثاله وفرق

الجون على الغلمان والخدم والنقباء والركابية والفراشين والملاحين وغيرهم
من الحاشية لكل واحد جونة وقال قد امنت ذمتهم لانني ما كنت لو اطعموا
على ما يدة آمن ان يرضي هذا ويغضب الاخر ويقول واحد شبعت ويقول آخر
لم اشبع فاذا اعطي كل انسان جونة من هذه الجون كفته واستشرف المتوكل
على الطعام فاستعظمه جدا واراد النوم فقال لبختيشوع اريد ان تنومني في موضع
مضي لا ذباب فيه وظن انه يعنته بذلك وقد كان بختيشوع تقدم بان يجعل
اجاجين الدبس في سطوح الدار ليجتمع الذباب عليه فلم يقرب اسافل الدار ذبابة
واحدة ثم ادخل المتوكل الى بيت مرتفع كبير سقفه كله بكوا فيها جامات
يضيء البيت منها وهو مجلس مطهر بعد الخيش بالدبيقي المصبوغ بماء الورد والصندل
والكافور فلما اضطجع للنوم اقبل يشم روايح في نهاية الطيب لا يدري ما هي لانه لم
ير في البيت شيئا من الروايح والفواكه والانوار ولا خلف الخيش لا طاقات ولا
موضع يجعل فيه شيء من ذلك فتعجب وامر الفتح بن خاقان ان يتتبع حال تلك
الروايح حتى يعرف صورتها فخرج يطوف فوجد حول البيت من خارجه ومن ساير
نواحيه وجوانبه ابوابا صغارا كالطاقات محشوة بصنوف الرياحين
والفواكه واللخالخ والمشام التي فيها التفاح والبطيخ المستخرج ما فيها المحشوة
بالنمام والحماحم اليماني المعمول بماء الورد والخلاف والكافور والشراب العتيق
والزعفران الشعر ورأى الفتح غلمانا قد وكلوا بتلك الطاقات مع كل غلام
مجمرة فيها ند ليسجره ويبخر به البيت من داخله ازار مع اسفيذاج مخرم خروما
صغارا لا تبين تخرج منها تلك الروايح الطيبة العجيبة الى البيت فلما عاد الفتح
وشرح للمتوكل صورة ما شاهده كثر تعجبه منه وحسد بختيشوع على ما راه
من نعمته وكمال مروءته وانصرف من داره قبل ان يستتم يومه وادعى شيا

وجده من ثياب بدنه وحقد عليه ذلك فنكبه بعد ايام يسيرة واخذ له مالا كثيرا
لا يقدر ووجد له في جملة كسوته اربعة آلاف سراويل دبيقي سفري في جميعها
تكك ابريسم ارمني وحضر الحسين بن محمد فختم على خزاينه وحمل الى دار المتوكل
ما صلح منها وباع شيئا كثيرا وبقي بعد ذلك حطب وفحم ونبيذ وتوابل فاشتراه
الحسين بن مخلد بستة آلاف دينار وذكر انه باع من جملته بمبلغ ثمانية آلاف
دينار ثم حسده حمدون ووشى الى المتوكل وبذل فيما بقي في يده ستة آلاف دينار
فاجيب الى ذلك وسلم اليه فباعه باكثر من الضعف وكان هذا في سنة اربع
واربعين وماتين قال فيثون الترجمان كان المعتز بالله قد اعتل
في ايام المتوكل علة من حرارة وامتنع منها من اخذ شيء من الاغذية والادوية
فشق ذلك على المتوكل كثيرا واغتم به وصار اليه بختيشوع والاطباء عنده وهو
على حاله في الامتناع فمازحه وحادثه فادخل المعتز يده في كم جبة وشي يماني
مثقلة كانت على بختيشوع وقال ما احسن هذا الثوب فقال له بختيشوع يا سيدي
والله ما له نظير في الحسن وثمنه على الف دينار فكل لي تفاحتين وخذ الجبة
فدعا بتفاح فاكل اثنتين ثم قال له تحتاج الجبة الى ثوب يكون معها وعندي ثوب
هو اخ لهذا فاشرب لي شربة سكنجبين وخذه فشرب شربة سكنجبين ووافق
ذلك اندفاع طبيعته فبرأ المعتز واخذ الجبة والثوب وصلح من مرضه فكان
المتوكل يشكر هذا الفعل ابدا لبختيشوع قال ثابت بن قرة بن
سنان بن ثابت ان المتوكل اشتهى في بعض الاوقات الحارة ان ياكل مع
طعامه خردلا فمنعه من ذلك الاطباء لحدة مزاجه وحرارة كبده وغايلة الخردل
فقال بختيشوع انا اطعمك اياه وان ضرك علي فقال افعل فامر باحضار
قرعة وجعل عليها طينا وتركها في تنور واستخرج ماءها وامر ان يقشر الخردل

ويضرب بماء القرع وقال ان الخردل في الدرجة الرابعة من الحرارة والقرع
في الدرجة الرابعة من الرطوبة فيعتدلان فحل شهوتك وبات تلك الليلة ولم
يحس بشيء من الاذي واصبح كذلك فامر بان يحمل اليه ثلث مايه الف درهم وثلثون
تختا من اصناف الثياب قال اسحق بن علي الرهاوي عن عيسي بن
ماسة قال رايت بختيشوع بن جبريل وقد اعتل فامر امير المومنين المتوكل
المعتز ان يعوده وهو اذ ذاك ولي عهد فعاده ومعه محمد بن عبد الله بن طاهر ووصيف
التركي قال واخبرني ابرهيم بن محمد المعروف بابن المدبر ان المتوكل
امر الوزير شفاها وقال اكتب في ضياع بختيشوع فانها ضياعي وملكي ونحلة
منا نحل ارواحنا من ابداننا قال عبيد الله بن جبريل بن عبيد الله
ابن بختيشوع هذا المذكور مما يدل على منزلة بختيشوع عند المتوكل وانبساطه
قال من ذلك ما حدثنا به بعض شيوخنا انه دخل بختيشوع يوما الي
المتوكل وهو جالس على سدة في وسط دار الخاصة فجلس بختيشوع علي عادته
معه علي السدة وكان عليه دراعة ديباج رومي وقد انفتق ذيلها قليلا فجعل
المتوكل يحادث بختيشوع ويعبث بذلك الفتق الي ان بلغ الي حد النيفق
ودار بينهما كلام اقتضي ان سال المتوكل بختيشوع بماذا يعلم ان المشوش
يحتاج الي الشد والوثاق قد قال اذا بلغ في فتق دراعة طبيبه الي حد النيفق
شددناه فضحك المتوكل حتي استلقي على ظهره وامر له في الحال بخلع سنية
ومال جزيل وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الجماهر في الجواهر
ان المتوكل جلس يوما لهدايا النيروز فقدم اليه كل علق نفيس وكل ظريف
فاخر وان طبيبه بختيشوع بن جبريل دخل وكان يانس به فقال له ما تري في
هذا اليوم فقال مثلي حردساف السادين اذ ليس قدروا قبل علي ما معي ثم اخرج

من كمه درج آبنوس مطليا بالفضة وفتحه عن حرير اخضر انكشف عن
ملعقة كبيرة جوهر لمع منها شهاب ووضعها بين يديه فراي المتوكل ما لا
عهد له بمثله وقال من اين هذا قال من الناس الكرام ثم حدث انه صار الي
ابي من ام جعفر زبيدة في ثلث مرات مايه الف دينار بثلث شكايات عالجها
منه فيها احدها انها شكت عارضا في حلقها منذرة بالخناق فاشار عليها
بالفصد والتطفية والتغذي بحشو وصفه فاحضر علي نسخة في غضاره صينيه
عجيبة الصفة وفيها هذه الملعقة فغمزني ابي علي رفعها ففعلت ولففتها في طيلساني
وحاسبها الخادم فقالت له لاطفها وامره بردها وعوضه منها عشرة الاف دينار
فامتنعت وقال ابي يا ستي ان ابني لم يسرق قط فلا تفضحيه في اول كراته لئلا
ينكسر قلبه فضحكت ووهبتها له وسئل عن الاخريين فقال انها اشتكت
اليه تغير النكهة باخبار احدي بطانتها اياها وذكرت ان الموت اسهل عليها من
ذلك فجوعها الي العصر واطعمها سمكا ممقورا واسقاها دردي نبيذ دقل باكراه
فغثيت نفسها وقذفت فكرر ذلك عليها ثلثة ايام ثم قال لها تنكهي في وجه من
اخبرك بذلك واستخبريه هل زال والثالثة انها اشرفت علي التلف من فواق شديد
كان يسمع من خارج الحجرة فامر الخادم باصعاد خوابي الي سطح الصحن وتصفيفها حوله
علي التشفير وملاها ماء وجلس خلف كل حب خادم حتي اذا صفق بيده علي الاخري دفعوها
دفعة الي وسط الدار ففعلوا وارتفع لذلك صوت شديد ارعبها فوثبت وزايلها
الفواق قال ابو علي القباني حدثني ابي قال دخلت يوما الي بختيشوع
وكان من ايام الصيف وجلست فاذا هو قد رفع طرفه الي خادمه وقال له هات فجاء
بقدح فيه نحو نصف رطل شراب عتيق وعلي طرف خلاله ذهب وشي اسود فمضغه
ثم شرب الشراب عليه وصبر ساعة فرايت وجهه يتقد كالنار ثم دعا باطباق

فيها خوخ جبلي في نهاية الحسن فاقبل يقطع ويأكل حتى انتهى وسكن تلهبه وعاد وجهه الى حاله فقلت له حدثني بخبرك فقال اشتهيت الخوخ شهوة وخفت ضرره فاستعملت الترياق والشراب حتى تفرت الحجر ليجيد الطحن ونقلت من بعض الكتب ان بختيشوع كان يامر بالحقن والقمر متصل بالذنب فيحل القولنج من ساعته ويامر بشرب الدواء والقمر على مناظرة الزهرة فيصلح العليل من يومه ∴ ولما توفي بختيشوع خلف عبيد الله ولده وخلف معه ثلث بنات وكانت الوزراء والنظار يصادرونهم ويطالبونهم بالاموال فتفرقوا واختلفوا وكان موته يوم الاحد لثمان بقين من صفر سنة ست وخمسين ومائتين ∴ ومن كلام بختيشوع ابن جبريل الشرب على الجوع ردي والاكل على الشبع اردي منه وقال اكل القليل مما يضر اصلح من اكل الكثير مما ينفع ولبختيشوع من الكتب كتاب الحجامة على طريق المسالة والجواب

ومنهم جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع عالم انفق علم الطبيعة وابقن في برء السقام ربعه بخاطر يجري عذبه سلسالا ويحيى سحبه ارسالا لا تلبث العلل معه ولا تتشبث منه ببارقه مطمعه علما وهبه وعملا اطفا ضرم المزاج وفرق لهبه قال ابن ابي اصيبعة كان فاضلا عالما متقنا في صناعة الطب جيدا في اعمالها حسن الدراية لها وله تصانيف جليلة في صناعة الطب وكانت اجداده في هذه الصناعة كل منهم اوحد زمانه وعلامة وقته وقال عبيد الله بن جبريل كان جدي عبيد الله بن بختيشوع متصرفا ولما ولي المقتدر استكتبه بحضرته ثم مات فقبض المقتدر على ماله ثم تقلبت بمخلفيه الامور الى ان دخل جبريل بغداد وما معه الا النزر اليسير فقصد طبيبا يعرف بزمرد وقرا عليه وكان من اطباء المقتدر وخواصه وقرا على

يوسف الواسطي ولازم المارستان ثم اتصل برسول صاحب فارس فطار ذكره الى فارس وكرمان وكان سبب خروجه الى شيراز واتصل بعضد الدولة واهدى اليه رسالة في عصب العين تكلم فيها بكلام حسن فحسن موقعه عنده فقرر له جاريا عليه ثم تعرض لروح خالة عضد الدولة مرض فانفذ اليه فشفي على يده فاجزل عطاه ورده مكرما ثم صحبه الى بغداد واجرى عليه رزقين في البيمارستان غير الجراية ثم عرض لابن عباد مرض صعب في معدته فجهز له عضد الدولة بما يحتاج اليه ثم بعث به اليه فلما اتى الري احسن ابن عباد ملتقاه واكرم نزله ثم امتحنه فظهر له فضله فخلع عليه خلعا سنية ثم امره بعمل كناش يذكر فيه الامراض التي تعرض من الراس الى القدم فعمل كناشه الصغير فحسن موقعه عنده ثم وصله بما قيمته الف دينار ورفع امره الى عضد الدولة فزاد موضعه عنده فلما عاد من الري دخل بغداد بزي جميل وامر مطاع وغلمان وحشم وخدم وصادف من عضد الدولة ما يسره واستدعاه حسام الدولة الى الموصل وكانت له امراة عليلة بمرض حاد فاخذ في علاجها واشار بحفظ القارورة فاتفق ان كان عنده واذا بالجارية قد جاءت بالقارورة فنظر الى الماء وقال لحسام الدولة هذه المراة تموت فانزعج لذلك وصرخت الجارية فقال لها جرى في امر هذه الامراة شي لا اعلمه فحلفت الجارية انها لم تجاوز التدبير فقال لعلكم خضبتموها بالحناء قالت قد كان ذلك فخرد وقال لحسام الدولة ابشر بعد ثلثة ايام تبرا فكان كما قال

ومنهم خصيب النصراني خصيب لا يرتقي بكنفه المهزول وطبيب لا يتوقى طبه الا من هو عن الحياة معزول عرف باخبات النفوس وتبع عوالي المنهج برخاص الفلوس كم اجتث شجرة لو تركت لطالت سمراتها وطابت ثمراتها لا جرم ان جرمه اوبقه وجره الى محبسه ثم ما فتح الى غير قرارة القبر

مطبقه ذكره ابن ابي اصيبعة وقال فيه من اهل البصرة ومقامه بها وكان
فاضلاً في صناعة الطب جيد المعالجة قال محمد بن سلامة الجمحي مرض
الحكم بن محمد المازني فاتوه بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه

ولقد قلت لاهلي اذ اتوني بخصيب
ليس والله خصيب للذي بي من طبيب
انما يعرف دائي من به مثل الذي بي

وقال ابن سلام كان خصيب نصرانياً نبيلاً فسقى محمد ابن ابي العباس
السفاح شربة دواء وهو على البصرة فمرض بها وحمل الى بغداد فمات بها فاتهم
به خصيب فحبس حتى مات فنظر في علته الى ما به وكان عالماً فقال قال جالينوس
ان صاحب هذه العلة اذا صار ماؤه هكذا لا يعيش فقيل له ان جالينوس ربما اخطا
فقال ما كنت الى خطايه قط احوج اليه مني الآن ومات من علته

ومنهم عيسى المعروف بابي قريش عارف لا يعادل في طبه ولا
يعادي معه السقم لخطبه ولا يوخر في جدل ولا يورخ زمان به عدل وكان يرجع
اليه فيما التبس ويكاد يستطلق بتطبيبه السحاب اذا احتبس هذا بالدربة
في معرفة قوى العقاقير ولما سبق له به سعد المقادير ذكره ابن ابي اصيبعة
وقال قال اسحق بن علي الرهاوي فيما نقله ان ابا قريش كان صيدلانياً
يجلس على موضع بباب قصر الخلافة وكان ديناً صالحاً وان الخيزران وجهت
بمائها مع جارية لها الى الطبيب فلما خرجت رات ابا قريش فارته الماء فقال
لها هذا ماء امراة حبلى بغلام فرجعت بالبشارة فقالت لها الخيزران ارجعي
اليه واستقصي المسالة فرجعت فقال لها ما قلت الا الحق فلما كان بعد اربعين
يوماً احست الخيزران بالحمل فوجهت اليه ببدرة دراهم وكتمت الخبر عن المهدي

فلما مضت الايام ولدت موسى الهادي فاعلمت المهدي وقالت له ان طبيباً على الباب
اخبر بهذا منذ تسعة اشهر وبعثت اليه بتحف كثيرة وبلغ هذا جرجس فاكذبه
ثم حبلت باخيه هرون الرشيد فقال جرجس للمهدي جرب انت هذا الطبيب
فوجه اليه بالماء فلما راه قال هذا ماء ابنتي ام موسى وهي حبلى بغلام آخر فاثبت
المهدي ذلك عنده فلما مضت الايام ولدت هرون فاحضره المهدي ولم يزل يطرح
عليه الخلع وبدر الدراهم والدنانير حتى علت راسه وصير موسى وهرون في حجره
وكناه ابا قريش لعبهما وقال لجرجس هذا شيء انا بنفسي جربته ثم صار نظير
جرجس في الرتبة ومات ابو قريش وخلف اثنين وعشرين الف دينار مع نعمة سنية
وكثر تخم عيسى بن جعفر المنصور حتى كاد ياتي على نفسه فغم لذلك الرشيد
وقال لابي قريش فقال له يا امير المومنين انه رزق معدة صحيحة وبدناً قابلاً ودهراً
مسالماً والابدان ما لم تختلط على اصحابها في احوالهم لا يومن عليهم منها التلف وان
لم تنظر له في موجدة تجدها عليه او احد عزيز عليه من حرمه لم تامن عليه فقال
لا حيلة عندي في الموجدة عليه ولكن احتل انت فذهب اليه ثم جس عرقه واعلمه
انه يضطر الى محجمه ثلثة ايام قبل العلاج فامره بذلك فلما فرغ منه في اليوم
الثالث قال له ان الوصية مباركة وهي غير مقدمة لاجل ولا موخرة له فان
راى الامير ان يعهد فان لم تحدث حادث قبل اربعين يوماً عالجته في ذلك بعلاج
لا يمضي عليه ثلثة ايام حتى يبرا وينهض وقد امتلا قلب الرجل فانحط كثير من
لحمه واستتر ابو قريش خوفاً من افشاء الخبر فلما كان يوم الاربعين صار الى الرشيد
وقال لا شك في نقصان بدن عيسى فركب اليه الرشيد ودخل عليه ومعه ابو قريش
فوجده والحمة قد نقص نقصاً كثيراً فقال له عيسى بن جعفر اطلق لي يا امير المومنين
قتل هذا الكافر فقد قتلني بما ادخل علي من الروع فقال له يا اخي متعت بك بابي قريش

ردت اليه الحياة بعد الموت فاشكر الله فنعم الحيلة احتال لك وقد امرت له بعشرة
آلاف دينار فاوصل انت اليه مثلها ففعل وانصرف ابو قريش الى منزله بالمال
ولم يرجع الى عيسى بن جعفر الشحم الى ان فارق الدنيا

ومنهم ابن اللجلاج عارف بالاسباب والعلامات عالم اذا نعي العلي
مات كانما حدسه كهانة وظنه البعيد تمثل له عيانه درب العلاج حتى عرف
بغلبة الظن الى ان تتناهى الاعمار وتتمادى مدد البقاء في هذه الدار وزاد في التقريب
وكان كل شيء منه عنده بمقدار قال ابن ابي اصيبعة قال اسمعيل
ابن ابي سهل الطبيب عن ابيه قال ترافقت انا وابن اللجلاج ايام المنصور في حجته
التي حج فيها فكان اذا نام المنصور تنادمنا فسألني ابن اللجلاج وقد عمل في النبيذ
عما بقي من عمر المنصور فاعظم ابي ذلك وقطع النبيذ وجعل على نفسه ان لا ينادمه
ثم اصطلحا فلما جلسا على نبيذهما قال ابن اللجلاج لابي ابي سهل سالتك عن علمك
ببعض الامور فبخلت به وهجرتني ولست ابخل عليك فاسمعه ثم قال ان المنصور
رجل محرور وتزداد يبوسة بدنه كلما اسن وقد حلق راسه وجعل مكان الشعر
غاليه وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية وما يقبل قولي في تركها ولا احسبه
يبلغ الى فيد حتى يحدث في دماغه من اليبس ما لا يكون عندي ولا عند احد من
المتطببين حيلة في ترطيبه فليس يبلغ فيد ان بلغها الا مريضا ولا يبلغ مكة ان
بلغها وبه حياة قال اسمعيل ابن ابي سهل قال لي ابي فوالله ما بلغ المنصور
فيد الا وهو عليل ولا وافى مكة الا وهو ميت ودفن ببير ميمونة

ومنهم عبد الله الطيفوري هبت له رياح ثم سكنت
وتنبهت له عيون رياح ثم وسنت وانتعش جده الخامل ثم غلب عليه الخمول ورنح
غصنه المايل ثم عاجله الذبول وظن ان بارقة ممطرة وقد راى رهامها وامل
رهامها فما سقته الا رشاشا ولا اقامته الا وسقط بتغاشي قال
ابن ابي اصيبعة كان حسن العقل طيب الحديث على لكنه سوداء به كانت في
لسانه شديدة وكان مولده في بعض قرى كسكر وكان احظى خلق الله عند
الهادي قيل انه كان مولى الخيزران والاصح انه كان متطببا لاخيها طيفور فنسب
اليه لما وجه المنصور المهدي الى الري لمحاربة من بها حمل معه الخيزران
وهي حامل بموسى وخرج معها طيفور والطيفوري معه ولم تكن الخيزران شعرت
بالحمل فبعثت قارورة لها ترى بها الاطباء فاتت الجارية بها ابا قريش الصيدلاني فقال
هذه قارورة حامل بغلام فادت قوله الى الخيزران فسرت وعتقت عدة رقاب
واعلمت المهدي فاحضره وساله فقال ذلك فسر اكثر من سرورها ووصله كل
منهما بمال جزيل وامره بلزوم الخدمة وترك خيمته وما كان فيها من متاع الصيادلة
قال فاراد طيفور ان ينفعني فبعثني الى الخيزران وقال هذا طبيبي ماهر في
الطب فابعثي اليه بالماء ليراه ففعلت ذلك فقال لي قل لها كما قال ابو قريش فقلت
ذلك ما لا اقوله لانني لا اكتسب بالمخرقة ولكن هذه قارورة حامل فامرت
لي بالف درهم فلما وافت الري ولدت الهادي فضممت اليه ودعيت بطبيبه وهو
رضيع وفطيم ثم ولدت اخاه الرشيد فكان مولده شوما على الهادي لانه فاز
بالحظوة دونه فاضر بي ذلك في جاهي فلما ادرك الهادي الخلافة رفع من شاني

ومنهم اسرايل بن زكرياء الطيفوري طبيب الفتح بن خاقان
كان يدل بتقدمه في فنه ويدل على هذا غضبه على ملكه وقد احتجم بغير اذنه
لاشتداد اسر معرفته بقوى الامزجة وقد رافقه الابدان الملية والمحوجة
وكان حسن الامتزاج بما ذيصلح بين نافر الاعتدال والمزاج ذكره ابن
ابي اصيبعة وقال فيه كان مقدما في صناعة الطب جليل القدر عند الخلفاء والملوك

وكان مختصًا بابن خاقان وله من الانعام الوافر وكان المتوكل يعتمد عليه وصار عنده الي منزلة بختيشوع وكان متي ركب الي دار المتوكل ركب في مثل مواكب الامراء الاجلاء القواد وامر المتوكل صقلاب وابن الحري بالركوب معه ثم اقطعه قطيعة بسر من راي ركب فاختارها لنفسه خمسين الف ذراع واعطاه ثلثماية الف درهم لينفقها عليه فجازها وضرب المنار عليها وحكي الرهاوي ان اسرايل ابن الطيفوري وجد علي المتوكل اذ احتجم بغير اذنه فافتدي غضبه بثلثة الاف دينار وضيعة تغل له في السنة خمسين الف درهم ووهبها له وسجل له عليها وحكي ابن ماسويه قال رايت المتوكل وقد عاد اسرايل وهو مريض قد غشي عليه فجعل يده تحت راسه مخدة له ثم قال للوزير حياتي معلقة بحياته ان عدمته لا اعيش ثم كان يبعث سعيد بن صالح حاجبه وموسي بن عبد الملك كاتبه يعودانه عنه

ومنهم يزيد بن يوحنا ابن ابي خالد وكان لا يخطي له صواب ولا يبطي به جواب وكان في طبه جد المامون خدم به المصا وابن المهدي والمامون لانه كان لا يتهم ولا يسري وتدلج اليه التهم لعلم يقين منه عقد عليه الانامل واقعد لديه كل امل قال ابن ابي اصيبعة كان جيد العلم حسن المعالجة موصوفًا بالفضل خدم المامون وابن المهدي وكان له منه العناية الظاهرة وله عليه الجامكية الوافرة قال ابن المهدي ان اباعثمان ثمامة العبسي صاحب الحيار اعتل علة تطاولت به وكان شيخًا كبيرًا قال ابن المهدي فسالني الرشيد عن علته واين بلغت به فاعلمته اني لا اعلم له خبرًا فاظهر انكار القول ثم قال رجل غريب من اهل الشرق قد رغب في مصاهرة اهله عبد الملك بن مروان وقد ولدت اخته خليفتين الوليد وسليمن ابني عبد الملك

وقد رغب ابوك في مصاهرته فتزوج اخته ورغبت انا واخوك في مثل ذلك منه فتزوجت ابنته وهو مع ذلك صحابي لجدك وابيك ولاخيك واخيك فلا توجب علي نفسك عيادته ثم امرني بالمصير اليه لعيادته فنهضت واخذت معي متطببي يزيد وصرت اليه فدخلت علي رجل توهمت انه في آخر حشاشة بقيت في نفسه ولم ار فيه للمسئلة موضعًا فامر يزيد متطببي باحضار متطببه فحضر فساله عن حاله فاخبر انه يقوم في اليوم والليلة ماية مجلس واقبل يزيد يسايل المتطبب عن باب باب من الادوية التي تشرب والسفوفات والحقن فلم يذكر لذلك المتطبب شيئًا الا اعلمه انه قد عالجه به فلم ينجح فيه فوجد عند ذلك يزيد مقدار ساعة وقال قد بقي شي واحد ان عمل به رجوت ان ينتفع به وان لم ينجح فلا عالج له قال ابو اسحق فرايت ثمامة قد قويت نفسه عند ما سمع من يزيد ما سمع ثم قال وما ذلك الشي الذي بقي منعت بك قال له شربة اصطمخيقون فقال ثمامة احب ان اري هذه الشربة حتي اشم رايحتها فاخرج يزيد من كمه منديلًا فيه ادوية وفيه شربة اصطمخيقون فامر بها ثمامة فحلت ثم اتي بها فرمي بها في فيه وابتلعها فوالله ما وصلت الي جوفه حتي سمعت منه اصواتًا لم اشك في اني لم ابلغ باب داره الا وقد مات فنهضت ومتطببي معي وما اعقل غمًا وامرت خادمًا لي يكون يحمل معي الاسطرلاب اذا ركبت بالمقام في داره ويعرف خبر ما كان يكون منه فتخلف فوافاني كتاب الخادم بعد الزوال يعلمني انه قام من بعد طلوع الشمس الي زوالها خمسين مرة فقلت تلفت والله نفس ثمامة ثم وافي كتاب الخادم بعد غروب الشمس انه قام منذ زوال الشمس الي غروبها عشرين مجلسًا ثم صار الي الغلام مع طلوع الشمس فذكر انه لم يكن منذ غروب الشمس الي انتصاف الليل الا ثلثة مجالس ولم يكن منه الي

وقت طلوع الفجر شيء فركبت اليه بعد ان صليت الغداة فوجدته نايما وكان
لا ينام فانبه لي وسالته عن خبره فاخبرني انه لم يزل في وجع من جوفه مانع
له من النوم والقرار منذ اكثر من اربعين ليلة حتي اخذ تلك الشربة فلما
انقطع فعل الشربة انقطع عنه ذلك الوجع وانه لم يشته طعاما منذ ذلك
الوقت وانه ما يصبر في وقته من غلبة الجوع عليه وسال الاذن في الاكل فاذن له
يزيد في اكل اسفيذباج قد طبخ في فروج كسكري سمين ثم اتبعها زيرباجه ففعل
ذلك وصرت الي الرشيد فاخبرته بما كان من امر ثمامة فاحضر المتطبب وقال
له ويحك كيف اقدمت علي اسقايه حب الاصطمخيقون فقال يا امير المومنين
هذا رجل كان في جوفه دواء ولا غذاء الا وافسده الكيموس وكان كلما فسد
من تلك الادوية والاغذية صار مادة لذلك الفساد فكانت العلة لهذا
السبب تزداد فعلمت انه لا علاج له بدواء قوي يقوي علي فعل الكيموس
وكانت اقوي الاشياء التي يمكن ان يسقاها الاصطمخيقون فقلت له فيه
الذي قلت ولم اقدم ايضا علي القول انه يبريه لا محالة وانما قلت بقي شيء واحد
فان هو لم ينفعه فلا علاج له وانما قلت ذلك لاني رايت الرجل عليلا قد اضعفته
العلة واذهبت اكثر قواه فلم آمن عليه التلف ان شربه وكنت ارجو له العافية
بشربه اياه وكنت اعلم انه ان لم يشربه ايضا تلف فاستحسن الرشيد ما
كان من قوله ووصله بعشرة آلاف درهم ثم عاد الرشيد ثمامة وقال لقد
اقدمت من شرب ذلك الدواء علي امر عظيم وخاصة اذا كان المتطبب لم
يصرح لك بان في شربه العافية فقال ثمامة يا امير المومنين كنت قد يئست
من نفسي وسمعت المتطبب يقول ان شرب هذا الدواء رجوت ان ينفعه
فاخترت المقام علي الرجاء ولو لحظة علي الياس من الحياة فشربته وكان في

ذلك خيرة من الله عظيمة

ومنهم عبدوس بن زيد وكان طبيبا حاذقا ومصيبا لا يزال
برايه موافقا وله فضل من السحاب لوجر ذلاذله وتبل يتمني لو كان فيه نقص
يشغل عواذله قال ابو علي القناني عن ابيه ان القسم بن عبيد الله
مرض في حياة ابيه مرضا حادا في تموز وحصل به القولنج الصعب فانفرد بعلاجه
عبدوس بن زيد وسقاه ماء اصول قد طبخ وطرح فيه اصول الكرفس والرازيانج
ودهن الخروع وجعل فيه شيئا من ايارج فيقرا فحين شربه سكن وجعه واجاب
طبعه مجلسين فافاق ثم اعطاه من غد ذلك اليوم ماء شعير فاستطرف هذا
منه قال ابو علي القناني ايضا ان اخاه اسحق بن علي مرض وغلبت
الحرارة علي مزاجه والنحول علي بدنه حتي اداه الي الضعف ورد ما ياكله فسقاه
عبدوس بن زيد هذه الاصول ودهن الخروع وفي حزيران اربعة عشر يوما
فعوفي وصلحت معدته وقال في مثل هذه الايام تحم حمي حادة فان كنت
حيا خلصتك باذن الله وان كنت ميتا فعلامة عافيتك له داير سنه ان تنطلق
طبيعتك في اليوم السابع فان انطلقت عوفيت ومع هذا فقد تقوت معدتك
بقوا لو طرحت فيها الحجارة لطحنتها فلما انقضت السنة مرض عبدوس وحمي
اخي كما قال وكان مرضهما في يوم واحد فما زال عبدوس يراعي اخي ويسال عن
خبره الي ان قيل له انطلقت طبيعته فقال قد تخلص ومات عبدوس في الغد
من ذلك اليوم ولعبدوس بن زيد من الكتب كتاب التذكرة في الطب

ومنهم ماسرجويه طبيب البصرة هو اول من ترجم وعرب
ما اعجم وكان صلب العود صعب الجلمود لا ينقل الا ما جرته وفصل كلمه
علي قدر المعني وقدره لا يتجوز في كلمة يعبر بها عن معني ما لم تكن دالة عليها

بالمطابقه مقابلة في اللغة الاخري لما نظرت به موافقه وهو على هذا ظريف العبارة لطيف الحديث اذا سمعت اخباره قال ابن ابي اصيبعة هو الذي نقل كناش اهرن من السرياني الي العربي وكان سريانيا يهودي الدين وهو الذي يعنيه الرازي بقوله قال اليهودي قال ابن جلجل كان ماسرجويه ايام بني امية وعرف كناش اهرن لهم كان في خزائنهم فلما ولي عمر بن عبد العزيز اخرجه فوضعه على مصلاه واستخار الله فيه اربعين يوما ثم اخرجه الي المسلمين للانتفاع به قال الكسروي كان ابو نواس يعشق جارية لامراة من ثقيف تسكن موضعا يعرف بحمان من ارض البصرة يقال لها جنان وكان ابو عثمان وابو امية الثقفيان من اقارب مولاتها فكان ابو نواس يخرج كل يوم من البصرة يتلقي من يرد من ناحية حمان يسالهم عن اخبار جنان قال فخرج يوما وخرجت معه فكان اول قادم عليه ماسرجويه فقال له ابو نواس كيف خلفت ابا عثمان وابا امية فقال له ماسرجويه جنان صالحة الحال كما تحب فقال

اسال القادمين من حمان كيف خلفتم ابا عثمان
وابا امية المهذب والمامول والمرتجي لريب الزمان
فيقولون لي جنان كما سرك في حالها فسل عن جنان

وقال كنت جالسا عند ماسرجويه اذ اتاه رجل فقال اني بليت بمرض عظيم اصبح وبصري علي مظلم وانا اجد مثل لحس الكلاب على معدتي ولا ازال هكذا حتي آكل فاذا اكلت سكن عني ما اجد الي وقت الظهر ثم يعاودني ما كنت فيه فاذا عاودت الاكل سكن ما بي الي وقت العشاء ثم يعاودني ما كنت فيه حتي آكل فقال له ماسرجويه على هذا المرض غضب الله

فانه اساء سبيه الاختيار اذ لم يكن الا لسفلة مثلك ووددت لو ابتليت انا وبني به عوضك ولو انه بنصف ما املك فقال له ما افهم ما تقول فقال له ماسرجويه هذه صحة لا تستحقها اسال الله تعالي نقلها عنك الي احق بها منك وقال شكوت الي ماسرجويه تعذر الطبيعة فقال لي اي الانبذة تشرب فقلت الدوشاب البستاني الكبير الراذي فامرني ان آكل في كل يوم من ايام الصيف على الريق قثاء صغيرة فاكلت منه الخمس والست والسبع فكثر علي الاسهال فشكوت اليه فلم يكلمني حتي حقنني بحقنة كثيرة الشحوم والصموغ والخطمي والارز الفارسي ثم قال لي كدت تقتل نفسك باكثارك من القثاء على الريق لانه كان يحدر من الصفراء ما يزيد عن الامعاء من الرطوبات اللاصقة بها ما يمنع الصفراء من سحجها واحداث الروسنطاريا.

ومنهم سلمويه بن بنان جل في العيان وجل في الاعيان وكان له شان لا تغص به المآقي ولا يغض الايام على لياليه البواقي وسعد به اخوه وصعد رتب المنظر ولم يواخوه ذكره ابن ابي اصيبعة وقال فيه لما استخلف المعتصم اختاره لنفسه وقربه حتي كانت التواقيع في السجلات وغيرها تصدر عن المعتصم بخطه وولي اخاه بيوت الاموال وسلمه خاتمه وكان سلمويه نصرانيا محمود السيرة وافر العقل قال اسحق بن حنين عن ابيه انه كان اعلم اهل زمانه بصناعة الطب ولما اعتل عاده المعتصم وبكا عنده واستشاره فيمن يكون بعده وكان المعتصم قد اصده لعرض الحوايج ابرهيم بن المهدي اوقات خلواته

ومنهم ابرهيم بن فزارون كان موقرا لا تحل له حبوه ولا تحط له ربوه ولا تباري به الثريا اذا لاحت ولا الحميا اذا فاحت وكان مقدما للتطبيب

الارواح وتطييب الاوقات بالافراح لا يزال ينشر الوية المدام ويوثر اندية
الندام وليسيرها كوسًا بجول اشعتها حول اوانيها وتحول اقاصي البلاد
ادانيها قال ابن ابي اصيبعة كان شيخ بني فزارون الكتاب
قال يوسف بن ابرهيم كان ابرهيم بن فزارون قد خرج مع غسان بن عباد
الي السند فحدثني ان غسان بن عباد مكث بارض السند من يوم النيروز
الي يوم المهرجان يشتهي ان ياكل قطعة لحم باردة فما قدر علي ذلك فسالته
عن السبب فقال نطبخه فلا يبرد حتي يروح فنرمي به قال يوسف
واخبرني ابرهيم بن فزارون انه ما اكل بارض السند لحما استطابه الا لحوم
الطواويس وانه لم ياكل لحما قط اطيب من لحم الطواويس ببلاد السند قال
يوسف وحدثني ابرهيم بن فزارون انه رفع الي غسان بن عباد ان في النهر
المعروف بمهران بارض السند قال يوسف وحدثني ابرهيم بن
سمكة تشبه الجري وانها تصاد ثم تطين راسها وجميع بدنها الي موضع مخرج
الثفل ثم يجعل ما لم يطين منها علي الجمر وتمسكها ممسك بيده حتي يستوي
منها ما كان موضوعًا علي الجمر وينضج ثم يوكل ما نضج او يرمي به وتلقي السمكة
في الماء ما لم ينكسر العظم الذي لصلب السمكة فتعيش السمكة
وينبت علي عظمها اللحم وان غسان امر بحفر بركة في داره وملاها ماء وامر
بامتحان ما بلغه قال ابرهيم فكنا نوتي كل يوم بعدة من هذا السمك فنشويه
علي الحكاية التي ذكرت لنا ونكسر من بعض عظمه الصلب ونترك
بعضه لا نكسره فما نكسر عظمه يموت وما لم يكسر عظمه يسلم
وينبت عليه اللحم ويستوي الجلد الا ان جلدة تلك السمكة تشبه جلدة
الجري الاسود وما قشرناه من لحوم السمك التي شويناها ورددناها الي الماء

تكون علي غير لون الجلدة الاولي لانه يضرب الي البياض قال
يوسف وسالت ابرهيم بن فزارون عن قول من يزعم ان نهر مهران وهو
يصب في النهر الملح الان علماء الهند والهند اعلموني ان مخرج النيل ومخرج نهر
مهران من عين واحدة عظيمة فنهر مهران يشق ارض السند حتي يصب في
نهرها الملح والنهر الاخر يشق ارض الهند وجميع ارض السودان حتي يخرج الي
ارض النوبه ثم يصب باقيه في ارض مصر فيرويها ثم يصب باقيه في بحر الروم
ومنهم ابرهيم بن ايوب الابرش كان يعرف كيف تصاد الدراهم
ويعالج جراح الفقر من ضمادات اكياسها المراهم بصيرًا بتعديل المزاج بشربها
خبيرًا بهذا العلاج بطبها وصادف وقتًا قابلًا وملكًا يهب وشفيعًا قايلًا
فجمع ما لم يجمع وحصل من المال ما لا يري مثله ولا يسمع قال عيسي بن
ماسه رايت الابرش وقد عالج اسمعيل اخا المعتز فلما برئ لطمت قبيحه امة المتوكل
لبهية فقال لها مهما اعطيتيه اعطيته مثله فامرت له قبيحة ببدرة فامر له
المتوكل بمثلها فامرت ببدرة اخري فامر له المتوكل بمثلها فما زالا يحضران البدر
حتي احضر كل منهما ست عشرة بدرة ثم اومت الي جاريتها ان تمسك فقال الابرش
لا تقطعي وانا ارد عليك فقالت له خذ ما حضر فانه لا يملا عينك شيء فقال المتوكل
والله لو اعطيتيه الي الصباح لاعطيته مثل ذلك ثم لما افضت الخلافة الي المعتز
كان اخص الاطباء عنده لمكانه من امه قبيحه فلما خلع المعتز قبض عليه صالح
ابن وصيف
ومنهم ماسويه بن يوحنا دخل علي الملك من بابه وتوصل الي الفلك
باسبابه وانتقل من خاصة الكحل الي عامة تدبير الجسد وتقرير اصلاح ما
فسد ثم لم يزل في مزيد في الصناعه وتجديد ما بني مكاسب البضاعه الي ان

صار لا يمتري في نفاقه ولا يمتار الا من فواضل اسواقه ولا يطيب عليل بالطف
من شمايل اخلاقه ذكره الترجمان كيف تنقل وآخر امره انه عالج عين خادم
الفضل بن الربيع فشكا الفضل عينه فاوصله اليه فلم يزل يكحله الى ثلث
الليل ثم سقاه دواء مسهلا فصلح به فاجرى عليه رزقا فما مضت الا ايام حتى
اشتكت عين الرشيد فقال له الفضل يا امير المومنين طبيبي ماسويه من احذق
الناس بالكحل فامر باحضاره ثم قال له هل تحسن شيا من الطب سوى الكحل فقال
نعم يا امير المومنين وكيف لا احسن وقد خدمت المرضى بالبيمارستان فادناه
منه فنظر في عينيه فحجمه في ساقيه وقطر في عينيه فبرا بعد يومين فامر بان
يجري عليه في الشهر الفا درهم وعلوفه ومعونه في السنة عشرون الف درهم
ثم اعتلت اخت الرشيد فعالجها جبريل بانواع العلاج فلم تنتفع فاغتم بها فقال
الرشيد ذات يوم قد كان ماسويه ذكر انه خدم المرضى بالمارستان وعالج الطبايع
فيدخل على عليلتنا لعل عنده فرجا فاحضر جبريل وماسويه فقال له ماسويه
عرفني حالها وجميع ما دبرتها به الى وقتنا هذا فقص عليه فقال ماسويه التدبير
صالح والعلاج مستقيم ولكن احتاج الى ان اراها فامر الرشيد بان يدخل
اليها فلما تاملها وجس عرقها بحضرة الرشيد وخرجوا من عندها قال ماسويه
للرشيد يكون لك طول العمر والبقا هذه تقضي بعد غد ما بين ثلث ساعات الى
نصف الليل فقال جبريل كذب يا امير المومنين انها تبرا وتعيش فامر الرشيد
بحبس ماسويه ليستبر ما قاله وقال ما راينا بعلم الشيخ باسا فلما كان الوقت
الذي وقته ماسويه ماتت فامر الرشيد باخراجه وصيره نظير جبريل في رزقه
ونزله وعلوفته ومعونته ومرتبه ومرتبته

ومنهم يوحنا بن ماسويه طبيب على يديه الشفا ولديه الوفا ماجال

راية المصيب الافل افلاطون وحال فكر جالينوس لعله مثله يكون وود ابن
اثال لو نحت من ايلته وتشوق الحرث للمقيل تحت نخلته وسر السريان اذ كان
منهم معدودا وان لليونان ان يساوا اذ لم يكن منهم له ولودا ولامنه لهم ودودا
قال ابن ابي اصيبعة كان طبيبا ذكيا فاضلا خبيرا بصناعة الطب وله
كلام حسن وتصانيف مشهورة وكان حظيا عند الخلفاء والملوك قال
اسحق بن علي الرهاوي في كتاب ادب الطبيب عن عيسى بن ماسه الطبيب قال اخبرني
ابو زكريا يوحنا بن ماسويه انه اكتسب من صناعة الطب الف الف درهم وعاش
بعد قوله هذا ثلث سنين اخر وكان الواثق مشغوفا به فشرب يوما عنده
فسقاه الساقي شرابا غير صاف ولا لذيذ على ما جرت به العادة وهذا من عادة السقاه
اذا قصر في برهم فلما شرب القدح الاول قال يا امير المومنين اما المذاقات فقد
عرفتها واعتدتها ومذاقة هذا الشراب فخارجة عن طبع المذاقات كلها فوجد
امير المومنين على السقاه وقال تسقون اطبائي وفي مجلسي مثل هذا الشراب وامر
ليوحنا بهذا السبب وفي ذلك الوقت بماية الف درهم ودعا بشماته الخادم وقال
له احمل اليه المال الساعه فلما كان وقت العصر سال شماته الخادم هل حمل مال الطبيب
ام لا فقال لا بعد فقال تحمل اليه ماتيا الف درهم الساعة فلما صلوا العشاء سال
عن حمل المال فقيل لم تحمل بعد فدعا بشماته فقال احمل له ثلث مايه الف درهم فقال
شماته لخازن بيت المال احملوا مال يوحنا والا لم يبق في بيت المال شي فحمل اليه
من ساعته قال سليمن بن حسان كان يوحنا بن ماسويه مسيحي
المذهب سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمه مما وجد بانقره وعمورية
وبلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه امينا على الترجمة وخدم هرون
والامين والمامون وبقي على ذلك الى ايام المتوكل قال وكانت ملوك بني هاشم

لا يتناولون شيئا من اطعمتهم الا بحضرته وكان يقف على روسهم ومعه البراني
بالجوارشنات الهاضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء
وفي الصيف بالاشربة الباردة والجوارشنات قال ابن النديم
البغدادي الكاتب ان يوحنا بن ماسويه خدم بصناعة الطب المامون والمعتصم
والواثق والمتوكل قال يوسف بن ابرهيم كان مجلس يوحنا بن ماسويه
اعمر مجلس كنت اراه بمدينة السلام لمتطبب او متكلم او متفلسف لانه كان يجتمع
فيه كل صنف من اصناف اهل الادب وكان يوحنا دعابه شديدة يحضر بعض من يحضر
لاجلها وكان من اضيق الصدر وشدة الحدة على اكثر مما كان عليه جبريل بن بختيشوع
وكانت الحدة تخرج منه الفاظا مضحكة وكان اطيب مجلسه في وقت نظره
في القوارير الماء وكنت وابن حمدون بن عبد الصمد بن علي الملقب بابي العيرطرد
واسحق بن ابرهيم بن محمد بن اسمعيل الملقب ببيض البغل قد توكلنا به نحفظ نوادره
واظهرت له التلمذة بقراتها كتب جالينوس عليه في الطب قال يوسف
ما حفظت من نوادره في وقت نظره ان امراة اتته فقالت له ان فلانة وفلانة
وفلانة يقرون عليك السلام فقال لها انا باسماء اهل قسطنطينيه وعموريه اعلم
مني باسماء الذين سميتيهم فاظهري بولك حتي انظر لك فيه قال يوسف
وحفظت عليه ان رجلا شكا اليه علة كان شفاوه منها الفصد فاشار به عليه فقال
له لم اعتد الفصد فقال له ولا احسب احدا اعتاده في بطن امه وكذلك لم يعتد
العلة قبل ان يعتل وقد حدثت بك فاختر ما شئت من الصبر على ما احدثت لك
الطبيعة من العلة واعتياد الفصد للسلامة منها قال يوسف وشكا اليه
رجل بحضرتي جربا قد اضر به فامره بفصد الاكحل من يده اليسرى فاخبره انه قد
فعل فامره بشرب المطبوخ فقال قد فعلت فامره بشرب الاصطمخيقون فاعلمه انه

قد فعل فامره بشرب ماء الجبن اسبوعا وشرب مخيض البقر اسبوعين فاعلمه انه
قد فعل فقال انه لم يبق شيء مما امر به المتطببون الا وقد ذكرت انك قد عملته وقد
بقي شيء لم يذكره بقراط ولا جالينوس وقد رايناه يعمل على التجربة كثيرا فاستعمله
فاني ارجو ان ينجح علاجك ان شاء الله فسأله ما هو فقال ابتغ زوجي قراطيس وقطعهما
رقاعا صغارا واكتب في كل رقعة رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية والق نصفها في المسجد
الشرقي بمدينة السلام والنصف الاخر في المسجد الغربي وفرقها في المجالس يوم
الجمعة فاني ارجو ان ينفعك الله بالدعاء اذ لم ينفعك العلاج قال يوسف
وصار اليه وانا حاضر قسيس الكنيسة التي يتقرب فيها يوحنا وقال له قد فسدت
علي معدتي فقال له استعمل جوارشن الخوزي فقال قد فعلت فقال فاستعمل الكموني
قال قد اهلكت منه ارطالا فامره باستعمال المقداديقون فقال قد شربت منه جرة
قال فاستعمل المروسيا فقال قد فعلت واكثرت فغضب وقال له ان اردت ان
تبرا فاسلم فان الاسلام يصلح المعدة قال يوسف واشتدت على يوحنا
علة كان فيها حتى يئس منه اهله ومن عادة النصارى احضار من يئس منه اهله
جماعة من الرهبان والقسيسين والشمامسة يقرون حوله ففعل مثل ذلك بيوحنا
فافاق والرهبان حوله يقرون فقال لهم يا اولاد الفسق ما تصنعون في بيتي
فقالوا له كنا ندعوا ربنا في التفضل عليك بالعافية فقال لهم يوحنا قرص ورد افضل
من صلوات جميع اهل النصرانية منذ كانت الى يوم القيامة اخرجوا من منزلي فخرجوا
قال يوسف وشكا بحضرتي الى يوحنا رجل من التجار جربا به في ايام
الشتاء فقال له ليست هذه من ايام علاج ما تجد وانما علاج ما بك هذا في ايام الربيع
فتنكب اكل المعفنات كلها وطري السمك ومالحه صغار ذلك وكباره وكل حريف
من الابزار والبقول وما يخرج من الضرع فقال له الرجل هذه الاشياء ما اطيق

عنها صبرًا فقال له يوحنا فان كان الامر على ما ذكرت فادمن الها وحدتك
فلو نزل المسيح لك خاصة لما انتفعت بدعائه لما تصف به نفسك من الشر
قال يوسف وعاتبه النصارى على اتخاذ الجواري وقالوا له خالفت ديننا
وانت شماس فاما ان كنت على سنتنا واقتصرت على امراة واحدة وكنت شماسًا
لنا واما اخرجت نفسك من الشماسيه واخذت ما بدا لك من الجواري فقال انما امرنا
في موضع واحد ان لا نتخذ امراتين ولا ثوبين فمن جعل الجاثليق العاض بظر امه
اولى ان يتخذ عشرين ثوبا من يوحنا الشقي في اتخاذ اربع جوار فقولوا
لجاثليقكم ان يلزم قانون دينه حتى نلزمه معه وان خالفه خالفناه قال
يوسف وكان بختيشوع بن جبريل يداعب يوحنا كثيرا فقال له يومًا في مجلس
ابي اسحق ونحن في عسكر المعتصم بالمداين في سنة عشرين ومائتين انت يا
زكريا اخي لابي فقال يوحنا لابي اسحق اشهد ايها الامير على اقراره فوالله لاقاسمنه
ميراثه من ابيه فقال له بختيشوع ان اولاد الزنا لا يرثون ولا يورثون وقد
حكم دين الاسلام للعاهر بالحجر فانقطع يوحنا ولم يحر جوابا قال يوسف
وكانت دار الطيفوري في دار الروم من الجانب الشرقي من مدينة السلام لصيقة
دار يوحنا بن ماسويه وكان للطيفوري ابن قد علم الطب علمًا يقال له دانيل
ثم ترهب بعد ذلك فكان يدخل مدينة السلام عند تادي الخبر اليه بعلة والده
او ما اشبه ذلك وكان ليوحنا طاوس كان يقف على الحائط الذي فيما بين داره
ودار الطيفوري فقدم دانيل مدينة السلام ليلًا في الشهر المعروف باب وهو
شهر شديد الحر كثير الرمد فكان الطاوس كلما اشتد عليه الحر صاح فانبه دانيل
وهو في ثياب صوف من ثياب الرهبان فطرده مرات فلم ينفع ذلك ثم رفع مرزبته
فضرب بها راس الطاوس فوقع ميتًا واستتر الخبر عن يوحنا الى ان ركب ورجع

فصادف عند منصرفه طاوسه ميتًا على باب داره فاقبل يقذف بالجذو من قتله
فخرج اليه دانيل فقال لا تشتم من قتله فاني قتلته ولك على مكانه عدة طواويس
فقال له يوحنا حضرتي ليس يحجبني راهب له سنام وطول ذكر الا انه قال ذلك بفحش
فقال له دانيل وكذلك ليس يحجبني شماس له عدة نساء واسم رئيسة نسائه قراطيس
وهو اسم رومي لا عربي ومعنى القراطيس عند الروم قرنانه وليس تكون المراة قرنانه
حتى تنكح غير بعلها فخرج يوحنا ودخل منزله مفلولا قال يوسف وحدثني
بمصر احمد بن هرون الشرابي ان المتوكل على الله حدثه في خلافة الواثق ان يوحنا
ابن ماسويه كان مع الواثق على دكان كان للواثق في دجله وكان مع الواثق قصبة
فيها شص وقد القاها في دجله ليصيد بها السمك فحرم الصيد فالتفت الى يوحنا
وكان على يمينه فقال قم يا مشوم عن يميني فقال له يوحنا يا امير المومنين لا تتكلم
بمحال يوحنا بن ماسويه الخوزي وامه رساله الصقلبيه المبتاعة بثمانمائه درهم
اقبلت به السعادة الى ان صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم وحتى غمرته
الدنيا فنال منها ما لم يبلغه امله فمن اعظم المحال ان يكون هذا مشومًا ولكن
ان احب امير المومنين ان اخبره بالمشوم من هو اخبرته فقال ومن هو فقال
من ولدته اربع خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة فترك الخلافة وقصورها وبساتينها
وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعا في مثلها في وسط دجلة لا يامن عصف الريح
عليه فيغرقه ثم يتشبه بافقر قوم في الدنيا وشرهم وهم صيادوا السمك قال
لي احمد بن هرون قال لي المتوكل فرايت الكلام قد انجع فيه الا انه امسك لمكاني
قال يوسف وحدثني احمد بن هرون ان الواثق قال في هذا اليوم ليوحنا
وهو على هذه الدكان يا يوحنا الا اعجبك من حاله قال وما هي قال ان الصياد
ليطلب السمك مقدار ساعة فيصيد السمكة تساوي الدينار وما اشبه ذلك

وانا اقعد منذ غدوة الى الليل فلا اصيد ما يساوي درهما فقال له يوحنا وضع امير
المومنين التعجب في غير موضعه ان الله تعالى جعل رزق الصياد من صيد السمك
فرزقه يا تيه لانه قوته وقوت عياله ورزق امير المومنين بالخلافة فهو غني عن
ان يرزق بشيء من السمك ولو كان رزقه جعل في الصيد لوافاه رزقه منه مثل ما
يوافي الصياد قال يوسف وحدثني ابرهيم بن علي متطبب احمد بن طولون
انه كان في دهليز يوحنا بن ماسويه ينتظر رجوع يوحنا من دار السلطان
فانصرف وقد اسلم في ذلك اليوم عيسى بن ابرهيم بن نوح كاتب الفتح بن خاقان
قال ابرهيم فقمت اليه وجماعة من الرهبان فقال لنا اخرجوا يا اولاد الزنا من
داري واذهبوا واسلموا فقد اسلم المسيح الساعة على يدي المتوكل قال
يوسف وقدم جرجه بن زكريا عظيم النوبة في شهر رمضان سنة احدى وعشرين
ومائتين الى سر من راي واهدى الى المعتصم هدايا فيها قرد فاني عند يوحنا في
اليوم الثاني من شوال من هذه السنة وانا اعاتبه على تخلفه عن حضور الدار
في ذلك الوقت لاني رايت سلمويه وبختيشوع والحريش المتطببين وقد وصلوا
اذ دخل علينا غلام من الاتراك الخاصة ومعه قرد من القرود التي اهداها ملك
النوبة لا اذكر اني رايت اكبر منه جثة وقال له يقول لك امير المومنين زوج
هذا القرد من حاحم قردتك وكان ليوحنا قردة يسميها حاحم كان لا يصبر عنها
ساعة فوجم لذلك ثم قال للرسول قل لامير المومنين اتخاذي لهذه القردة غير ما
توهمه امير المومنين وانما دبرت تشريحها لاجل وضع كتاب على ما وضع جالينوس
في التشريح يكون وضعي اياه لامير المومنين وكان في جسمها ضعف فخفت
ان تكون العروق فيها والاوراد والعصب دقاقا فلا اطيق في ايضاح الامر فيها مثل
ايضاحها فيما عظم جسمه فتركتها لتكبر وتغلظ جسمها فاما اذ قد وافى هذا

القرد فسيعلم امير المومنين اني ساضع له كتابا لم يوضع في الاسلام مثله
ثم فعل ذلك بالقرد فظهر له منه كتاب حسن استحسنه اعداوه فضلا عن
اصدقائه قال يوسف واعتل محمد بن سليمن بن الهادي المعروف
بابي مشغوف علة تطاولت به وكان ابو العباس ابن الرشيد يلزم يوحنا تعاهده
وكان محمد بن سليمن ربما يزيد في الحديث اشياء لا يحيل باطلها على سامعها فدخل
اليه يوما وانا عنده فاستشاره فيما ياخذه فقال يوحنا قد كنت اشير عليك بما تاخذ
في كل يوم وانا احسبك تحب الصحة والعافية فاما اذا صح عندي انك تكره العافية
وتحب العلة فلست استحل ان اشير عليك بشيء فقال له ابو مشغوف يا جاهل
من يكره العافية ويحب العلة فقال له يوحنا انت والبرهان على ذلك ان العافية
في العالم تشبه الحق والسقم يشبه الكذب وانت تتكلم اكثر دهرك بالكذب
فيكون كذبك مادة لسقمك فمتى تبرا انت من علة متطاولة وانت تمدها اكثر
دهرك بالكذب فيكون كذبك زايد فيها فالزم الصدق ثلثة ايام ولا تكذب
فيها فيوحنا بريء من المسيح ان لم تخرج من هذه العلة قبل ثلثة ايام ونقلت
من كتاب الهدايا والتحف لابي بكر وابي عثمان الخالديين قالا حدثنا ابو يحيى
قال افتصد المتوكل فقال لخاصته وندمايه اهدوا الي يوم فصدي فاحتفل كل واحد
منهم في هديته واهدى اليه الفتح بن خاقان جارية لم ير الراوون مثلها حسنا
وظرفا وكمالا فدخلت اليه ومعها جام ذهب في نهاية الحسن ودن بلور لم ير مثله
فيه شراب يتجاوز الوصف ورقعة فيها مكتوب

اذا خرج الامام من الدواء واعقب بالسلامة والشفاء
فليس له دواء غير شرب بهذا الجام من هذا الطلاء
وفض الخاتم المهدي اليه فهذا صالح بعد الدواء

فاستظرف المتوكل ذلك واستحسنه وكان بحضرته يوحنا بن ماسويه فقال
يا امير المومنين الفتح والله اطب مني فلا تخالف ما اشار به قال
ومن نوادر يوحنا بن ماسويه ان المتوكل قال له يوما بعث بيتي بقصرين فقال
له اخر الغذاء يا امير المومنين اراد المتوكل تعشيت فضرني لانه تصحيفها فاجابه
ابن ماسويه بما يضمن العلاج وعيب ابن حمدون النديم ابن ماسويه بحضرة المتوكل
فقال له ابن ماسويه لو ان مكان ما فيك من الجهل عقل ثم قسم على مائة خنفساء
لكانت كل واحدة منها اعقل من ارسطوطاليس ۞ ووجدت في كتاب
جراب الدولة قال دخل ماسويه الطبيب الى المتوكل فقال المتوكل لخادم له خذ
بول فلان في قارورة وات به الى بين يدي ابن ماسويه فاتى به فلما نظر اليه قال
هذا بول بغل لا محالة فقال المتوكل كيف علمت انه بغل قال ابن ماسويه احضرني
صاحبه حتى اراه ويتبين كذبي من صدقي فقال المتوكل هاتوا الغلام فلما مثل بين
يديه قال له ابن ماسويه ايش اكلت البارحة قال خبز شعير وما قراح فقال ابن
ماسويه هذا والله طعام حماري اليوم ۞ ونقلت من خط المختار بن الحسن بن
بطلان ان ابا عثمان الجاحظ ويوحنا بن ماسويه قال اجتمعا بغالب ظني على مائدة
اسمعيل بن بليل الوزير وكان من جملة ما قدم مضيرة بعد سمك فامتنع يوحنا
من الجمع بينهما قال له ابو عثمان ايها الشيخ لا يخلوا ان يكون السمك من طبع اللبن
او مضادا له فان كان احدهما ضد الآخر فهو دواء له وان كانا طبعا واحدا فلنحسب
انا قد اكلنا من احدهما الى ان اكتفينا فقال يوحنا والله ما لي خبرة بالكلام
ولكن كل يا ابا عثمان وانظر ما يكون في غد فاكل ابو عثمان نصرة لدعواه ففلج
في ليلته فقال هذه والله نتيجة المحال من القياس والذي ضلل ابا عثمان
اعتقاده ان السمك من طبع اللبن ولو سامحناه في انهما من طبع واحد لكان امتزاجهما

قوة ليست في احدهما ۞ وحدث الصولي في كتاب الاوراق قال كان
المامون نازلا على البدندون نهر من اعمال طرسوس فجلس يوما واخوه
المعتصم عليه وجعلا ارجلهما فيه استبرادا له وكان ابرد الماء وارقه والذه
فقال المامون للمعتصم احببت الساعة من ازاذ العراق اكله واشرب عليه من
هذا الماء البارد وسمع صوت حلقة البريد واجرسه فقيل هذا يزيد بن مقبل بريد
العراق فاحضر طبقا من فضة فيه رطب ازاذ فعجب من تمنيه وما تم له فاكلا
وشربا من الماء ونهضا وتودع المامون واقال ثم نهض محموما وفصد فظهرت في
رقبته نفخة كانت تعتاده ويراعيها الطبيب الى ان تنضج وتفتح وتبرا فقال
المعتصم للطبيب وهو ابن ماسويه ما اظرف ما نحن فيه تكون الطبيب المنفرد
المتوحد في صناعتك وهذه تعتاد امير المومنين ولا تزيلها عنه وتتلطف في
حسم مادتها حتى لا ترجع اليه والله لئن عادت هذه العلة عليه لاضربن
عنقك فاستطرف ابن ماسويه لقول المعتصم وانصرف فحدث به بعض من
يثق به وبابس منه فقال تدري ما قصد المعتصم قال لا قال قد امرك بقتله
حتى لا تعود النفخة اليه والا فهو يعلم ان الطبيب لا يقدر على دفع الامراض
عن الاجسام وانما قال لا تدعه يعيش ليعود المرض عليه فتعالل ابن ماسويه
وامر تلميذا له بمشاهدة النفخة والتردد الى المامون نيابة عنه والتلميذ يجيئه
كل يوم ويعرفه حال المامون وما تجدد له فامره بفتح النفخة فقال اعيذك بالله
ما احمرت ولا بلغت الى حد الجرح فقال له امض وافتحها كما اقول لك ولا
تراجعني فمضى وفتحها ومات المامون رحمة الله عليه اقول انما
فعل ابن ماسويه ذلك لكونه كان عديم المروة عديم الدين والامانة وكان على
غير ملة الاسلام ولا له تمسك بدينه ايضا كما حكي عنه يوسف بن ابرهيم في اخباره

المتقدمة ومن ليس له دين يتمسك به ويعتقد فيه فالواجب ان لا يُدانيه عاقل
ولا يركن اليه حازم؛ وكان وفاة يوحنا بن ماسويه بسرمن راي يوم
الاثنين لاربع خلون من جمدي الاخرة سنة ثلث واربعين ومايتين في خلافة
المتوكل؛ ومن كلام يوحنا بن ماسويه سئل عن الخير الذي لا شر
معه فقال القليل من الشراب الصافي ثم سئل عن الشر الذي لا خير معه
فقال نكاح العجوز وقال اكل التفاح يرد النفس فقال عليك من الطعام بما حدث
ومن الشراب بما عتق

ومنهم ميخايل بن ماسويه طبيب المامون وربيب ذلك الفضل
الممنون نفق على ذلك الفاضل ودفع كل مناضل لا يكذب يقينه مينه الصدوق
ولا يلز جواده السبوق فطما مع ذلك البحر المحيط وحج اليه الوفد واول
ما نزع المخيط قال يوسف بن ابرهيم مولى ابن المهدي حضر ابن
ماسويه دار ابن المهدي مع جماعة من وجوه الاطباء وكانت امة شكله
عليله فنظروا الى ما بها وجسوا عرقها ثم عادوا في اليوم الثاني فقالوا
لهم انها اصبحت صالحة لا يشكون في افراقها فلما نهضوا اتبعتهم
فسالت واحدا واحدا عما عنده فيها فكلهم قال مثل مقالته الا ابن سلمويه
فانه قال هي اليوم اصعب حالا من امس وقال لي ميخايل انه قد ظهر بالامس
بالقرب من قلبها مرض ورم ولم نره اليوم افتراه ساخ في الارض او ارتفع
الى السماء انصرف فاعد لهذه المراة جهازها فليست تبيت من الاحياء
فتوفيت وقت صلاة العشاء

ومنهم حنين بن اسحق العبادي ابو زيد والعباد بفتح العين
قبايل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة كان من ابناء

الصيارف واتى الا ابناء المعارف تعلق بالعلم لطلب تحصيله وتيقن
تاصيله يغادي اليه ايامه ويبكر ويهاجر منامه ولا يهجر وكان لا
يرفع له علم قدر ولا يوسع له اكرم صدر لمهنة اباته الوضيعه واهنة
امانا تهم المضيعه ونفسه تانف له ان يري بعين هضيمه او يراقب بمعاملة
مضيمه فنهض نهضة ثاير وقام قومة ساير ودخل بلاد الروم فتخلق باخلاقهم
وجاء على وفاقهم حتى كان احد علمايهم واوحد حكمايهم ثم خرج متنكرا لا
يعرف من الاعيا من عيصه ولا من اي المصايد قنيصه حتى احله من كان
لا يجله وقل لديه من كان يستقله؛ ذكره يوسف بن ابرهيم في سبب
ظهوره ما مختصره ان حنين العبادي كان يقرا على ابن ماسويه ورهط ابن ماسويه
من اهل جندي سابور ويكرهون اهل الحيرة فكره ذات يوم من العبادي
كثرة سواله فطرده وقال له شانك ان تكون صيرفيا فخرج من عنده والى
ان يتعلم لغة يونان كاحسن ما يكون فجمعني به مجلس فاذا بانسان له شعرة
قد جللته وقد ستر وجهه عني ببعضها وطفق ينشد شعرا بالرومية لاوميرس
رئيس شعراء الروم فعرفته بنغمته وكان عهدي به بعيدا فاستكتمني حاله
وسالني الستر عليه فبقيت اكثر من ثلث سنين او اربعا لم اره ثم اني دخلت
على ابن بختيشوع وقد انحدر من معسكر المامون فوجدته عنده وقد ترجم
له اقساما قسمها بعض الروم في كتاب من كتاب جالينوس وهو يخاطبه
بالاجل ويقول له يا زين حنين يعني ابها المعلم فاعظمت ما رايت وتبين ذلك
جبريل في وجهي فقال لا تستنكرن ما ترى من تبجيلي لهذا الفتى فوالله ان
مد له في العمر ليفضحن الاول ثم خرج حنين وتبعته فوجدته ينتظرني
فسلم علي وقال كنت سالتك ستر خبري والان اسالك اظهاره واظهار ما

سمعت جبريل يقوله في فقلت اني اسود وجه ابن ماسويه بما سمعته فقال
تمام سواد وجهه ان تدفع اليه هذه النسخة ولا تعلمه من نقلها فاذا
استدعي بها اعلمه انها اخراجي ففعلت ذلك من يومي فلما قرى ابن ماسويه
تلك الفصول وهي التي يسميها اليونان الفاعلان قال اترى المسيح اوحي في
دهرنا هذا الي احد فقلت له ما اوحي المسيح في هذا الدهر ولا في غيره الي
احد ولا كان الي احد من يوحي اليه فقال له دعني فليس هذا الا اخراج موتد
بروح القدس فقلت له هذا اخراج حنين بن اسحق الذي طردته وامرته ان
يعمل صناعة الصيارف فقال هذا محال ثم صدق القول وسالني التلطف في
اصلاح ما بينهما ففعلت وافضل عليه ثم لم يزل له مبجلا ثم لازم ابن ماسويه واخذ
عنه صناعة الطب ونقل له كتبا كثيرة ثم لما راي المامون في منامه كان
شيخا بهيا جالسا علي منبر وهو يخطب ويقول انا ارسطاطاليس احضر حنين بن
اسحق وساله عنه فاخبره فامره بنقل كتب الحكماء الي اللغة العربية وبذل له
اموالا جمة وقيل للخليفة ان ملك الروم ربما دسه عليك فكان لا ياخذ بقوله
بمفرده ثم اراد اختباره فخلع عليه واعطاه خمسين الف درهم ثم قال له اني اريدك
تصف لي دواء اقتل به عدوا لي سرا فقال اني لم اتعلم الا الادوية النافعة وما
علمت ان امير المومنين يطلب مني غيرها فان احب ان امضي واتعلم فعلت ذلك
فقال هذا شي يطول ورغبه ورهبه وهو لا يزيد علي قوله فحبسه في بعض القلاع
ووكل من ياتيه باخباره فمكث سنة غير مكترث بما هو فيه دابه النقل والتفسير
والتصنيف ثم احضره واحضر له اموالا وغيرها وسيفا ونطعا يرهبه به وهو علي
قوله فقال له اني اقتلك فقال ان لي ربا ياخذ بحقي فان اختار امير المومنين
ان يظلم نفسه فليفعل فتبسم له وقال طب نفسا فانما اردت ان امتحنك لننتفع

بعلمك فقبل حنين الارض وشكر له فقال له الخليفة ما منعك يا حنين من الاجابة
مع ما رايت منا في الحالين فقال شيئان قال ما هما قال الدين والصناعة فخلع
عليه وحمل المال بين يديه وخرج وهو احسن عنده حالا قال الصقلي
كان حنين من رفقة سيبويه في الاشتغال في النحو علي الخليل بن احمد وخدم حنين
المتوكل وحظي في ايامه وكان يلبس زنارا قال العتابي كان حنين في
كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام يصب عليه الماء ويخرج فيلف بقطيفة
وقد اعد له هناب من فضة فيه رطل شراب وكعكه مثرودة فيه فيا كلها
ويشرب الشراب ويطرح نفسه حتي يستوفي عرقه وربما نام ثم يقوم ويتبخر
ويقدم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد طبخ بزيرباج ورغيف فيه ماتيا درهم
فيحسو من المرق ثم ياكل الفروج والخبز وينام فاذا انتبه شرب اربعة ارطال
شرابا عتيقا ولم يذق غير هذا طول عمره فاذا اشتهي الفاكهة الرطبة اكل
التفاح الشامي والرمان والسفرجل وعمل عليه اعداوه حتي مات غما في ليلة
واحدة

ومنهم اسحق بن حنين بن اسحق العبادي ابو يعقوب رجل ما
نهنه في طلب ولا نبه له جفنا من طرب ولم يضع نصبه من كل صالحه وتصويبه
الي صوت كل صايحه حتي لا تخل تقييده لشارده ولا تعديه لوارده الا انه كان
اميل الي الحكمة المطلقة من مفرد الطب وهي لدبه اثر ما يحب ولم يخل من ادب
راح يسوقه وارض يسوقه قال ابن ابي اصيبعة كان يلحق باببه
في النقل ومعرفة اللغات الا ان نقله لكتب الطب قليل جدا بالنسبة الي نقله
لكتب ارسطو وخدم اسحق من خدمه ابوه من الخلفاء والروساء وكان منقطعا
الي القسم بن عبيد الله وزير المعتضد وخصيصا به ومتقدما عنده يفضي اليه باسراره

ولهُ حكايات مستظرفه ونوادر وتوفي ايام المقتدر ومن كلامهِ قليل الراح
صديق الروح وكثيرها عدو الجسم وشرب دواءً مسهلاً فكتب اليهِ القسم
ابن عبيد الله الوزير مداعبًا

أبن لي كيف امسيت وكم كان من الحال
وكم سارت بك الناقة نحو المنزل الخالي

فكتب اليهِ حنين بن اسحق

بخير كنت مسرورًا رخي الحال والبال
فاما السير والناقة نحو المنزل الخالي
فاجلالك انسانيه يا غاية آمالي

ومنهم يوحنا بن بختيشوع كان له جاههُ شفيعًا وعلمهُ
بحلهُ محلاً رفيعًا حتى كان بدرًا في منازل الخلافة طالعًا ونديمًا دواعي السلافة
طالبًا قال ابن ابي اصيبعة كان طبيبًا متميزًا خبيرًا باليونانيه والسريانيه
ونقل كتبًا كثيرة وخدم الموفق الناصر بن المتوكل وكان يعتمد عليهِ ويسميه مفرج
كربي قال ابن طومار كان الموفق اذا جلس للشرب تقدم بين يديه
صينيته من ذهب ومغسل من ذهب وحرداذي بلور وكوز بلور ويجلس يوحنا
ابن بختيشوع عن يمينهِ ويقدم اليهِ مثل ذلك وكذلك بين يدي ابي غالب الطبيب
ويقدم الي جميع الجلساء صواني مدهون وقناني زجاج وغير ذلك وكان ابنه بختيشوع
بمكانة من المقتدر واقطاعات ثم كان عند الراضي كذلك

ومنهم ثابت بن قرة الحراني ابو الحسن سماءٌ لا تقدر امراتها ووزقاه
لا تزال تطرب ملهاتها وكوكب افق دري كيف تسير الثواقب وتصير
المناقب وتسور خود الثريا بالهلال وتخسا رقيب العواء المراقب ظهر له

من قوة الحدس ما كاد يعد كرامه ويرد بهِ البقاء وقد كان الهلاك رامه
قال ابن ابي اصيبعة كان من الصابئة المقيمين بحران وتعلم على محمد
ابن موسى بن شاكر فوصله بالمعتضد فادخله في جملة المنجمين وهو اصل من كان
ببغداد من الصابئه ولم يكن في زمانه من يماثله في الطب ولا في غيره من اجزاء
الفلسفة وله تصانيف مشهورة بالجودة وكذلك جاء جماعة من ذريته وله
ارصاد حسان للشمس تولاها ببغداد وكان يدخل الي المعتضد الي الحبس في كل
يوم ثلث مرات يحدثه ويونسه ويسليه فشغف به فلما خرج من معتقله قال لغلامه
بدر يا بدر اي رجل افدنا بعدك فقال من هو يا سيدي قال ثابت بن قرة ثم اقطعه
اقطاعًا جليلاً وكان يجلسه بين يديه والوزير وبدر وقوف وحكى ابو اسحق
الصابي ان ثابت بن قرة بينما هو ماشٍ مع المعتضد في الفردوس وقد اتكى المعتضد
على يده اذ نتر يده من يده بشدة ففزع ثابت لان المعتضد كان مهيبًا ثم لما نترها
قال له يا ابا الحسن وكان يكنيه في الخلوة سهوت ووضعت يدي على يدك وما
هكذا يجب لان العلماء يعلون ولا يعلون وحكي انه اجتاز يومًا
الي دار الخلافة فسمع صياحًا وعويلاً فقال ما هذا قالوا مات القصاب الذي كان
هنا فجاءة فاتى اليهِ وامر النساء بالسكوت وان يعملوا مزورة وامر بعض غلمانه
ان يضرب القصاب على كعبه بالعصا وجعل يده في مجسه وما زال ذلك يضرب
كعبه الي ان قال حسبك ثم استدعى بقدح واخرج من كمه دواءً فذافه
في القدح بقليل ماء وفتح فم القصاب وسقاه اياه فاساغه ووقعت الصيحة في
الدار والشارع بان الطبيب قد احيا الميت فتقدم ثابت بغلق الباب وفتح القصاب
عينه واطعمه المزورة واجلسه وقعد عنده ساعة واذا برسل الخليفة يدعونه
فلما مثل بين يديه قال له يا ثابت ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك فقال يا مولاي

كنت اجتاز بهذا القصاب واراه يشرح الكبد ويطرح عليها الملح وياكلها
وكنت اعلم ان سيلحقه سكتة فاعددت له هذا الدواء فلما قيل لي اليوم انه مات
فجاءة البارحة علمت ان السكتة قد لحقته فدخلت اليه فلم اجد له نبضا فضربته
الى ان حركت نبضه وسقيته الدواء ففتح عينيه واطعمته مزورة والليلة ياكل
رغيفا بدراج وفي غد يخرج من بيته ⁖ ومن كلامه قوله ليس على الشيخ اضر من
ان يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء فيستكثر من الطعام فيسقم ومن
الجماع فيهرم ⁖ ولما مات ابن قرة رثاه ابن المنجم النديم بقصيدة منها

نعينا العلوم الفلسفيات كلها خبا نورها اذ قيل قد مات ثا ... بت
ولما اتاه الموت لم يغن طبه ولا ناطق مما حواه وصا ... مت
فلو انه يسطاع للموت مدفع لدافعه عنه حماه مصا ... لت
الم تر ان تجلا عن الحق شبهة وشخصك مقبور وصوتك خا ... فت
وقد كان يجلو حسن تبيينك العمى وكل قول حين ينطق سا ... كت
كانك مسوولا من البحر غارف ومستبديا نطقا من الصخر نا ... حت
فلم يتفقدني من العلم واحد هراق اناء العلم بعدك كا ... بت
عجبت لارض غيبتك ولم يكن ليثبت فيها مثلك الدهر ثا ... بت
واحسنت حتى لم يكن لك مبغض ولا لك لما اغتالك الموت شا ... مت
مضى علم العلم الذي كان مقنعا فلم يبق الا مخطي متها ... فت

ومنهم سنان بن ثابت بن قرة ابو سعيد مقرب كل بعيد ومقترض سبب كل وعيد ما صحب صعبا الا دمث شيمته ولين شكيمته ودله على كرم الاخلاق ودل عليه وثوب عرضه لا يمزقه الا خراق قال ابن ابي اصيبعة كان يلحق باببه في معرفته بالعلوم وله قوة بالغة في علم الهيئة

وخدم المقتدر والراضي واراده القاهر على الاسلام فهرب الى خراسان ثم عاد وتوفي ببغداد مسلما وكان على البيمارستان وكانت تواقيع الوزير عيسى بن علي تاتيه بقرب فينفذها منها ان تفقد المحابيس واهل السواد بالاطباء والادوية والاغذية حتى كتب يستاذنه في اهل الذمة فكتب اليه الوزير اكرمك الله ليس بيننا خلاف في ان معالجة اهل الذمة والبهايم صواب ولكن الذي يجب تقديمه والعمل عليه معالجة الناس قبل البهايم والمسلمين قبل اهل الذمة فاعمل على ذلك واكتب الى اصحابك به ووصيهم بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الاوباء الكثيرة والامراض الفاشية واستجد في زمانه مارستان السيدة بسوق يحيى والمارستان المقتدري ثم خدم بعد الراضي بحكم فرتب اخلاقه وسكن سورة غضبه وكان قد شكا اليه ما يجده من ذلك فقال له كلاما زبدته انت قادر متى شيت على الانتقام فاذا اردت ايقاع نقمة باحد اخرها الى الغد ليوقوك بقدرتك فالغضب كالسكر اذا بات زال

ومنهم ثابت بن ابرهيم بن زهرون الحراني كان يتكلم بالحدس الصحيح على كل مغيب ويتقدم عند ملوك فيربي على كل خلافي ومطبب لم يبالغ في وصفه من تعدي ولا ذكر معجز عجايبه الا من ظن انه بها يتحدي ⁖ ذكره ابن ابي اصيبعة فقال كان طبيبا فاضلا كثير الدراية وافر العلم بارعا في الصناعة موفقا في المعالجة مطلعا على اسرار الطب وكان مع ذلك ظنينا بما يحسن نقلت من خط ابن بطلان قال كان قد اسكت ابو طاهر ابن بقية في داره الشاطية على الجسر ببغداد وقد حضر الامير عز الدولة بختيار والاطباء مجمعون على انه قد مات فتقدم ابو الحسن الحراني وكنت اصحبه يوميذ فقال ايها الامير اذا كان قد مات فلن يضره الفصاد فهل تاذن لي في فصده قال له افعل يا ابا الحسن ففصده فرشح منه دم يسير ثم لم يزل يقوي الرشح الى ان صار الدم

يجري فافاق الوزير فلما خلوت به سالته عن الحال وكان ضنينا بما يقول فقال
ان من عادة الوزير ان يستفرغ في كل فصل ربيع دما كثيرا من عروق المقعدة
وفي هذا الفصل انقطع عنه فلما فصدته ثابت القوة من خناقها قال
عبيد الله بن جبريل لما دخل عضد الدولة رحمه الله الي بغداد كان اول من لقيه من
الاطباء ابو الحسن الحراني وكان شيخا مسنا وسنان وكان اصغر من ابي الحسن
وكانا عالمين فاضلين وكانا جميعا يسعدان المرضي ويمضيان الي دار السلطان
فحسن ثناوه عليهم ولما دخلا علي عضد الدولة قال من هولاء قالوا الاطباء قال نحن
في عافية وما بنا حاجة اليهم فانصرفا خجلين فلما خرجا الي الدهليز قال سنان
لابي الحسن يجمل ان ندخل الي هذا الاسد ونحن شيخان فيفترسنا قال له ابو الحسن
فما الحيلة قال نرجع اليه وانا اقول ما عندي وننظر ايش الجواب قال افعل فاستاذنا
ودخلا فقال سنان اطال الله بقاء مولانا موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة
الامراض والملك احوج الناس اليه فقال له عضد الدولة صدقت وقرر لهما الجاري السني
وصارا ينوبان مع اطبائه قال عبيد الله بن جبريل ولهم احاديث كثيرة
حسنة فيها حديث قلا الكبود وذلك انه كان بباب الازج انسان يقلي الكبود
فكانا اذا اجتازا عليه دعا لهما وشكرهما وقام لهما حتي ينصرفا فلما كان في بعض الايام
اجتازا فلم يرياه فظننا انه قد شغل عنهما ومن غد سالا عنه فقيل لهما انه الان قد
مات فعجبا من ذلك وقال احدهما للاخر له علينا حق يوجب علينا قصده ومشاهدته
فمضيا جميعا وشاهداه فلما نظراه تشاورا في قصده وسالا اهله ان يوخروه ساعة
واحدة ليفكروا في امره ففعلوا ذلك واحضروا فاصدا ففصده فصدة واسعة
فخرج منها دم غليظ وكان كلما خرج الدم خف عنه حتي تكلم وسقياه ما يصلح وانصرفا
عنه ولما كان في اليوم الثالث خرج الي دكانه فكان هذا من المعجز لهما فسئلا عن

ذلك فقالا سببه انه كان اذا قلا الكبد ياكل منها وبدنه يمتلي دما غليظا وهو
لا يحس حتي فاض من العروق الي الاوعية وغمر الحرارة الغريزية وخنقها كما تختنق
الزيت الكثير الفتيلة التي تكون في السراج فلما بدرونا بالفصد نقص الدم
وخف عن القوة الحمل الثقيل وانتشرت الحرارة وعاد الجسم الي الصحة وهذا الامتلاء
قد يكون من البلغم ايضا وقد ذكر اسبابه الفاضل جالينوس في كتابه في تحريم الدفن
قبل اربع وعشرين ساعة قال عبيد الله بن جبريل ومن احسن ما سمعت
عن ابي الحسن الحراني انه دخل الي قرابة الشريف الجليل محمد بن عمر رحمه الله وكان
انسانا نبيل القدر قد عارضه ضيق نفس شديد صعب فاخذ نبضه واشار بما يستعمله
فشاوره في الفصد فقال له لا اراه وان كان يخفف المرض تخفيفا بينا وانصرف
وجاءه ابو موسي المعروف ببقه الطبيب وابصر نبضه وقارورته واشار بالفصد
فقال له الشريف قد كان عندي ابو الحسن الحراني الساعة وشاورته في الفصد
فذكر انه لا يراه صوابا فقال بقه ابو الحسن اعرف وانصرف فجاءه بعض
الاطباء الذين هم دون هذه الطبقة فقال يفصد سيدنا الساعة فانه في الحال
يسكن وقوي عزمه علي الفصد ولم يبرح حتي فصده فعندما فصده خف عنه ما
كان يجده خفا بينا ونام وسكن عنه واغتذي وهو في عافية فعاد اليه
ابو الحسن الحراني اخر النهار فوجده ساكنا قارا فلما راه علي تلك الحال قال له
قد فصدت فقال كيف كنت افعل ما لم تامرني به قال ما هو هذا السكون الا
للفصد فقال له الشريف لما علمت بهذا لم لا فصدتني فقال له ابو الحسن الحراني
اذ قد فصد سيدنا فليبشر بحمي ربع سبعين دور ولو ان بقراط وجالينوس
عنده ما تخلص الا بعد انقضائها واستدعي دواه ودرجا ورتب تدبيره لسبعين
نوبة ودفعه اليه وقال هذا تدبيرك فاذا انقضي ذلك جيت اليك وانصرف فمضي

ايام حتى جاءت الحمى وبقيت كما قال فما خالف تدبيره حتى برئ قال عبيد الله بن جبريل ومن اخباره انه كان للحاجب الكبير غلام وكان مشغوفا به واتفق ان الحاجب صنع دعوة كبيرة كان فيها اجلاء الدولة ولما اشتغل بامر الدعوة حم الغلام حمى حادة فورد على قلب الحاجب من ذلك مورداً عظيما وقلق قلقا كثيرا واستدعى ابا الحسن الحراني فقال له يا ابا الحسن اريد الغلام يخدمني في غداة غد اعمل كلما تقدر عليه وانا اكافيك بما يضاهي فعلك فقال له يا حاجب ان تركت الغلام ليستوفي ايام مرضه عاش والا فتمكني من ملازمته ان يقوم في غد لخدمتك ولكن اذا كان العام المقبل في مثل هذا اليوم يحم حمى حادة ولو كان من كان عنده من الاطباء لم ينجح فيه مداواته ويموت اما في البحران الاول او الثاني فانظر ايهما احب اليك فقال له الحاجب اريد ان يخدمني في غد والى العام المقبل فرج ظنا من هذا انه من الاحاديث المدفوعة ولازمه ابو الحسن ولما كان في غد افاق واقام في الخدمة واعطا الحاجب لابي الحسن خلعة سنية ومالا كثيرا وصار يكرمه غاية الاكرام فلما كان في العام المقبل في مثل اليوم الذي حم فيه الغلام عاودته الحمى فاقام محموما سبعة ايام ومات فعظم في نفس الحاجب وجماعة من الناس قوله وكبر لديهم محله وكان هذا منه كالمعجز

ومنهم ابن وصيف الصابي كان يصبوا اليه كل حكيم ويصيب لديه غرضه كل عليم لا يرض له صحره ولا يرضي لغيره فخره ولا يزال يعده كل عليل لصعب الادواء ذخره قال ابن ابي اصيبعة فيه كان طبيبا عالما بعلاج امراض العين ولم يكن في زمانه اعلم منه في ذلك ولا اكثر مزاولة قال سليمن حدثني احمد بن يونس الحراني قال حضرت بين يدي احمد بن وصيف الحراني وقد احضر سبعة انفس لقدح اعينهم وفي جملتهم رجل من اهل خراسان اقعده بين يديه ونظر الى عينيه فراى ماء متهيئا للقدح فساومه على ذلك فطلب اليه فيه واتفق معه على ثمانين درهما وحلف انه ما يملك غيرها فلما حلف له الرجل اطمان فضمه الى نفسه ورفع يده على عضده فوجد بها نطاقا صغيرا فيه دنانير فقال له ابن وصيف حلفت بالله حانثا وانت ترجوا رجوع بصرك اليك والله لا عالجتك اذ خدعتك بك فطلب اليه فيه فابى ان يقدحه وصرف اليه الثمانين درهما ولم يقدحه

ومنهم غالب طبيب المعتضد ما عاد مريضا فعاد مهيضا ولا زار عليلا فشكا غليلا ولا اتى لقي بقلبه الضنى الا نهض من مضجعه ونهى عن الضراء به توجعه نفق في مثل سوق المعتضد ووافق منه ظن المعتقد وكان منه حيث لا يقر قرار المعتمد قال ابن ابي اصيبعة كان يخدم الموفق ايام ابيه المتوكل وخوله ونوله وكان يلطفه ببره ويناد مه ثم خدم المعتضد بعد ابيه الموفق وعالج الموفق من سهم اصابه فبرا فاعطاه مالا كثيرا وقال لغلمانه من اراد اكرامي فليكرمه فبعث اليه مسرور بعشرة الاف دينار ومائة ثوب وبعث اليه ساير الغلمان ما لا يحصى واقطعه مرة زيادة على رزقه ضياعا تغل سبعة الاف دينار واتى المعتضد وهو بامد خبر موته فكان هو المبتدي لابنه سعيد بالعزاء فيه ثم بعث اليه الوزير وساير ارباب الدولة لتعزيته وبعث اليه بخون الطعام ثم خلع عليه واجرى عليه كل ما كان لابيه

ومنهم صاعد بن بشر بن عبدوس ابو منصور فطن لكثير من الغلط وبين في امور منها ما اختلط حتى تلافى تلف الابدان ووافى بما لم يكن للحكماء القدماء به يدان ونقل الامزجة الى ما يلايمها واجمع على هذا اراءه وقد كثر لايمها ثم قفي من بعده على اثاره الحكماء وحفظ تدبيره ونسيت القدماء ذكره ابن ابي اصيبعة وقال كان فاصدا بالبيمارستان ثم اشتغل بصناعة الطب

حتي صار من اكابر اهلها قال ـــــ وهو اول من فطن لنقل اكثر الامراض
التي كانت تداوي بالادوية الحارة الي التدبير المبرد كالفالج والاسترخاء واللقوه
وخالف مسطور القدماء اخذ المرضي بالفصد والتبريد ومنع المرضي من الغذاء
فانجح تدبيره وتقدم وانتهت الرياسة اليه وعول الملوك عليه فرفع عن
البيمارستان المعاجين الحارة والادوية الحاده ونقل تدبير المرضي الي ماء الشعير
ومياه البزور فاظهر من المداواة عجايب من ذلك ما حكاه لي بميافارقين
الرئيس ابو يحيي ولد الوزير ابي القسم المغربي قال عرض للوزير بالانبار قولنج
صعب اقام لاجله في الحمام واحتقن عدة حقن وشرب عدة شراب فلم ير صلاحا
فانفذنا رسولا الي صاعد فلما جاء وراه علي تلك الحال ولسانه قد قصر من العطش
وشرب الماء الحار والسكر وجسمه يتوقد من ملازمة الحمام ومداومة المعاجين
الحارة والحقن الحارة استدعي كوزا مثلوجا فاعطاه الوزير فتوقف عن شربه
ثم انه جمع بين الشهوة وترك المخالفه وشربه فعوفي في الحال نفسه ثم
استدعي فاصدا ففصده واخرج له دما كثير المقدار وسقاه ماء البزور ولعابا
وسكنجبين ونقله من حجرة الحمام الي الخيش وقال له ان الوزير ادام الله عافيته
سينام بعد الفصد ويعرق وينتبه فيقوم عدة مجالس وقد تفضل الله بعافيته
ثم تقدم بصرف الخدم لينام فقام الوزير الي مرقده وقد وجد خفة بعد الفصد
فنام مقدار خمس ساعات وانتبه يصيح بالفراشين فقال صاعد للفراش اذا قام
من الصبيحة فقل له يعاود النوم حتي لا ينقطع العرق فلما خرج الفراش من
عنده قال وجدت ثيابه كانها قد صبغت بماء الزعفران وقد قام مجلسا ونام
ثم لا زال الوزير يتردد دفعات الي اخر النهار مجالس عدة ومن بعد هذا غذاه
بمزوره وسقاه ثلثة ايام ماء الشعير فبرا برءا تاما فكان الوزير ابدا يقول طوبي

لمن سكن بغداد دار اشاطيه وكان طبيبه ابو منصور وكاتبه ابو علي ابن
موصلايا فبلغه الله امانيه فيما طلب ∴ ونقلت ـــــ ايضا من خط ابن بطلان
ان صاعد الطبيب عالج الاجل المرتضي رضي الله عنه من لسب عقرب بان ضمد
بكافور فسكن عنه الالم في الحال ∴ ونقلت ـــــ من خط ابي سعيد الحسن
ابن احمد بن علي في كتاب ورطة الاجلاء من هفوة الاطباء قال كان الوزير علي
ابن بلبل ببغداد وكان له ابن اخت فلحقته سكتة دموية وخفي حاله علي جميع
الاطباء وكان بينهم صاعد بن بشر حاضرا فسكت حتي اقر جميع الاطباء بموته
ووقع اليأس من حياته وتقدم الوزير في تجهيزه واجتمع الخلق في العزاء والنسا
في اللطم والنياح ولم يبرح صاعد بن بشر من مجلس الوزير فعند ذلك قال الوزير
لصاعد بن بشر الطبيب هل لك حاجة فقال له نعم يا مولانا ان رسمت واذنت
لي ذكرت فقال تقدم وقل ما تلج في صدرك فقال صاعد هذه سكتة دموية
ولا مضرة في ارسال مبضع واحد وننظر فان نجح كان المراد وان تكن
الاخري فلا مضرة فيه ففرح الوزير وتقدم بابعاد النساء واحضر ما وجب
من التمريخ والنطول والبخور والنشوق واستعمل ما يجب من شد عضد
المريض واقعده في حضن بعض الحاضرين وارسل المبضع بعد التعليق علي
الواجب من حاله فخرج الدم ووقعت البشاير في الدار ولم يزل يخرج الدم
حتي استتم ثلثمايه درهم من الدم فانفتحت العين ولم ينطق فشد اليد
الاخري ونشقه ما وجب تنشيقه ثم فصده ثانيا واخرج مثلها من الدم
واكثر فتكلم ثم اسقي واطعم ما وجب فبري من ذلك وصح جسمه وركب في
الرابع الي الجامع ومنه الي ديوان الخليفة فدعا له ونثر عليه من الدراهم والدنانير
الكثيرة وحصل لصاعد بن بشر الطبيب مال عظيم وحشمة الخليفة والوزير

وقدمة وزكاة وتقدم على جميع من كان في زمانه ووجدت ـــــ صاعد بن
بشر قد ذكر في مقالته في مرض المراقيا ما عاينه في ذلك الزمان من اهن
وحدها وتخاوف شاهدها ما هذا نصه وانه عرض لنا من تضايق الزمان علينا
والتشاغل بالتماس الامر الضروري ولما قد شملنا من الخوف والحذر والفزع
واختلاف السلاطين وما قد بلينا به مع ذلك من التنقل في المواضع غربيها
وشرقيها ولما قد اظلنا من الامور المذعرة المخوفه التي لا نرجوا في كشفها الا
الله تقدس اسمه هذا ما ذكره وما كان في ايامه الا اختلاف ملوك الاسلام
بعضهم مع بعض وكان الناس سالمين في انفسهم آمنين من القتل والسبي
فكيف لو شاهد ما شاهدنا ونظر ما نظرنا في زماننا من التتر الذين اهلكوا
العباد وخربوا البلاد وكونهم اذا اتوا الي مدينة فما لهم الا قتل جميع من فيها من
الرجال وسبي الاولاد والنساء ونهب الاموال وتخريب القلاع والمدن لكان
استصغر ما ذكره واستقل ما عاينه وحقره ولكن ما طامة الا وفوقها
طامة اعظم منها ولا حادثة الا وغيرها يكبر عنها ولله الحمد على الاسلام والعافيه

ومنهم ديلم وكان من الاطباء المهرة والالباء اهل المخبرة تقدم
في جبلته وقدم لتجيله وحبي بحب لم يح من الضماير ولم يلح عليه امر لبيد
لم يقصر به باعها ولم تمد لجس نبض الا وايدي الاطباء اتباعها ذكره ابن
ابي اصيبعة وقال كان من الاطباء المذكورين ببغداد المتقدمين في صناعة الطب
وكان يتردد الي الحسن بن مخلد وزير المعتمد ويخدمه ووجدت في بعض التواريخ
ان المعتمد على الله وهو احمد بن المتوكل اراد ان يفتصد فقال للحسن بن مخلد
اكتب لي جميع من في خدمتنا من الاطباء حتى نتقدم بان نفصل لكل واحد منهم
على قدره فكتب الاسماء وادخل فيها اسم ديلم المتطبب وكان ديلم يخدم الحسن

ابن مخلد فوقع تحت الاسماء بالصلات فقال ديلم اني جالس في منزلي وقد وافا
رسول بيت المال ومعه كيس فيه الف دينار فسلمه الي وانصرف فلم ادر
ما السبب فيه فبادرت بالركوب الي الحسن بن مخلد وهو حينئذ الوزير فعرفته
ذلك فقال افتصد امير المومنين وامر ان اكتب اسماء الاطباء ليتقدم بصلاتهم
فادخلت اسمك معهم فخرج لك الف دينار

ومنهم فنون طبيب بختيار ولبيب عرف بحسن الاختيار اتقن
الحكمة علما وعملا وعزما واملا وحاز الفضايل معرفة ما ونت ومعالجة ما دعت
صحة الادنت قال ـــــ ابن جبريل ومن اخباره مع بختيار انه رمدت
عين بختيار في بعض الاوقات فقال له يا با نصر لبيس والله تبرح من عندي او تبري
عيني واريد ها تبرا الي يوم واحد وابرمه قال فسمعت ابا نصر يحدث انه قال
له ان انت اردت ان تبرا فتقدم الي الغلمان والفراشين ان يا تمروني دونك
في هذا اليوم وما منهم من يخالفني في امري الا قتلته ففعل بختيار ذلك فامر
ابو نصر ان تحضر اجانة مملوة عسل طبرزد فلما حضر غمس يدي بختيار فيه
ثم بدا يداوي عينيه بالاشياف الابيض وما يصلح الرمد وجعل بختيار يصيح
بالغلمان فلا يجيبه احد ولم يزل كذلك يكحله الي آخر النهار وفيرا وكان هو
السفير بين بختيار والخليفه واذا اخرجت الخلع فعلي يديه تخرج وله منها
النصيب الاوفر

ومنهم نظيف القس الرومي كان كريم العلاج الا انه بيلام
مبارك اليد الا من راه يتشاءم لو راى ابليس طلعة وجهه قال قد تبت من
لا يفلح او ارسطاطاليس لافسد كلما كان يصلح طار عليه طاير هذه السمعة
القبيحه والشنعه التي لبس منها ثوب الفضيحه وكان فاضلا لا يعوز

ويتفاءل لديه اليحر الذي يحجز قال ابن ابي اصيبعة كان خبيرًا
باللغات والنقل فاضلًا في الطب وكان عضد الدولة يتطير منه وكان
يولعون به اذا دخل الي مريض حتي حكي في بعض الاوقات ان عضد الدولة
انفذه الي بعض القواد في مرض كان عرض له فلما خرج من عند القايد استدعي
ثقته وانفذه الي حاجب عضد الدولة ليستعلم منه نية الملك فيه ويقول
ان كان ثم تغير نية فليأخذ له الاذن في الانصراف والبعد فقد قلق لما جري
فسال الحاجب عن ذلك وسببه فقال الغلام ما اعرف اكثر من انه جاءه نظيف
الطبيب وقال له يا مولانا الملك انفذني لعيادتك فمضي الحاجب واعاد بحضرة الملك
عضد الدولة هذا الحديث فضحك وامره ان يمضي اليه ويعلمه بحسن نيته فيه
وان ذلك لشغل قلبه به انفذه اليه ليعوده وحملت اليه خلع سنية سكنت
به نفسه وزال عنه ما كان اضمره من شغل القلب وكان دايما يولع به بسببها

ومنهم ابن بطلان وهو ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون
ابن سعدون بن بطلان النصراني طبيب مجمل واريب مؤمل واديب يدل
عليه شعره من يتامل رشق الكلام شرق الضياء في الظلام شرق عدوه
بمايه وصفق وما فاق الا باسمائه وكان علي اصراره علي نصرانيته التي انتصر
لها لانها وهصر غصون الاخاء لخلانها معروفًا بمروءة طال به جلبابها
واتسع لكل طالب علم وندي بابها قال ابن ابي اصيبعة فيه كان
قد اشتغل علي ابن الطيب وقرا عليه كثيرًا من كتب الحكمة وغيرها ولازم ابن
زهرون واشتغل عليه وكان معاصرًا لابن رضوان الطبيب وكانت بينهما
مراسلات عجيبه وكتب غريبه ولم يولف واحد منهما كتابًا ولا ابتدع رايًا الا رد
الاخر عليه وسفه رايه فيه ❁ وسافر ابن بطلان يريد مصر ليري ابن رضوان

فمر في طريقه بحلب فاكرمه صاحبها معز الدولة ثمال بن صالح ثم اتي دولة مصر
في دولة المستنصر وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقايع كثيرة ونوادر
ظريفه قال والفصل منهما كتابًا في الرد علي الاخر وكلام ابن بطلان اعذب
الفاظًا واكثر ظرفًا واميز بالادب ومما يدل علي ذلك لتسميته له بتمساح الجن
وكان ابن رضوان اسود قبيح الصورة وفيه يقول

ولما تبدا للقوابل وجهه نكصن علي اعقابهن من الندم
وقلن واخفين الكلام تسترا الا ليتنا كنا تركناه في الرحم

ثم سافر ابن بطلان من مصر الي القسطنطينيه وعرضت في زمانه اوبا كثيرة
وله في هذا رسالة معروفة وله اشعار كثيرة جيدة

ومنهم احمد ابن ابي الاشعث طبيب يلم الشعث ويفم السقام
من تفاريق الاعضاء اذا انبعث لا يغالب طبه النافع ولا يغالط دواوه بمدافع
تخال هيئة اسقليبيوس صفته وتخطي معالجة جالينوس ولا تخطي صفته ❁
ذكره ابن ابي اصيبعة وقال كان وافر العقل كثير السكينة والوقار
متفقهًا في الدين وعمر عمرًا طويلًا وكان لا يفعل الا جميلًا وكان فاضلًا في
الامور الامور الحكميه وله تصانيف كثيرة مفضلة تدل علي العلم وعلو
المنزلة ومصنفًا في الطب لا نظير له في الجودة وكان اصله من فارس وكان
منصرفًا ثم صودر فخرج من بلده هاربًا ودخل الموصل بحال سيئة ووافق ان
كان لصاحبها ناصر الدولة ولد عليل بقيام الدم لا يزداد بمعالجة الاطباء الا
مرضًا فقال لامه انا اعالجه واراها غلط الاطباء في التدبير فسكنت اليه
فعالجه فبرا فاجزل عطاوه واحسن اليه واقام بالموصل الي اخر عمره

ومنهم ابو سهل النيلي وهو سعيد بن عبد العزيز طبيب حاذق

في العلاج صادق الحدس في معرفة المزاج لم يزر مريضًا الا اخذ بيده من الفراش واستوقف السقم وقد جرى في المشاش وطرد عنه وسواس حمى تتهافت به في النار تهافت الفراش قال ابن ابي اصيبعة فيه مشهور بالفضل عالم بالطب جيد التصنيف مفتن في الأدب بارع في الشعر ومنه قوله

سقتني الراح لتشف لوعة قلب بات مذ بنت للهموم سميرا •
هي في الكاس خمرة فاذا ما افرغت في الحشا استحالت سرورا •

ومنهم ابن الواسطي طبيب المستظهر كان مقبول الكلمة مامول الشفاعة عند الظلمة مع نفس متسعة وفضل ينفق منه من سعة وكرم يكر على امواله ليشتتها وعلى آماله ليثبتها وكانت له من المستظهر كرامة لا يهان قدرها ولا يهاب الا اذا ضاق في مرماها الفسيح نفرها قال ابن ابي اصيبعة كان رفيع المنزلة وكان ابن المعوج صاحب الديوان قد استقرت عليه قربه ثلاث الاف دينار قام منها بالفين وسال انظاره بالالف المتاخرة الى اوان الغلة فلم يتحصل فاشار عليه حاجبه ابن الدواى ان ياتي ابن الواسطي ليستمهل له المستظهر فاتاه فاكبر مجيئه واخلا له المجلس فعرفه الصورة وانه قد رهن كتب داره على خمس مايه دينار فلما كان من الغد بعث حاجبه بتقاضاه فاعطاه خط الخليفة بالخمس مايه دينار وكتب ملكه واستقبل له من ماله والبس الحاجب خلعة وبعث معه الى ابن المعوج دست ثياب فاخر وخمسين دينارًا للنفقة فقبل ذلك منه وشكره

ومنهم ابو طاهر الرجبي وهو احمد بن محمد بن العباس من

اهل واسط وطبيب فيما اهل له من العلم قاسط قاس على ما صح من قديم التجريب وعميم النظر الذي يحقق راي الأديب بملاطفة كان يعاني بها مقبولة ما برحت او بعاين مقبولة بين المجالس سيحت ❊ ذكره ابن ابي اصيبعة وقال فاضل في الطب كامل في الأدب كان في ايام المسترشد قال وكان يعالج بواسط مريضًا به احد انواع الاستسقاء ولم ينجع فيه علاج وتجاوز حد الحميه فسهل له في اكل ما اراد فاجتاز به رجل يبيع الجراد مصلوقًا فاشترى منه واكل فعرض له منه اسهال مفرط ثم انقطع الاسهال واخذ مزاجه في الصلاح الى ان عوفي فلما علم ابو طاهر بعافيته وكان قد يئس منه اتاه وساله بم وجد الراحة فقص عليه خبر الجراد ففكر وقال ليس هذا من فعل الجراد ولا خاصيته فتقصى عن بايعه حتى عرفه فقال له اتعرف الموضع الذي صدت منه الجراد الذي اكله هذا قال نعم قال فامض بنا اليه فلما اتاه راى حشيشة هناك يرعاها الجراد فكان يداوي بها من الاستسقاء وابرا بها جماعة من هذا المرض قال ابن ابي اصيبعة وهذه حكاية قديمة قد جرى ذكرها وان تلك الحشيشة هي المازريون وقد ذكرها التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة ❊ وانشد له قوله في غلام ناول خلالا

وناولني من كفه مثل خصره ومثل محب ذاب من طول هجره •
وقال خلالي قلت كل حميدة سوى قتل صب جار فيك باسره •

ومنهم ابو غالب ابن صفية النصراني اسقطته ديانته وارهقته خيانته واترع بيده كاس الموت لنفسه وهيا المصرع حفرة رمسه واتى عليه من حيث ظن انه ينتفع وسقط من يديه من حيث توهم انه يرتفع ومن حاول قتل الاسد الضرغامه وختل الصل الهامه ودرا بكفه متن

الهندواني وفل باصبعه ماب اليماني لا بعجب له من اسراع التلف ولا
من اسراف ما ينفق من عمره الذاهب بلا خلف حكي انه كان
يشي باسرار المستنجد الي قايماز مقدم الامراء اذ ذاك وكان المستنجد
يريد قبض قايماز فاعتل المستنجد فدسوا عليه حتي وصف له الحمام وكان لا
يصلح له وعرف المستنجد ان قوته لا تقوي علي الحمام فدخل عليه قايماز والامرا
حوله والزموه بدخوله وكانوا قد سجروه ثلثة ايام بليا ليهن فلما دخل اليه ردوا
عليه بابه ساعة فمات وبايعوا ابنه المستضي بعد ايمان حلفوه عليها فاقام
مدة وفي نفسه من فعلتهم بابيه فشرع في العمل عليهم وابن صفية علي ما هو
عليه من نقل خبره فطلبه المستضي ليلا وطلب منه تركيب دواء قتال
ليقتل به عدوا له فعمله واجتهد فيه فلما احضره قال له استف منه حتي
نجرب فعله فتلوي من ذلك وقال الله الله في فقال له الطبيب متي تجاوز
حده فليس له الا هذا او السيف فاستف ذلك الدواء ففر من الهلاك الي
الهلاك ثم خرج من الدار وكتب الي قايماز بما كان وقال له والانتقال مني
اليكم ثم هلك وعزم قايماز علي الايقاع بالخليفة فرده الله وهرب من
بغداد فارا الي الملك الناصر صلاح الدين فلم يقبله فعاد علي البرية الي
الموصل فمرض في الطريق ثم دخل الموصل فمات بها

ومنهم امين الدولة ابن التلميذ كان فرد قرانه وند اقرانه
وبلغ بعلمه مبالغ الاشراف ووصل في فهمه الي حد الاشراف وكان يتكلم في
مجالس الخلفاء منبسطا ويتقدم في مجال السؤال للضعفاء متوسطا لسابقة
خدمه وباسقة صنعه في بيت الامامة دون باقي خدمه ولما تجلت به
شيمه من ماثر وجلت باديه مما لا يقدر عليه مكاثر حتي كان يناظر جلة

الفقهاء وجملة اهل العلم سوي السفهاء ويفترس الادباء ويفترش لمواطيه
الاطباء ويضرب بقلمه عصا ابن البواب ويطوف طرف طرسه مقلة ابن
مقله بفاضل الجلباب وهو علي دينه المخالف وقعود ملته في الخوالف
يكرم الصدور ويحبو حبو البدور قال ابن ابي اصيبعة
هو الاجل موفق الملك امين الدولة ابو الحسن هبة الله ابن ابي العلاء
صاعد بن ابرهيم بن التلميذ اوحد زمانه في صناعة الطب ومباشرة اعمالها
وكان في اول امره قد سافر الي بلاد العجم وبقي بها سنين كثيرة في الخدم
وكان جيد الخط يكتب المنسوب في نهاية الحسن والصحة وكان عارفا
بالسرياني والفارسي متبحرا في العربية وله شعر مستظرف وهو من
بيت كتابة وكان هو واوحد الزمان يخدمان المستضي وكان اوحد الزمان
ابصر بالحكمة وابن التلميذ ابصر بالطب وكان بينهما شنان الا ان ابن التلميذ
كان اعقلهما وخيرهما فعلا وسعي اوحد الزمان عليه حتي كاد يرديه ثم رد عليه
كيده فوهب ماله ودمه لابن التلميذ فعفا عنه وانما قال فيه

لنا صديق يهودي حماقته اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب اعلا منه منزلة كانه بعد لم يخرج من التيه

وقد قيل فيهما

ابو الحسن الطبيب ومقتفيه ابو البركات في طرفي نقيض
فهذا بالتواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيض

قال عبد اللطيف البغدادي كان امين الدولة حسن العشرة
كريم الاخلاق وعنده سخاء ومروءة واعماله في الطب مشهورة وحدوس
صايبه منها انه احضرت اليه امراة محمولة لا يعرف اهلها في الحياة

هي ام في الممات وكان الزمان شتاء فامر بتجريدها وصب الماء المبرد عليها صبا متتابعا كثيرا ثم بنقلها الي مجلس دفي قد بخر بالعود والند ودثرت باصناف الفراء ساعة فعطست وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع اهلها الي منزلها قال ودخل اليه رجل مترف يعرق دما في زمن الصيف فسال تلاميذه وكانوا خمسين نفسا فلم يعرفوا المرض فامره ان ياكل خبز شعير مع باذنجان مشوي ففعل ذلك ثلثة ايام فبرا فساله اصحابه عن العلة فقال ان دمه قد رق ومسامه قد تفتحت وهذا الدوا من شانه تغليظ الدم وتكثيف المسام قال ومن مروته ان ظهر داره كان يلي النظامية فاذا مرض فقيه نقله اليه وقام في مرضه عليه فاذا برى وهب له دينارين وصرفه ومما حكاه ايضا عن امين الدولة وكانه قد تجاوز في هذه الحكاية قال وكان امين الدولة لا يقبل عطية الا من خليفة او سلطان فعرض لبعض الملوك النائية داره مرض مزمن فقيل له ليس لك الا ابن التلميذ وهو لا يقصد احدا فقال انا اتوجه اليه فلما وصل افرد له ولغلمانه دورا وافاض عليه من الجرايات قدر الكفاية ولبث مدة فبري الملك وتوجه الي بلاده وارسل اليه مع بعض التجار اربعة الاف دينار واربعة تخوت عتابي واربعة مماليك واربعة افراس فامتنع من قبولها وقال ان علي يمينا الا اقبل من احد شيا فقال التاجر هذا مقدار كثير قال لما حلفت ما استثنيت واقام شهرا يراوده ولا يزداد الا اباء فقال له عند الوداع ها انا اسافر ولا ارجع الي صاحبي وامتنع بالمال فتتقلد منته وتفوتك منفعته ولا يعلم احد بانك رددته فقال الست اعلم في نفسي اني لم اقبله فنفسي تشرف بذلك علم الناس او جهلوا وحدثنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي قال

حدثني الشيخ موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران قال حدثني ابي قال حدثني يوما ابو الفرج المسيحي قال كان الاجل امين الدولة ابن التلميذ جالسا ونحن بين يديه اذ استاذنت عليه امراة ومعها صبي صغير فادخلت عليه فحين راها بدرها فقال ان صبيك هذا به حرقة البول وهو يبول الرمل فقالت نعم قال فيستعمل كذا وكذا وانصرفت قال فسالناه عن العلامة الدالة علي ان به ذلك وانه لو ان الافة في الكبد والطحال لكان اللون من الاستدلال مطابقا فقال حين دخل رايته يولع باحليله ويحكه ووجدت انامل يديه مشققه قاحله فعلمت ان الحكة من الرمل وان تلك المادة الحادة الموجبة للحكة والحرقه ربما لامست انامله عند ولوعه بالقضيب فتحل وتتشقق فحكمت بذلك وكان موافقا ∴ ومن نوادر امين الدولة وحسن اشاراته انه كان يوما عند المستضي بالله وقد اسن امين الدولة فلما نهض للقيام توكا علي ركبتيه فقال له الخليفة كبرت يا امين الدولة فقال نعم يا امير المومنين وتكسرت قواريري فتفكر الخليفة في قول امين الدولة وعلم انه لم يقله الا لمعني قد قصده وسال عن ذلك فقيل له ان الامام المستنجد بالله كان قد وهبه ضيعة تسمي قوارير وبقيت في يده زمانا ثم من مدة ثلث سنين حط الوزير يده عليها فتعجب الخليفة من حسن ادب امين الدولة وانه لم ينه امرها اليه ولا عرض بطلبها ثم امر الخليفة باعادة الضيعة الي امين الدولة وان لا يعارض في شي من ملكه ومن شعره قوله في ولده وكان غاية في الدين

اشكو الي الله صاحبا شكسا   تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معا   تكسبه النور وهو يكسفها

وقوله

اذا وجد الشيخ في نفسه نشاطًا فذلك موتٌ خفي
الست ترى ضوء السراج له لهيبٌ قبل أن ينطفي

وقولـــــه

قال الانام وقد رأوه مع الحداثة قد تصدر
من ذا المجاوز قدره قلت المقدم بالمؤخر

وقولـــــه

قد قلت للشيخ الجليل الانجي ابي المظفر
ذكر فلان الدين لي قال المؤنث لا يذكر

وقولـــــه

العلم للرجل اللبيب زيادةٌ ونقيصةٌ للاحمق الطياش
مثل النهار يزيد ابصار الورى نورًا ويعشي اعين الخفاش

وقولـــــه

اجدك ان من شيم الليالي العنيفة ان تجور على الملهيف
كمثل المحيط اغلب ما تراه يصب اذاه في العضو الضعيف

وقولـــــه

لا تحسبن سواد الخال عن خلل من الطبيعة او احداثه غلطا
وانما قلم التصوير حين جرى بنون حاجبه في خده نقطا

وقولـــــه

براني الهوى بري المدى فاذابني صدودك حتى صرت انحل من امس
ولست ارى حتى اراك وانما يبين هباء الذر في الق الشمس

وقولـــــه مما يكتب على حصير

افرشت خدي للضيوف ولم يزل خلق التواضع للبيب الاكيس
فتواضعي اعلا مكاني عندهم طورًا فصرت احل صدر المجلس

وقولـــــه

اكثرت حشو البيض كيما يستقيم قيام ايرك
ما لا يقوم ببيضتيك فلا يقوم ببيض غيرك

وقولـــــه

وحقك اني مذ بنت عنك قلبي حزينٌ ودمعي هتون
فلله ايامنا الخاليات لو ردّ سالف دهرٍ حنين
واني لارعى عهود الصفاء ويكلاؤها لك ودٌّ دفين
ولم لا يكون ونحن اليدين وانت بفضلك منها اليمين

ومنهم معتمد الملك بن صاعد وهو ابو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ بحر حكمة تطفو لآليه وتغفو مقل النجوم في كرى لياليه مع ملاطفة في العلاج ملاطفها الجفون وشاى في المزاج مما عدا السكون الي ذاب ببلل الطل طررها واثل الفضل سررها قال ابن ابي اصيبعة كان متعينًا في العلوم الحكمية متفننًا في صناعة الطب متحليًا بالادب بالغًا فيه اعلا الرتب وله شعر منه ملغزًا في الابرة قوله

وفاغرة فمًا بالرجل منها ولكن لا تسيغ به طعاما
ونحطفة الحشا في الراس منها لسانٌ لا تطيق به الكلاما
تصول بشوكةٍ تبدو وسمٍّ وما من ذاقه برد الحماما
تجر ورآها رسنًا طويلًا كما قادت يد الحادي الزماما
منيعًا ذا قوى لكن تراه بقبضتها ذليلًا مستضاما

فتلقيه بمحبسها مقيمًا طوال الدهر لا يأتي المقاما
ايا عجبًا لها سوداء خلق تريك خلالا يقا بيضًا وساما
غدت عريانة من كل لبس وفاضل ذيلها يكسوا الانا ما
وقولــــــه في دار جديدة وقعت فيها نار يوم فراغها
يا بانيا دار العلى مليتها لتزيدها شرفًا على كيوان
علمت بانك انما شيدتها للمجد والافضال والاحسان
فقفت عوايدك الكرام وسابقت تستقبل الاضياف بالنيران
وقولـــــــه
علق الفواد على خلو حبها علق الذبالة في حشى المصباح
لا يستطاع الدهر فرقة بينهم الا حين تفرق الاشباح
وقولـــــه
فراقك عندي فراق الحياة فلا تجهزن على مدنف
علقتك كالنار في شمعها فما ان تفارق او تنطفي
وقولــــــه
بدا الينا ارج القادم فابرا الغلة للحايم
روح من قلبي على نايه وقد يلذ الطيف للحالم
ومنهم اوحد الزمان وهو ابو البركات هبة الله بن علي بن ملكا الحلاق م
البلدي ثم البغدادي طبيب لو رام الصخر الجلمد لتفجر او امساك الماء السايل
لتحجر بمداومة نظر لو صابرت الزمان لضجر او قرعت حصا الدهناء
لتشجر بعلم اوسع امتدادا من المشرقين واجمع مدى مما بين الخافقين
كان يصون وديعة العلم ويحفظها ويغبط بكتمانها صدور رجال ويحفظها

وسيمه تهب خافقه وشيمه تفتت عنبر الغمام بارقه قال
ابن ابي اصيبعة كان يهوديًا واسلم وخدم المستنجد وتصانيفه في النهاية
وكان له اهتمام بالغ في العلوم ونظره فايق بدا بالطب على ابي الحسين سعيد
ابن هبة الله وكان لا يقري يهوديًا ولا نصرانيًا فتثقل عليه ابو البركات بالناس
ليقريه فلم يفعل فصحب بواب داره ليتوصل به الى غرضه وكان يقعد في الدهليز
فيسمع جميع ما يقرا عليه وما يجري معه من البحث وهو كلما فهم شيا وتعقله علقه
فلما مضت سنه او نحوها جرت مسالة عند الشيخ وبحثوا فيها فلم يتجه لهم عنها
جواب فدخل ابو البركات وخدم وقال للشيخ عن امر مولانا اتكلم في هذه المسالة
فقال قل فاجاب عنها بشيء من كلام جالينوس ثم قال وهذا كان يحكم في اليوم
الفلاني في ميعاد فلان فعجب الشيخ منه ومن حرصه فقال من يكون هكذا
ما يستحل ان نمنعه فصار من اجل تلامذته ✤ ومن نوادره ان مريضًا عرض له
الماليخوليا وكان يعتقد ان على راسه دنًا وانه لا يفارقه ابدًا وكان كلما مشي
يتحايد المواضع التي سقوفها قصيره ويمشي برفق ولا يترك احدًا يدنوا منه حتى
لا يميل الدن او يقع على راسه وبقي بهذا المرض مدة طويلة وهو في شدة منه
وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل بمعالجتهم تاثير ينتفع به وانهي امره الى
اوحد الزمان ففكر انه ما بقي شيء يمكنه ان يبرابه الا بالامور الوهمية
فقال لاهله اذا كنت في الدار فاتوني به ثم ان اوحد الزمان امر احد غلمانه
بان ذلك المريض اذا دخل عليه وشرع في الكلام واشار الى الغلام بعلامة
بينهما انه يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق راس المريض على بعد منه
كانه يريد كسر الدن الذي يزعم انه على راسه واوصى غلامًا اخر وكان
قد اعد معه دنًا في اعلا السطح انه متى راي ذلك الغلام قد ضرب فوق راس

صاحب الماليخوليا ان يرمي الدن الذي معه بسرعة الى الارض ولما كان
اوحد الزمان في داره واتاه من غير علم المريض فاقبل عليه وقال لا بد ان اكسر
هذا الدن واريحك منه ثم ادار تلك الخشبة التي معه وضرب بها فوق راسه
بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الدن من اعلا السطح فكانت له وجبة عظيمة
وكسر قطعا كبيرا فلما عاين المريض ما فعل به وراي الدن المنكسر تاوه
لكسرهم اياه ولم يشك انه هو الذي كان على راسه بزعمه واثر فيه الوهم اثرا
برى به من علته تلك وهذا باب عظيم في المداواة وقد جرى امثال ذلك لجماعة
من المتقدمين مثل جالينوس وغيرهم في مداواتهم بالامور الوهمية وحكى
ابو الفضل تلميذ ابي البركات المعروف باوحد الزمان قال كنا في خدمة
ابي الزمان في عسكر السلطان ففي بعض الايام جاءه رجل ذا داحس لا ان
الورم كان ناقصا وكان يسيل منه صديدا قال فحين راي ذلك اوحد الزمان
بادر الى سلامية اصبعه فقطعها قال فقلنا له يا سيدي لقد اجحفت في المداواة
وكان يغنيك ان تداويه بما يداوي به غيرك وتبقي عليه اصبعه ولمناه وهو
لا ينطق بحرف قال ومضى ذلك اليوم وجاءه في اليوم الثاني رجل اخر مثل
ذلك سواء فاومى الينا بمداواته وقال افعلوا في هذا ما ترونه صوابا قال
فداويناه بما يداوى به الداحس فاتسع المكان وذهب الظفر وتعدى الامر
الى ذهاب السلامية الاولى من سلاميات الاصابع وما تركنا دواء الا
داويناه به ولا علاجا الا عالجناه ولا لطوخا الا لطخناه به ولا مسهلا الا وسقيناه
وهو مع ذلك يزيد ويأكل الاصبع اسرع اكل وآل امره الى القطع فعلمنا ان
فوق كل ذي علم عليم قال فشاع هذا المرض في تلك السنة وغفل
جماعة منهم عن القطع فنادى امر بعضهم الى هلاك اليد وبعضهم الى هلاك

النفس ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي
فيما ذكره عن ابن الدهان المنجم قال كان الشيخ ابو البركات قد عمي في آخر عمره
وكان يملي على جمال الدين ابن فضلان وعلى ابن الدهان المنجم وعلى يوسف والد
الشيخ موفق الدين عبد اللطيف وعلى المهذب ابن النقاش كتاب المعتبر
وقيل ان اوحد الزمان كان سبب اسلامه انه دخل يوما الى الخليفة فقام
جميع من حضر الا القاضي فانه كان حاضرا ولم يرَ انه يقوم مع الجماعة لذمي فقال
اوحد الزمان يا امير المومنين كان قاضي القضاة لم يقم مع الجماعة لكونه يرى اني
على غير ملته فانا اسلم بين يدي مولانا ولا اتركه ينتقصني بهذا واسلم قال
وكان لاوحد الزمان ثلث بنات ولم يخلف ولدا ذكرا وعاش نحو ثمانين سنة
قال وكان بين اوحد الزمان وامين الدولة ابن التلميذ معاداة وكان
اوحد الزمان لما اسلم ينتصل كثيرا من اليهود ويلعنهم ويسبهم فلما كان في
بعض الايام في مجلس بعض الاعيان الاكابر وعنده جماعة وفيهم امين الدولة ابن
التلميذ وجرى ذكر اليهود فقال اوحد الزمان لعن الله اليهود فقال
امين الدولة نعم وابناء اليهود فوجم لها اوحد الزمان وعرف انه اشار اليه
وعبا به عنه ولم يتكلم

ومنهم ابو القسم هبة الله بن الفضل البغدادي علم طب وبيان
وامام فضل ملئ سماع وعيان فاتى بما غلا وبمات مدحا وغزلا وجاء بضريب
الضرب وغريب الحكمة التي لا دمعة اليونان والسنة العرب وكان
الطب عليه اغلب والسبب اليه اجلب فكان به ارتفاقه ومنه انفاقه
وكان له هجو يجرع المهجو سم الاساود وسقما لما قبل برأ منه يعاود
هذا الى ملح اطرف من غرايب البحار والطف من النسيم اذا عبث باعطاف

الأشجار وقال ابن ابي اصيبعة كان يعاني صناعة الطب ويباشر
اعمالها ويعد من الموصوفين فيها الا ان الشعر غلب عليه وكان كثير النوادر
وبينه وبين الحيص بيص شنآن وتهاتر وكانا قد يصطلحان وقتا ثم يعودان
الى ما كانا عليه وهو الذي الصق بالحيص بيص هذا اللقب وذلك لان السلطان
السلجوقي لما قصد بغداذ في ايام المقتفي وهم عسكرها بالخروج اليه وكان الناس
من ذلك في حديث كثير وحركة زايدة فقال مالي ارى الناس في حيص وبيص
فلقفت كلمته ابا القسم هذا فالصق به هذا اللقب **قلت** كان الحيص
بيص على ما هو منه معروف فخرج يتمشى ليلا حيث لا يقدم الا الابطال ولا يمشي
الامن قصر عنه باع الخوف وطال فمر بكلبة مجربة راها فخافها وهي
تسطو بانياب واظفار وتهول مثل الليل بلا اسفار فنبحت عليه نباحا ظن به
ان الجبال عليه قد اطبقت او الجيوش به قد احدقت فامتشق سيفه وخطا
اليها وقدم قدمه واقدم عليها ثم دهش للخوف من باسها فاضلها وانما اصاب
بالسيف جروا لها فقال ابو القسم

يا معشر الناس ان الحيص بيص لقي فعلة اورثته الخزي في البلد
هو الجبان الذي ابدى شجاعته على جري ضعيف البطش والجلد
فانشدت امه من بعد ما احتسبت دم الابلق عند الواحد الصمد
اقول للنفس باسا وتعزية احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

وكان المقتفي حين بويع شيخا قد علت سنه واحدودب غضبه ووزيره
ابن هبيرة من علم زهادة ومداومة درس وعبادة وكان ابو القسم يستطيل
مدتهما ويكره باسهما الذي لا يلين وشدتهما فجلس يوما المقتفي وابن هبيرة
واقف امامه ومصرف زمانه هذا وقد استثقل ابو القسم طول
ايامهما وامتداد دوامهما فقال

يا معشر الناس النفير النفير قد جلس الهودب فوق السرير
وصار فينا آمرا ناهيا وكنت ارجو انه لا يصير
فتحت عيني فاذا الدولة الدولة والشيخ الوزير الوزير

وقال يهجو البديع الاسطرلابي وكان قد حج

لاغرو ان دهي الحجيج وان رموا منه بنكبة
حج البديع وعرسه وقناه فانظر اي عصبة
فثلاثة من منزل علق وقواد وقحبه

وقال

يا خايف الهجو على نفسه كن في امان الله من مسته
انت بهذا العرض بين الورى مثل الخرا يمنع من نفسه

وقال

امدحه طورا واهجو ولا اطمع طول العمر في رفده
مثل امام بين اهل القرى صلى بهم والزيت من عنده

واورد له ابن سعيد ومن ذا الذي يسمع الحسن ولا يستعيد وذلك قوله

خطرت فذا الورق يسجع فوقها ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربى للطارقين ذوايب النيران

ومنهم فخر الدين الماردينى الامام ابو عبد الله محمد بن عبد السلام
ابن عبد الرحمن بن عبد الساير الانصاري رجل من اسرة الانصار ومن سروات
اهل المدينة اذا غدت بيوت الامصار في مزايا ذوي الهبات في المنن

وبقايا ذوي الهيئات ممن كان من علماء الحكماء ونبلاء الفضلاء واخيار
الانام واخيار من لا يري مثله الا في المنام قال ابن ابي اصيبعة
كان علامة وقته في الحكمة قوي الذكاء فاضل النفس محبا للخير متقنا
للغة والنحو واخذه من اهل القدس فقرا الطب علي ابن التلميذ وقرا ابن التلميذ
عليه المنطق وقدم دمشق واقرا بها الطب وكان له مجلس عام للتدريس وممن
قرا عليه المهذب عبد الرحيم بن علي وطلب منه الملك الظاهر ان يقيم عنده بحلب
وانعم عليه بمال طايل فاقام عنده سنتين ثم عاد الي ماردين ووقف كتبه في
المدرسة بها وآخر ما قاله عند موته اللهم اني آمنت بك وبرسولك الصادق محمد
صلى الله عليه وسلم ان الله يستحي من عذاب الشيخ

ومنهم ابو نصر المسيحي

وهو سعيد ابن ابي الحسن بن عيسي
طبيب عرف به علمه وفرع كل علاج لم يخط فيه حكمه طالما ابرات العلل هذه
المسيحية بمسحها وابدلت ببياض ثوب العافية سواد مسحها واحتاج اليه
كل متطبب وكان طبه الباعث للصحة او المسبب قال ابن
ابي اصيبعة من المتميزين في صناعة الطب والافاضل من اهلها والاعيان
من اربابها ومرض الناصر لدين الله بالرمل وعرضت له في المثانة حصاه
كبيرة مفرطة في الكبر واشتد به الالم وطال المرض وضجر من العلاج
فاشير عليه بان تشق المثانة لاخراج الحصاه فسال عن جرايحي حاذق فقيل
له ابن عكاشه فاحضر وشاهد العضو العليل وامره ببطه فقال احتاج ان اشاور
مشايخ الاطباء في هذا فقال له فمن تعرف من صالحيهم قال ابو نصر المسيحي
فانه ليس في البلاد باسرها مماثله فطلبه فلما حضر قال له اجلس فجلس
ساعة ولم يكلم ثم قال له الناصر يا ابا نصر مثل نفسك انك دخلت الي البيمارستان

وانت تباشر به مريضا قد ورد من بعض الضياع واريد ان تباشر مداواتي
وتعالجني من هذا المرض كما تفعل بمن هذه صفته فقال السمع والطاعه ولكني
اريد ان اعرف من هذا الطبيب المتقدم مبادي المرض واحواله وتغيراته وما عالج
به منذ اول المرض والي الآن فاحضر الشيخ ابو الخير واخذ يذكر ابتداآت
المرض وتغير احواله وما عالج به من اول المرض والي آخر وقت فقال التدبير
صالح والعلاج مستقيم فقال الخليفة هذا الشيخ اخطا ولا بد لي من صلبه فقام
ابو نصر المسيحي وقبل الارض وقال يا مولانا بحق الله عليك وبمن مضي من اسلافك
الطاهرين لا تسن علي الاطباء هذه السنة واما الرجل فلم يخط في التدبير
ولكن بسوء حظه لم ينته المرض فقال قد عفوت عنه ولكن لا يعود يدخل علي فانصرف
ثم اخذ ابو نصر في مداواته فسقاه ودهن العضو بالادهان الملينات وقال له ان
امكن انا نلاطف الامر بحيث تخرج هذه الحصاه من غير بط فهو المراد وان لم تخرج
فذلك لا يفوتنا ولم يزل كذلك يومين وفي ليلة اليوم الثالث رمي الحصاة فقيل
انه كان وزنها سبعة مثاقيل وقيل خمس وقيل انها كانت علي مقدار اكبر من نواه
تكون من نوي الزيتون وتتابع الشفاء ودخل الحمام فامر بان يدخل ابو نصر
الي دار الضرب ويحمل من الذهب ما يقدر عليه ففعل به ذلك ثم اتته الخلع والدنانير
من ام الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي والوزير نصير الدين ابن مهدي العلوي
الرازي ومن ساير كبار الامراء بالدولة فاما ام الخليفة واولاده والوزير والشرابي
نجاح وكان واحد من الدنانير الف دينار وكذلك من اكابر الامراء والباقين علي
قدر احوالهم فاخبرت انه حصل من الذهب العين عشرين الف دينار ومن الثياب
والخلع جملة وافرة والزم الخدمة وافرطوا له الجامكية السنيه والرواتب
والاقامة ولم يزل مستمرا في الخدمة الي ان مات الناصر لدين الله قال

وحدثني بعض الاطباء ان ابن عباشة الجرائحي كان نذر عليه ان يتصدق في بيعة سوق الثلثاء بالربع مما يحصل له وانه حمل الي البيعة ماتين وخمسين دينارا وانصرف ابو الخير المسيحي من الخدمة وقد كانت منزلته قبل ذلك جليلة عنده ومحلة مرتفعا ووصله هبات وصلات عظيمة فمن جملتها انه اعطاه خزانة كتب الاجل امين الدولة بن التلميذ وكان قد مرض الناصر مرارا وبرا على يديه فحصل له جملة وافرة ثم توفي الشيخ ابو الخير في ايام الناصر فقيل له انه قد توفي وترك ولدا متخلفا وعنده جملة عظيمة من المال فقال لا يعترض ولده فيما ورثه من ابيه فما خرج عنا لا يعود الينا

ومنهم ابو الفرج ابن توما وهو صاعد بن هبة الله بن توما النصراني البغدادي توصل بنجاح فنجح ومت بصلاح عمله فنجح وعدل بالاباء فرجح وملك رياسة الاطباء فنجح وورث ببلاد العراق بخت بختيشوعها وحاز ما جر جرجس اليه من مدد ينبوعها وابقى له يعقوب بن اسحق اخو كندة ما كان ابقاه ليوسفه وخلي له احمد بن الطيب فتى سرخس ما خص نصيبه من طيب مخلفه قال ابن ابي اصيبعة كان من اكابر الاطباء وخدم نجاح الشرابي ثم صار وزيره وكاتبه ثم دخل الي الناصر وكان يشارك اطباءه في معالجته ثم حظي عنده الحظوة التامه وسلم اليه عدة جهات يخدم بها وكان فيها عدة دواوين وكتاب وقتله بعض الجند المرتزقين تحت يده وقتل الخليفه فنكبه وابقى املاكه وعروضه لولده وحمل ما خلفه من المال العين الي الخزانة وكان ثمان مايه الف وثلثة عشر الف دينار قال ابن القفطي وقد ذكره واثنى عليه انه كان قد تقدم في ايام الناصر الي ان كان بمنزلة الوزراء والامراء واستوثقه على حفظ امواله واموال خواصه وكان

يودعها عنده وكان يظهر له في كل وقت ويرسله في امور خفيه الي وزرائه وكان جميل المحضر حسن التوسط قضيت على يديه حوايج وكفيت شرور ولم ير له غير شاكر ناشر

طبقات الاطباء ببلاد العجم

منهم قياذورس امام الحكماء في دولة الفرس والماضي فيهم زمانه المفني كانه ليلة العرس وكان على كونه ذمة فيهم وموالياً امة تنافيهم تكرمه ملوك آل ساسان وتطعمه من جني جنابهم ثمر الاحسان وكان يتقرب اليهم بما يلايم ويقرب لديهم كل منى كان لا يطمع بها منهم نايم قال ابن ابي اصيبعة كان نصرانياً وله معرفة جيدة بصناعة الطب وبنى له سابور ذو الاكتاف البيع في بلاده وكان عالماً بالصناعة موسوماً بها متميزاً في زمانه فاضلاً في علوم الفرس والهند وهو الذي جلب كتاب كليله ودمنه الي انوشروان وترجمه له

ومنهم زين الطبري لايم الفرس طبه وقاوم حب انفسهم حبه وكانوا يرونه زين مجالسهم وعين مجانسهم هذا وما هو من اهل معتقدهم ولا ممن يحل مثله في معهدهم ولم يحاول عملاً الا كان به بصيراً ولا علماً الا وانقلب الطرف اليه لا خاسياً ولا حسيراً قال ابن ابي اصيبعة كان يهودياً طبيباً منجماً من اهل طبرستان وكان متميزاً في الطب عالماً بالهندسة وانواع الرياضة وحل كتب حكمة من لغة الي لغة اخرى وكان له تقدم في علم اليهود والربن والزاب اسماء المقدمي اليهود

ومنهم علي بن سهل بن زين الطبري ابو الحسين قوي المشاركة قويم الجدد في الطرق السالكه يجلي نوره الظلم ويطفي تدبيره الضرم ويقوم

الابدان ويقوم طبه مقام الشمس في برء البلدان ولم يعدم ومضة ادب
مدت له تضيء لمعانها وتجيء بمسودة اللمم ريعانها ويدنو مداها ويبعد امكانها
قال ابن النديم علي بن ربل باللام كان يكتب للمازيار بن قارن
فلما اسلم علي يد المعتصم قربه وظهر فضله وادخله المتوكل في ندمائه وكان
بموضع من الادب وهو الذي علم العيش زاري صناعة الطب وكان مولده
ومنشاؤه بطبرستان ومن كلامه الطبيب الجاهل مستحث الموت
ومنهم احمد بن محمد الطبري ابو الحسن تقدم بتقدم المعرفه وتقدم
الي الداء فصرفه مع اتقان لتشريح الاعضاء واتقاء لغير صريح الارتقاء
بفهم بحسن الاستنباط وعلم يحسب في معرفة ما بين القصب والرباط
هذا الي استقصاء الاعراض والدلايل والامراض لسبب من خارج او
داخل لم يبعد الصواب حدسه ولا عد في ذوي الخطا حسه حتي قيل
انه لو اراد لاطال شعر الاجفان واقام الاموات من الاكفان بتلطف
يكاد يمسك به رمق النهار ويرم في الصباح صبغة الليل الشايب
قال ابن ابي اصيبعة فاضل عالم بصناعة الطب وكان طبيب
ركن الدولة وله الكناش المعروف بالمعالجات البقراطيه وهو من
اجل الكتب وانفعها يحتوي علي مقالات كثيرة وقد استقصي فيه ذكر
الامراض ومداواتها علي اتم ما يكون
ومنهم ابو منصور الحسن بن نوح القمري قمر سماء وركم عذار
طل في وجنة ماء ونوء حكمة ما تقشع سحابها ولا توشع بغير مطرف الفضايل
سحابها اتي مجلس الرئيس ابن سينا وحضره وشاهد سيما سمته ونظره
وكان يعد فيمن ادركه ويعد من العلم له ما تركه ويطوي في حفظه من

علمه البارع ما نشره ويأخذ منه الا انه اخذ شره ولم يكن مثله في تعديل
قوي ممتزجه وملاطفة بعلاج موافق لا تنفر منه الامزجه قال
ابن ابي اصيبعة كان سيد وقته واوحد زمانه مشهورا بالجودة في صناعة
الطب محمود الطريقة في اعمالها فاضلا فيها حسن المعالجة جيد المداواه
متميزا عند الملوك وحكي عن الخسروشاهي ان ابن سيناء لحق
ابا منصور وهو شيخ كبير وكان يحضر مجلسه ويلازم دروسه وانتفع به في
علم الطب
ومنهم ابو سهل عيسى بن يحيي المسيحي الجرجاني مسيحي له في
الطب يد بيضاء كليميه وفي اطفاء نار الحمي آية غراء ابراهيميه مسحت بطبه
الادواء وصلحت اللاواء وصحت الاجسام وصحت الاسقام وسحت السحب بمطر
الانعاش وتهللت وجوه البرق الوسام وحسبه ان ابن سيناء من جملة علمه
اذا زخر ومن حملة عزمه اذا فخر وكان بعض فضلاء المتاخرين المتبحرين
يفضله علي ابن سيناء ويجعل له عليه السناء ويثني عليهما وانما يوفر له الثناء
قال ابن ابي اصيبعة هو طبيب فاضل بارع في صناعة الطب
علمها وعملها فصيح العبارة جيد التصنيف صحيح الكتابة متقنا للعربية
قال وقد رايت بخطه كتابه في اظهار حكمة الله تعالي في خلق الانسان
وهو في نهاية الصحة والاتقان والاعراب والضبط وهو يدل علي فضل باهر وعلم
غزير قال وقيل ان المسيحي هو معلم ابن سيناء صناعة الطب وقال
عبيد الله بن جبريل ان المسيحي كان بخراسان وكان مقدما عند سلطانها وانه
مات عن اربعين سنة ومن كلامه نومة بالنهار بعد اكلة خير من شربة دواء نافع
ومنهم السيد ابو عبد الله محمد بن الايلاقي رجع بنسبه الي والد

شريف وبحسبه الي تالد وطريف فقيل في ظل علم متكاثف الشجر متراكم السحب هطال المطر سرت النوافح باعطافه وسرت بالطافه وصيرت ثمره في اوان قطافه قال ابن ابي اصيبعة هو شريف النسب فاضل في نفسه خبير بصناعة الطب والعلوم الحكمية وهو ممن اخذ عن الرئيس ابن سينا واختصر القانون واجاد في تاليفه وله كتاب الاسباب والعلامات

ومنهم ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ذكي يفوح عبق ريحانه ويكرم ارج عنبره بامتحانه تكلم على الكواكب ورسومها وحدودها والنجوم ونحوسها وسعودها وناظر الفحول وناضل النصول وله حكمة تلمع مشارق انوارها وتصدع حصباء الفجر سابق نوارها قال ابن ابي اصيبعة هو منسوب الي بيرون من مدن السند وكان مشتغلا بالعلوم الحكمية فاضلا في الهيئة والنجوم وكان معاصرا للرئيس ابن سيناء وبينهما بحوث ومراسلات وقد ذكر الرئيس اجوبة مسايل ساله البيروني عنها مفيدة في الحكمة

ومنهم احمد بن عبد الرحمن بن منذويه الاصبهاني ابو علي من دار ملك لا يقعد به بلده وابن اب لا يستحي به ولده تحلل بالمناقب التي ما ضاقت به ملابسها ولا دنت لغيره ملامسها وفاضت به ينابيع الحكم وسهلت له صعابها التي كم رامها غيره وكم قال ابن ابي اصيبعة هو من الاطباء المذكورين في بلاد العجم وخدم جماعة من ملوكها ورؤسايها وكانت له اعمال مشهورة في صناعة الطب وكان من ذوي البيوتات الاجلاء باصبهان وكان ابوه فاضلا في علم الادب وامر الدين وله اشعار حسنة منها

ويمسي المرء ذا اجل قريب وفي الدنيا له امل طويل
ويعجل بالرحيل وليس يدري الي ماذا يقربه الرحيل

ولابي علي ولد هذا كتب كثيرة ذكرها ابن ابي اصيبعة في كتابه بغية الالباء في تاريخ الاطباء

ومنهم ابن ابي صادق وهو ابو القسم عبد الرحمن بن علي بن احمد ابن ابي صادق النيسابوري وكان صادق الطلب صادع الليل سري بحسن المتطلب منقبا عن الحكمة يستثيرها من اماكنها ويستديرها سرحا من مساكنها ويستميرها اقواتا ويستميلها قصيا تميل اليه انعطافا وظباء تحسن اليه التفاتا قال ابن ابي اصيبعة هو طبيب فاضل بارع في العلوم الحكمية كثير الدراية في الصناعة الطبية له حرص بالغ في التطلع الي كتب جالينوس وما اودعه فيها من غوامض الطب واسرار العلم شديد الفحص عنها وكان فصيحا بليغ الكلام وما فسره من كتب جالينوس في نهاية الجودة والاتقان كما فعل في كتاب منافع الاعضاء لجالينوس فانه اجهد نفسه فيه واجاد في تلخيص معانيه وقد قال في اوله واما نحن فقد حررنا معاني هذا الكتاب شرحا للعويص وحذفا للزايد ونظما للتشتيت واضافة اليه قال صاحب بغية الالباء وحدثني بعض الاطباء ان ابن ابي صادق اجتمع بابن سينا وقرا عليه وكان ممن يتلمذ له واخذ عنه قال وكان هذا لا استبعده بل هو اقرب الي الصحة لان ابن ابي صادق لحق زمانه وكان ببلاد العجم ولا شك انه سمع بسمعة ابن سيناء وكانت عظيمة وكان اكبر من ابن ابي صادق قدرا ثم ذكر تاليفاته

ومنهم السموأل بن يحيى بن عباس المغربي الاصل البغدادي الدار العادي حيث السحاب الهطال دار المادة يد البدار الماد يد الاقتدار

ذو الذكاء الذي تضيء للمقتدح ويفضح في مهامه مهام الطلب منه المقترح
طلاع كل ثنيه وطلاب كل جنيه خرق العادة في ذكائه الفرط ووفائه
بالعلم الذي لا يقبل الغلط على انه لم يخل بابداع فن ولا ابدع حفظه علم
يعرف بحقيقة او ظن قال ابن ابي اصيبعة كان فاضلا في
العلوم الرياضية عالما بصناعة الطب واصله من بلاد المغرب وسكن بغداد
مدة ثم انتقل الى بلاد العجم ولم يزل بها الى اخر عمره قال عبد اللطيف
البغدادي هذا السموال شاب بغدادي كان يهوديا واسلم ومات شابا بمراغه
وبلغ في العدديات مبلغا لم يصله احد في زمانه وكان حاد الذهن جدا بلغ في
الصناعة الجبرية الغاية القصوى واقام بديار بكر واذربيجان وله رسايل في
الجبر والمقابلة رد فيها على ابن الخشاب النحوي وكان معاصره وكانت له في هذا
العلم يد

ومنهم الشريف

شرف الدين اسمعيل حل شرف قديمه بحديثه
ووصل واني سراه بحثيثه وعرف باكمل ادوات العلوم ومداواة الهموم
وتحلى بمفاخر الطلب لعلم ببقيه وجسم بصالح الطب بقيه وصل من الدولة
الخوارزمية العظيمة الشان ما عد مثله لها من عظمتها وامتد ثري ماله من
نعمتها وجرى في طلق اماله الى غاية همتها قال ابن ابي اصيبعة
كان طبيبا عالي القدر وافر العلم وجيها في الدولة وكان في خدمة السلطان
علا الدين محمد خوارزم شاه وله منه الانعام الوافر والمرتبة المكينه وكان
له مقرر على السلطان مبلغه الف دينار في كل شهر وكانت له معالجات بديعه
وآثار حسنة في صناعة الطب وتوفي في ايام خوارزم شاه بعد ان عمر وله عدة
مصنفات كلها بالفارسي ⁂ هـ ⁂

أطباء الهند

منهم شاناق الهندي

هو ذو الحكم اللوامح والكلم الجوامع
والتنبيهات الموقظه والتمويهات المحفظه والتشبيهات التي اخذت
باطراف الموعظه نطق بها عن خاطر صفا فلم يكدر ووفا فلم يغدر فجاءت
سوانح وجادت موانح وحلت من القلوب محلا منذ دخلته سكنت به واخلته
قال ابن ابي اصيبعة كانت له معالجات وتجارب كثيرة في الطب
وتفنن في العلوم الحكميه ومما قاله في كتابه الذي سماه منتحل الجواهر ايها
الوالي اتق عثرات الزمان واخش تسلط الايام ولوعة الدهر واعلم ان للاعمال
جزاء فاتق العواقب فان لها غدرات فكن منها على حذر والاقدار مغيبات
فاستعد لها والزمان منقلب فاحذر دولته لئيم الكرة فخف سطوته سريع
الغرة فلا تامن سطوته واعلم انه من لم يداو نفسه من سقام الايام في ايام
حياته فما ابعده من الشفاء في دار لا دوام لها ومن اذل حواسها واستعبدها
فيما يقدم من خير بان فضله وظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة
لم يضبط حواسه وهي خمس فاذا لم يضبط حواسه مع قلتها ونفسه مع ذلتها
صعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم وكان عامة الرعية
في اقاصي البلاد واطراف المملكة ابعد من الضبط

ومنهم منكه الهندي

طبيب توفي به الاجسام وتوفي
بسببه خير الاقسام لو عاد الهرم لاعاد عليه ثوب شبابه وبدل كفن
المشيب بجلبابه فاقر الارواح في اجسادها وعاد بالصلاح على فسادها
فقرت استقرارا وازالت ضرارا وصالحت الابدان فلم تعد الى منافرتها
ولم تجد من مضافرتها فاماطت عقابيل السقم وجذبت باعقاب الداء

العياء وقد التقم فوجدت به الصحة وقد عز لقياها وطالت المدة وقد يئس
من لقياها قال ابن ابي اصيبعة كان عالما بالطب حسن
المعالجة لطيف التدبير فيلسوفا من المشار اليهم في العلم متقنا للغة الهند
ولغة الفرس وهو الذي نقل كتاب شاناق في السموم الى الفارسية وكان
في زمان الرشيد واتى العراق في ايامه ثم عرف العربية فكان ينقل اليها
ومن اخبار الخلفاء ان الرشيد اعتل علة صعبة لم يجد فيها طب الاطباء فقال
له ابو عمر الاعجمي يا امير المومنين بالهند طبيب يقال له منكه هو احد
عبادهم وفلاسفتهم فلو بعثت اليه لعل الله يهبك الشفاء على يده فجهز من
وصله صلة تعينه على سفره وحمله اليه فعالجه فبرا فاجرى عليه رزقا واسعا
واموالا كافية ثم بينما هو مار بالخلد اذا هو برجل قد بسط كساه والقى
عليه عقاقير كثيرة وقام يصف دواء معجونا فقال هذا دواء لكذا وكذا
وعدد اسقاما كثيرة وادواء مختلفة حتى لم يدع عارضا الا ذكر ان ذلك الدواء
شفاؤه فتبسم منكه ثم قال على كل حال ملك العرب جاهل لانه ان كان
الامر على ما يقول هذا فما الذي حمله على ان حملني من بلادي اليه وابعدني عن اهلي
وتكلف الكثير من مؤنتي وهو يجد هذا نصب عينه وازاء ناظره وان كان
على غير ما يقول فلم لا يقتله لان الشريعة قد اباحت دم هذا ومن اشبهه
لانه ان قتل انما هي نفس يحيا بموتها انفس وان ترك وهذا الجهل قتل كل يوم
انفسا وهذا فساد في الذهن ووهن في الملك

ومنهم صالح بن نهلة الهندي طبيب بين الانحراف والاعتدال
والصحة والاعتلال حذر ما حدث وبر وما حنث اطلع على كل سبب من الاسباب
وجمع بين طرفي الايجاز والاسهاب ورتب لكل ذي سن ما يليق به من المداواه
وما لا يطيق معرفته سواه وشفع هذا بفضايل اخرى احتال بها فخرا فحوى
محاسن لا تعد كثرة ولا يزول لها اثر وكلما حكيت عن طبه عجايب ومحاسن
ما فيها قول لعايب قال ابن ابي اصيبعة كان من علماء الهند
خبيرا بالمعالجات التي لهم وله قوة وانذارات في تقدمة المعرفة وكان بالعراق
على عهد الرشيد قال يوسف الحاسب المعروف بابن الداية عن
مولى سلام الابرش ان مولاه حدثه ان الموايد قدمت الى الرشيد يوما وابن
بختيشوع غايب فطلبه في كل مكان فلم يجده فطفق يلعنه واذا به قد دخل والرشيد
يلعنه فقال لو اشتغل امير المومنين بالبكاء على ابن عمه ابرهيم بن صالح كان اشبه
به من تناولي فقال له وما خبره فاعلمه انه خلفه ومعه رمق ينقضي آخره وقت
صلاة العتمة فاشتد جزع الرشيد عليه وامر برفع الموايد فقال جعفر بن يحيى
ان طب ابن بختيشوع رومي وطب ابن بهلة هندي فان راى امير المومنين
ان يامر باحضاره ليعرف ما عنده فامر بمصيره اليه فجس عرقه ثم قال لا اخبر
الخبر الا امير المومنين فاخبر الرشيد فادخل عليه ابن بهلة فلما مثل بين
يديه قال يا امير المومنين انت الامام وعاقد الوية القضاء للحكام ومهما حكمت
به لم يجز لحاكم فسخه ولا لمعقب بعدك نسخه وانا اشهدك علي واشهد من حضرك
ان ابرهيم بن صالح ان مات في هذه الليلة بل في هذه العلة يكون كل مملوك
لصالح بن بهلة حرا لوجه الله وكل دابة له تكون حبسا في سبيل الله ويكون
كل مال يملكه صدقة على الفقراء وتكون كل امراة له طالقا ثلثا بتاتا فقال له الرشيد
حلفت ويلك يا صالح على غيب فقال صالح كلا يا امير المومنين انما الغيب ما لا علم
لاحد به ولا دليل عليه ولم اقل ما قلت الا بدليل واضح وعلامات بينة قال فسر
الرشيد بقوله واحضر الطعام فاكل وشرب فلما كان وقت صلاة العتمة

الى الخبر بوفاة ابرهيم بن صالح فاستقبل الرشيد وجه يلعن ابن بهلة
وطب الهند ثم بكر الى دار ابرهيم فاتى ابن بهلة فوقف بين يديه فلم يناطقه
الى ان سطعت روايح المجامر وقد غسل ابرهيم وكفن فصاح به ابن بهلة
عند ذلك يا امير المومنين الله الله ان تحكم علي بطلاق زوجتي وخروجي من
نعمتي وتدفن ابن عمك حيا فوالله ما مات فاطلق له الدخول عليه والنظر اليه
ثم خرج وهو يكبر ثم قال قم يا امير المومنين حتى اريك عجبا فقام معه ثم
اخرج ابن بهلة ابرة كانت معه فادخلها بين ظفر ابهام يد ابرهيم اليسرى ولحمه
فجذب ابرهيم يده فقال ابن بهلة يا امير المومنين هل يحس الميت بالوجع فقال له
لا فقال ابن بهلة لو شيت ان ادعه يكلم امير المومنين الساعة لفعلت ولكني اخاف
ان عالجته وافاق وهو في كفن فيه رايحة الحنوط ان ينصدع قلبه فيموت موتا
حقيقيا ولكن يامر امير المومنين بتجريده من الكفن ورده الى المغتسل
واعادة الغسل عليه حتى تزول رايحة الحنوط عنه ثم يلبس مثل ثيابه التي كانت
عليه ويحول الى فراش من فرشه التي كان يجلس عليها حتى اعالجه فيكلمه من ساعته
فامر بذلك ففعل ثم دعا ابن بهلة بكندس ومنفخة ونفخ الكندس في انفه فمكث
قدر سدس ساعة ثم اضطرب جسده وعطس وجلس قدام الرشيد وقبل يده فساله
الرشيد عن حاله فذكر انه كان نايما نوما لا يذكر انه نام مثله قط طيبا الا
انه راى في منامه كلبا عض ابهام يده اليسرى عضة يجد وجعها واراه ابهامه
الذي ادخل فيه الابرة وعاش بعد ذلك دهرا طويلا ثم تزوج بالعباسة بنت الرشيد
وولي مصر وفلسطين وتوفي بمصر وقبر بها

اطباء الشام

منهم البيرودي وهو ابو الفرج جرجس بن توما بن سهل بن ابرهيم

من النصارى اليعاقبة رجل اهتم لسعادته وتكلم فاصاب وما خرج عن عادته
شكر بين الاطباء وذكر ذكر الالباء انتقل الى الحاضرة واشتغل
بالمعالجة الحاضرة وكان اذا ادعي لتطبيب العلل طببها بما يقلل لبثها ويقلل
بثها ويجلي للاجسام باعادة صحتها ويرخص لها ما يسام من عادة محنتها
فينهض من جدها العاثر ويوثر فيها ما يبقى الاثر ولم يتعود طول العيان
ولا غرابة الدواء خلاف العادة قال ابن ابي اصيبعة كان
فاضلا في صناعة الطب عالما باصولها وفروعها معدودا من جملة الاكابر من اهلها
والمتميزين في اربابها دايم الاشتغال محبا للعلم موثرا للفضيلة حدثني
شرف الدين ابن عنين رحمه الله ان البيرودي كان لا يمل من الاشتغال ولا
يسام منه قال وكان ابدا في ساير اوقاته لا يوجد الا ومعه كتاب ينظر فيه
وحدثني بعض النصارى بدمشق وهو السني البعلبكي الطبيب قال
كان مولد البيرودي ومنشاه ببيرود وهي ضيعة كبيرة من صيدنايا وبها
نصارى كثيرون وكان البيرودي بها كساير اهلها النصارى من معاناتهم
الفلاحة وما يصنعه الفلاحون وكان ايضا يجمع الشيح من نواحي دمشق القريبة
من جهته ويحمله على دابة وياتي به الى داخل دمشق يبيعه للذين يوقدونه
بالافران وغيرها وانه لما كان في بعض المرات وقد عبر من باب توما ومعه حمل
شيح راى شيخا من المتطببين وهو يفصد انسانا قد حصل له رعاف شديد
من الناحية المسامتة للموضع الذي ينبعث منه الدم فوقف ينظر اليه وقال
له لم تفصد هذا ودمه يجري باكثر مما يحتاج اليه فعرفه انه انما فعله لينقطع
عنه الدم الذي ينبعث من انفه لكونه يجذبه الى مسامتة الجهة التي ينبعث
منها فقال له اذا كان الامر هكذا فاننا في مواضعنا قد اعتدنا انه متى كان

نهرٌ جاري واردنا ان نقطع الماء عنه فانا نجعل له مسيلاً الي ناحية اخري
غير مسامته فينقطع من ذلك الموضع ويعود الي الموضع الاخر فانت لم لا تفعل
هكذا ايضًا وتفصده من الناحية الاخري ففعل ذلك وانقطع الرعاف عن
الرجل وقال ذلك الطبيب للبيرودي لو انك تشتغل بصناعة الطب
جاء منك طبيب حاذق فمال البيرودي الي قوله وتاقت نفسه الي العلم وبقي
مترددًا الي الشيخ في اوقات وهو يعرّفه ويريه اشياء من المداواة ثم انه ترك
بيرود وما كان يعانيه واقام بدمشق يتعلم اشياء من المداواة وصناعة الطب
فلما تبصّر في اشياء منها وصارت له معرفة بالقوانين العلمية وحاول
مداواة المرضي وراي اختلاف الامراض واسبابها وعلاماتها وتيقّن علاجاتها
سال عمن هو امام في وقته بمعرفة صناعة الطب جيدًا فذكروا له ان ببغداد
ابا الفرج ابن الطيب كاتب الجاثليق وانه فيلسوف متفنن وله خبرة وفضل
في صناعة الطب وفي غيرها من الصنايع الحكمية فتاهب للسفر واخذ سوارًا
كان لامه لينفقه وتوجه الي بغداد وصار ينفق عليه ما يقوم باوده ويشتغل
علي ابن الطيب الي ان مهر في صناعته وصارت له مباحثات جيدة ودربة فاضلة
في هذه الصناعة واشتغل ايضًا بشيء من المنطق والعلوم الحكمية ثم عاد الي
دمشق واقام بها ونقلت ــــ هذه الحكاية المتقدمة او قريبًا منها وان
كانت الرواية بينهما مختلفة عن شيخنا الحكيم مهذب الدين اسعد بن الياس
ابن المطران قال ــــ حدثني ابي قال حدثني ابو الفرج ابن الحديد قال كان
بدمشق فاصدًا يقال له ابو الخير ولم يكن من المهرة وكان من امره انه فصد
شابًا فوقعت الفصدة في الشريان فتحير وتبلّد وطلب قطع الدم فلم يقدر
علي ذلك فاجتمع الناس عليه ففي اثناء ذلك طلع صبي عليه وقال يا عماه افصد

في اليد الاخري فقال شدّ الفصد الاول فشدّه ووضع عليه لازوقا كان عنده
وشدّه فوقف جري الدم ثم مسك الفصدة الاخري فوقف الدم وانقطع
الجميع ووجد الصبي بالسوق معه دابة عليها حمل شيح فتشبّث به وقال
من اين لك ما علمتني به قال انني في وقت سقي الكرم اذا انفتح شق
من النهر وخرج الماء منه بحدة لا يقدر علي امساكه دون ان يفتح فتحًا
آخر ينقص منه الماء الاول الواصل الي ذلك الشق ثم يسده بعد ذلك قال
فمنعه الجرايحي من بيع الشيح واقتطعه وعلمه الطب وكان منه البيرودي
وهو من مشاهير الاطباء الفضلاء ∴ وكان للبيرودي مراسلات الي
ابن رضوان بمصر والي غيره من الاطباء المصريين وله اليهم مسايل عدة طبيه
ومباحث دقيقه وكتب بخطه شيًا كثيرًا من الطب ولا سيما من كتب
جالينوس وشروحها وجوامعها وحدثني الشيخ البعلبكي ان
البيرودي عبر يومًا في سوق جيرون بدمشق فراي انسانًا وقد بايع
علي ان ياكل ارطالاً من لحم الفرس مصلوقه مما يباع في السوق فلما راه وقد
امعن في اكله باكثر مما تحمله قوته ثم شرب بعده فقاعًا كثيرًا اوما
بثلج واضطربت احواله فتفرّس فيه انه لا بد ان يغمى عليه وان
يكون في حاله اقرب الي الموت ان لم يتلاحق فتبعه الي المنزل الذي
له واستشرف الي ما ذا يول امره فلم يكن الا اليسير وقت واهله
يصيحون ويضجّون بالبكاء ويزعمون انه قد مات فاتي اليهم وقال
انا ابريه وما عليه باس ثم انه اخذه الي حمام قريب من ذلك الموضع
وفتح فكيه كرهًا ثم سكب في حلقه ماء حارًا وقد اضاف اليه
ادويه مقويه للقيء وقياه برفق ثم عالجه وتلطف في مداواته حتي افاق

وعاد الي صحته فتعجب الناس منه في ذلك الفعل وحسن تاتيه الي مداواة
ذلك الرجل واشتهرت عنه هذه القضية وتميز بعدها ∴ وهذه الحكاية التي
قصد البيرودي على تتبع احوال الرجل فيها وليشاهد ما يكون من امره ان
يكون عنده معرفة بالاعراض التي تحدث له وان ينقذه ايضا مما وقع فيه
ان امكنه معالجته ∴ ومثل ذلك ايضا ما حكاه ابو جعفر احمد بن
محمد بن الاشعث في كتاب الغاذي والمغتذي وذلك انه قال ان انسانا
رايته يوما وقد بايع ان ياكل جزرا قدره بجدما فحضرت اطله لاري ما يكون
من حاله لا رغبة مني لمجالسة من هذه حالته ولا لي بذلك عادة ولله الحمد
بل لاري ايراد الغذاء على المعدة قسرا الي ماذا يكون هذا الفعل فرايته باعلى
من حايط ليري من حوله ويضاحكهم حتي اذا امر على الكثير مما كان بين يديه
فرايت الجزر ممضوغا قد خرج من حلقه ملتفا مستحيلا متعجنا بريقه وقد
جحظت عيناه وانقطع نفسه واحمر لونه ودرت اوداجه وعروق راسه
وازبد وكمد وجهه وعرض له من التهوع اكثر مما عرض له من القذف حتي
رمي من ذلك الذي اكله شيا كثيرا فزكنت ان انقطاع نفسه لدفع المعدة
حجابه الي نحو الفم ومنعها اياه من الرجوع الي الانبساط الي النفس واما
ما عرض الي لونه من الاحمرار ودرور وداجيه وعروقه فزكنت انه لاقبال
الطبيعة نحو راسه كما يعرض لمن شد يده للفصد ان تقبل الطبيعة نحو
الجهة التي استنهضت نحوها فاما ما عرض لوجهه من الاربداد والكهوبة
فرايت ايضا انه لسوء مزاج قلبه وانه لو لم تخرج ما خرج ودافعت المعدة
حجابه هذه المدافعة التي قد عاقته آلته من التنفس عرض له الموت بالاختناق
كما قد راينا ذلك في عدد كثير ماتوا بعقب القذف فزكنت من ذلك ان التهوع

لشدة اضطرابه في ذلك الفصل وحسن تاتيه ونقي المعدة قال
ابن ابي الاشعث بعد ذلك ان الغذاء اذا حصل في المعدة وهو كثير الكمية
تمددت تمددا ينبسط ساير غضونها كما رايت ذلك في سبع شرحته حيا
بحضرة الامير الغضنفر وقد استصغر بعض الحاضرين معدته فتقدمت
بصب الماء في فيه فما زلنا نصب الماء في حلقه دورقا بعد اخرى حتي عددنا
من الدواريق عددا كان مقدار ما حوت معدته نحو اربعين رطلا ماء فنظرت
اذ ذاك الي الطبقة الداخلة وقد امتدت حتي صار له سطحا مستويا ليس بدون
استواء الخارج ثم شققتها فعندما اجتمعت عند خروج الماء منها عاد غضون
الداخلة والنوت يشهد الله في جميع ذلك الا ترسل نفسه وحدثني
الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي قال حدثني موفق الدين ابن اسعد بن الياس
ابن المطران قال حدثني ابي عن خالي ابي الفرج ابن حيان قال حدثني ابو الكرم
الطبيب قال كنت يوما اساير الشيخ ابا الفرج البيرودي اذ اعترضه رجل فقال
يا سيدي كنت في صناعتي هذه في الحمام وحلقت راسي واجد الان في وجهي كله
انتفاخا وحرارة عظيمة قال فنظرنا الي وجهه يربو وينتفخ وتزيد حمرته
بعد توقف ولا تدريج قال فامره ان يكشف راسه ويتلقى من الجارية من قناة
كانت بين يديه وكان الزمان اذ ذاك صميم الشتاء وغاية البرد ثم لم يزل واقفا
حتي بلغ ما اراد مما امر به ثم امر الرجل بالانصراف واشار اليه بالاوفق وهو
تلطيف التدبير واستعمال النقوع الحامض مبردا وقطع الزفر قال فامتنع ان
تحدث ما شرا وقال الطرسوسي في كتاب سراج الملوك حدثني بعض
الشاميين ان رجلا خبازا بينما هو يخبز في تنوره بدمشق اذ عبر عليه رجل يبيع
المشمش فاشتري منه وجعل ياكله بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروا

فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به ويحملون له الاطباء فيلتمسون دلايله ومواضع الحياة منه فلم يجدوا فقضوا بموته فغسل وكفن وصلي عليه وخرجوا به الي الجبانة فبينما هم في الطريق علي باب البلد اذ استقبلهم رجل طبيب يقال له البيرودي وكان طبيبا ماهرا حاذقا فاضلا عارفا بالطب فسمع الناس يلهجون بقضيته فقال حطوه حتي اراه فوضعوه فجعل يقلبه وينظر في امارات الحياة التي يعرفها ثم فتح فمه وسقاه شيا او قال حقنه فاندفع هناك فاذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد الي حانوته كما كان وحدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي عن موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران قال حدثني ابي قال حدثني عبد الله بن رجاء بن يعقوب قال بلغني ان ابا الفرج جرجيس بن يوحنا اليبرودي لما توفي ظهر في تركته ثلث مايه مقطع رومي وخمسمايه قطعه فضه الطفها ثلث مايه درهم قال موفق الدين ابن المطران وليس ذلك بكثير لان الشخص متي تحققت اعماله وصفت نيته وطلب الحق وعامل بالصحيح واجتهد في معرفة صناعته كان حقا علي الله ان يرزقه ومتي كان بالضد عاش فقيرا ومات بايسا

ومنهم ظافر بن جابر السكري ابو حكيم حظي كان معانده يتلظي وحاسده يتشظي نهض للطلب اول ما قام علي ساق وتم له الا الياتساق ولم يمل سعيا ولا اخل وعيا ولا خلي زمانه سعيا له ورعيا حتي تشذا من كل علم يتعلمه منه طرفا وخلف من كان يتقدمه وراء القفا فصفت مناهله وصمت مباهله ولم يبتسم غصنه الورق ولا اشتد مجلسه بالطلبة وانطلق حتي عد من العلامات وتاكدت الاسباب له بالعلامات قال ابن ابي صبيعة كان مسلما فاضلا في الصناعة الطبية متقنا للعلوم الحكمية متحليا

بالفضايل وعلم الادب محبا في الاشتغال والتطلع في العلوم وكان قد لقي ابا الفرج ابن الطيب ببغداد واجتمع به واشتغل عليه ومعه وكان ظافر بن جابر موجودا في سنة اثنتين وثمانين واربع مايه وهو موصلي وانما انتقل من الموصل الي مدينة حلب واقام بها الي اخر عمره ومن شعره

مازلت اعلم اولا في اول حتي علمت بانني لا علم لي

ومن العجايب ان كوني جاهلا من حيث كوني انني لم اجهل

ومنهم ابو الحكم عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي ابو الحكم واخو الحكم علم الفضلاء وعصم اهل الولاء الا انه كان للاعداء سماما وللاعداء همام وكان كثيرا ما يبهج للمباهله ويهاجي ولا يخاف ونسبه من باهله الي دمشق فرتع في جنانها وغاص في غياض افنانها وبات قري جفونها المراض وجفانها وآب الي اندية ابق وسيادتها فاناخ في ذلك الذري واستطاب المناخ والقري قال ابن ابي اصيبعة كان فاضلا في الحكمة والطب معتنيا بالادب كثير المجون محبا للشراب فاذا طرب خرج في باية الخيال وكان يضرب بالعود وله مدايح في ابق وبني الصوفي وكان يهاجي الشعراء وفي هجايه يقول عرقله

لنا طبيب شاعر اشتر اراحنا من شخصه الله

ما عاد في صبحة يوم فتي الا وفي باقيه رثاه

ومن شعره قوله

الا يا من لصب مستهام معني لا يفيق من الغرام

فكيف يفيق محزون كييب اضر بجسمه طول السقام

وقوله

وبح المحبين ليت لا خلقوا ما برحوا في العذاب مذ عشقوا
ولا رجوا راحة ولا فرجا الا وسدت عليهم الطرق

ومنهم ابنه ابو المجد ابن ابي الحكم افضل الدولة متقن لكل رياضي وممعن في كل سماء وارضي رمي كل افق بنظره وغلب كل شارق بنيره وخلف وراه الاقران والتجي في ذروة السودد الجران والتفت اليه السلطان بوجه الاقبال وحباه حتي امن الاقلال فتأخر نظراوه وتقدم اماما ورد نوئهم وسح غماما وجدل ذوي الجدال اذ جدّ اهتماما قال ابن ابي اصيبعة من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والافاضل في الطب والهندسة والنجوم والموسيقي وتجيد الغناء والايقاع والزمر وساير الالات وعمل الارغل وبالغ في اتقانه وكان العادل نور الدين محمود بن زنكي يري له ويحترمه وجعل له الامر في مارستانه بدمشق وكان يقرا عليه الطب في ايوان المارستان وتقدم في زمانه

ومنهم ابن البذوخ وهو ابو جعفر ابن موسي بن علي القلعي كان من اعلام اهل الفضايل واواخر من لحقه السلف من الاوايل جني بيده الادويه وركبها وعرف مقادير رتبها ورتبها الي سوي هذا مما قضي فيه ايام عمره وذهب وقد ابقي للناس من ثمره وكان كانه ما مات ولا الكت انوار الظلمات ومضي وهذا اثره وبقي ذباب السيف وهو اكثره قال ابن ابي اصيبعة كان عارفا بالادوية المفردة والمركبه وله حواش علي كتاب القانون وله اعتناء بعلم الحديث والشعر وعمر عمرا طويلا وضعف عن الحركة ثم عمي في اخر عمره بماء نزل في عينيه

ومنهم حكيم الزمان ابو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله

ابن حسان الغساني الجلياني حسنة من احسان وبقية من آل غسان طلع من المغرب وسمع منه المطرب ولا عجب ان سمي حكيم الزمان ولقط منه نظيم وتلقنه الملوك واصطفته وناصفته في مجالسها وانصفته ومذ انس بفطنته لم يستوحش لوطنه ولا ظهر عليه قشف البين ولا عرف له في بشر الاحسن اثر وعين قال ابن ابي اصيبعة كان علامة زمانه في الطب والكحل بارعا في الادب والشعر اتي من الاندلس الي الشام واقام بدمشق وعمر عمرا طويلا وله في السلطان صلاح الدين مدايح كثيره وصنف له كتبا وكان له منه الاحسان الجزيل والانعام الكثير ثم خدم بالكحل الاشرف شاه ارمن وتوفي بالرها سنة نيف وعشرين وست مايه ومن شعره قوله

علي فرط شوقي تستقل الركايب وعن صون دمعي تستهل السحايب
وما البرق الا من حنيني نابض وما الرعد الا من انيني نادب
نايتم فلا صبر من القلب حاضر لدي ولا قلب عن الذكر غايب
فيا ليت شعري بعدنا من صحبتم فما بعدكم غير الهوي لي صاحب

وقوله

قالوا نري نفرا عند الملوك سموا ولا لهم همة تسموا ولا ورع
قد يكرم القرد اعجابا بخسته وقد يهان لفرط النخوة السبع

ومنهم المهذب ابن النقاش ابو الحسن علي بن عيسي بن هبة الله طبيب لو اخذ عن جالينوس لاتاه العلم بمنصوصه او لزم ابن سيناء لاقبل عليه علي خصوصه او سبق ابن عربي لاستبقي بقية من نقشه لفصوصه وكان لا يقصر في طلب ولا يقص النسر له جناحا اذا طلع واذا غرب فلم يلم به ملل ولا كان له في غير العلم امل قال ابن ابي اصيبعة

كان مولده ومنشاوه ببغداذ وكان عالما بالعربية والادب وقرا الطب على امين الدولة ابن التلميذ ولازمه مدة واشتغل بعلم الحديث على ابن الحصين وحدث معه وسمع منه القاضي عمر ابن القرشي وقال الاصفهاني في الخريدة انشدني مهذب الدين ابن النقاش لوالده

اذا وجد الشيخ في نفسه نشاطا فذلك موت خفي

الست ترى ان ضوء السراج له لهب عند ما ينطفي

قال ابن ابي اصيبعة لما وصل المهذب ابن النقاش الى دمشق طب بها وكان له مجلس عام للمشتغلين عليه ثم توجه الى مصر واقام بالقاهرة مدة ثم رجع الى دمشق وخدم نور الدين بالطب وكان له منه احسان وتوفي يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة اربع وسبعين وخمس مايه ودفن بجبل قاسيون

ومنهم سكرة اليهودي الحلبي حكيم فضايله غير منكرة وطبيب حلا وصفه فقيل سكرة وكانت له همم تواتيه وله شيم ما خرج بها من التيه انقاد له الحظ واتاه بادنى فكر ولفظ وانجبت له ذرية اسلموا بعده وسلموا ولايات عدة وذلك بعد ان رفع عليهم علم الاسلام ودان لهم قلم الكتابة بسلام قال ابن ابي اصيبعة كان له دربة بالعلاج وتصرف في المداواه حكي انه كان لنور الدين بقلعة حلب حظية يميل اليها فمرضت مرضة اعيت على الاطباء فاحضر اليها سكرة الحكيم فوجدها قليلة الاكل متغيرة المزاج فسالها عن جنسها فاخبرته بانها علانيه ثم سالها عما كانت تاكل في بلادهم فقالت لحم البقر فسالها عما كانت تشرب قالت الخمر فقال لها ابشري بالعافية ثم ذهب فاشترى عجلا وسلق من لحمه ثم عمل معه شيا من لبن وثوم واخذ معه خمرا واتى به اليها فاطعمها واكلت منه بنهمة كبيرة ثم سقاها فطابت

النوم فنامت وغطيت بدثار فعرقت عرقا كثيرا واصبحت في عافية ولازمها بمثل ما عالجها به حتى بريت فبعثت اليه بصينيه مملوءه من الحلي ثم كتبت الى نور الدين تعلمه بعجز الاطباء عنها وان عافيتها كانت على يده فلما قرا الكتاب طلبه وعرفه بما قالت ثم مناه فساله عشرة افدنه في قريتي صمع وعبدان فكتبها له ملكا ثم عاد الى حلب وكثرت امواله ولم يزل في نعمة طايلة هو وبنوه

ومنهم اسعد ابن المطران الموفق طبيب على نصرانيته وتدينه بدنيته قد تحلى بمحاسن الشيم وحل الغاية لولا الشمم ودنى من الملوك مجلسا وترك حاسده المصنوك مبلسا واطالت النعمة رياشه ونفضت على فايض النوء رشاشه واثرى بالحضرة الصلاحية حتى ابتل عوده في الثرى وشمخ هرم ماله الى الذرى وكان على هذا الوفر والحظ الذي ما ذهب بمثله سفر يتجنى على السلطان والذنب ذنبه ويتناوم عليه ولا يهدا جنبه قال ابن ابي اصيبعة كان للسلطان صلاح الدين فيه اعتقاد واسلم في ايامه وكان يغلب على ابن المطران الكبريا حتى على الملوك وكان يعلم صلاح الدين ذلك منه حكي عنه من كان معه في بعض غزواته ان صلاح الدين كان ينصب له في اوقات حروبه خيمة حمراء بدهليز احمر وميضاه حمراء فبينا هو راكب واذا به قد نظر الى خيمة حمراء ظنها خيمته فسال لمن هي فقيل له لابن المطران الطبيب فضحك وقال والله قد عرفت هذا من حماقته ثم قال ما بنا الآن يعبر احد من الرسل فيعتقد انها خيمة احد الملوك واذا كان لا بد فيغير ميضاتها فصعب هذا على ابن المطران وبقي يومين لا ياتي الخدمة حتى ترضاه صلاح الدين واعطاه مالا وشكا ابو الفرج النطروي الطبيب الى صلاح الدين ضرورة ببنات له يريد تجهيزهن فامره ان يكتب ورقة بما يحتاج اليه فكتب شيا بنحو ثلثين الف درهم فامر له بما تضمنته ورقته فبلغ

ذلك ابن المطران فقصر في الخدمة وتبين لصلاح الدين هذا من تغير وجهه
فامر بان يحسب جملة ثمن ما اشتري به جهاز بنات ابي الفرج ويعطي ابن المطران
نظيره وحكي المهذب عبد الرحيم بن علي ان اسد الدين شيركوه
صاحب حمص طلب ابن المطران قال فتوجه وانا معه فبينما نحن في بعض الطريق
واذا رجل مجذوم قد استقبله وكان المرض قد قوي به حتي تغيرت خلقته وتشوهت
صورته فاستوصف منه ما يتناوله ويتداوي به فبقي كالمتبرم به ثم قال له كل لحوم
الافاعي فعاوده فقال كل لحوم الافاعي فانك تبرا يكررها عليه ثم مضينا الي حمص
واقمنا بها نعالج المريض الذي طلب لاجله الي ان صلح ثم رجعنا فلما كنا في الطريق
واذا شاب حسن الصورة كامل الصحة قد سلم عليه وقبل يده فقال له من انت
فقال له انا صاحب ذلك المرض الذي كنت شكوت اليك واني استعملت ما
وصفت لي فصلحت من غير ان احتاج معه الي دواء آخر وتوفي ابن المطران في
ربيع الاول سنة سبع وخمس مايه بدمشق

ومنهم ابن اللبودي يحيي بن محمد بن عبدان بن عبد الواحد الصاحب
نجم الدين ابو زكريا منشيد بيت ومحيي فضل غير ميت والي الآن بقيته وكان
وما هانت بليته وترقي الي ان وزر واتشح برداء الكبرياء واتزر الا انه لدي
ملك لم يتخر لديه خديم ولا ترى بين يديه عديم لضيق نطاقه وعدم رواج الفضل
عنده ونفاقه لصغر بلده وقلة ذات يده قال ابن ابي اصيبعة
اوحد في الطب قدوة في الحكم مفرط الذكاء فصيح اللفظ شديد الحرص في العلوم
متفنن في الآداب فما يدانيه في شعره لبيد ولا في ترسله عبد الحميد

ولما رايت الناس دون محله تيقنت ان الدهر للناس ناقد

مولده بحلب سنة سبع وست مايه واتي دمشق وقرا علي المهذب عبد الرحيم وخدم

المنصور ابرهيم صاحب حمص وكان يعتمد عليه واحواله تزداد لديه حتي استوزره
واعتمد عليه بكليته فلما توفي المنصور بعد كسرة الخوارزميه توجه الي الخدمة
الصالحيه النجمية بمصر فاكرم وجعل له كل شهر ثلثة الاف درهم وبقي علي ذلك
مدة ثم وجه الي الشام ناظرا علي الديوان بجميع الممالك الشاميه ∴ وله نثر
منه قوله وقف الخادم علي المشرفة الكريمة ادام الله نعمة المنعم بما اودعها
من النعم الجسام واقتضته من الاريحية التي اربي فيها علي كل من تقدمه من
الكرام وابان فيها عما نعص علي الخادم بالاسترقاق وللدولة خلدها الله تعالي
بمزايا الاستحقاق وكلما اشار المولي اليه فهو كما نص عليه لكنه يعلم بسعادته
ان الفرص تمر مر السحاب وقد ضاق الوقت بحيث لا يحتمل التاخير والمولي يعلم
ان المصلحة تقديم النظر في هذا المهم علي جميع انواع التدبير وما الخادم مع المولي
في هذا الا كالسهم والمولي مسدده والسيف والمولي مجرده فالله الله في العجلة
والبدار فقد ظهرت مخايل السعادة والانتصار والحذر الحذر من التاخير والاهمال
فيفوت والعياذ بالله الاوقات التي ترجو فيها بلوغ الآمال والمسول من كرم الله
ان ينهض المملوك في خدمة السلطان بما يبيض وجه امله ويكون ذلك علي
يد المولي وبقوله وعمله ∴ ومن شعره قوله يمدح سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام

هذي المهابة والاجلال الهايل بهرا فماذا ان يقول القا يل
وبك اقتدي جل النبيين الاولي ولديك اضحت حجة ودلا يل
اظهرت ابرهيم اعلام الهدي والخير والمعروف جودك عا مل
شيدت اركان الشريعة معلنا ومقررا ان الاله الفا عل
مازلت تنقل للنبوة سرها حتي غدا بمحمد هو وا صل
وقد التجات الي جنابك خاضعا متوسلا وانا الفقير السا يل

ومنهم الرضي الرحبي يوسف بن حيدرة بن الحسن ابو الحجاج
حكيم لو استجارت به الارواح لكلأها او املي المسامع لملأها كم شكيت
اليه الاسقام فابرأها وتواثبت الايام فردّ اجراها مذ وكلت به رعاية الابدان
حرست ومذ اترست به الاعضا راست شدّ البناء وشدّ الابناء فقامت
به الاجسام وكانت تات سقما وتدافع ضعفا فتح لها فمه ملتقما فتمت به محاسن
الوجوه الوسام وترضي الارواح للاجسام فخص بالحباء وزيادة الاجتباء فاقبل
المال يتدفق عليه تدفق السيل وبفيض عنده علي الميزان والكيل قال
ابن ابي اصيبعة فيه من الاكابر في صناعة الطب والمتقدمين من اهلها وله الذكر
الشايع ولم يزل مبجلا عند الملوك وكان عالي الهمة كبير النفس كثير التحقيق
شديد الاجتهاد في مداواة المرضي ما عرف منه انه آذي احدا ولا تكلم فيه بسوء
وكان لابنه نظر في الطب الا ان صناعة الكحل كانت اغلب عليه وبها عرف وولد
ابنه الرضي بالجزيرة في جمدي الاولي سنة اربع وثلثين وخمس مايه ونشا بها واقام
بنصيبين ثم الرحبه ثم سافر الي بغداد وغيرها واشتغل في علم الطب وتميز فيه
ثم اتي مصر واجتمع بالموفق بن جميع المصري وانتفع به وكان قدومه دمشق
في الايام النوريه فراي ابن النقاش واخذ عنه ولزمه فنوه بذكره وقدر له
بالمثول بالحضرة الصلاحيه فحسن موقعه اليها ورتب في المارستان النوري
واطلق له ادرار سلطاني ودام الي ايام المعظم واشغل خلقا كثيرا صاروا شيوخ
اقراء حتي كان لو اعتبر اطباء الشام لم يوجد منهم الا من قرا عليه او علي من قرا
عليه وممن قرا عليه المهذب عبد الرحيم بن علي وكان لا يري ان يقري ذميا ولا عادم
اهليه وكان يلازم في طبه قوانين حفظ الصحة الموجودة وكان يتوقي صعود
السلالم ويقول السلم منشار العمر ومن نوادره في طبه ان ابن مرزوق

ذكر ان الصاحب ابن شكر كان يلازم اكل الدجاج فلحقه شحوب فشكاه الي
الاطباء فوصفوا له انواعا من الاشربة وغيرها فلما شكا الي الرحبي قال تحضر الجواب
ثم نهض فاحضر له قطعة من صدر دجاجه وقطعة حمراء من لحم ضان ثم قال له
انت تلازم اكل لحم الدجاج فلا ياتي الدم المتولد منه الا شبهه ولو اكلت من لحم
الضان لاتي الدم المتولد منه يشبهه فاترك لحم الدجاج ولازم لحم الضان وما
تحتاج الي علاج ففعل ذلك فزال شحوبه وصلح لونه وتوفي يوم عاشوراء سنة احدي
وثلثين وست مايه ودفن بقاسيون
ومنهم ابنه الشرف علي شرف الدين ابو الحسن حكيم اينع
في جرثومة الطب غدقه وصح في نظر المستطب حذقه لم تخط تجاربه ولم
تخف مآربه احسن طبه علاج الامراض وقوم مزاج الاعراض وعرف منه
ما لم يخف علي احد ولا عرف ان احدا له جحد وكان طبه شافيا للاسقام
وكافيا في الداء العقام ولم تمس يده مريضا الا مسح بيده سقمه وسله من فم
دايه الذي التقمه فكان لهذا ابرع في تطبيبه ويري من استطب غير سفامة
من طبيبه قال ابن ابي اصيبعة فيه سلك حذو ابيه واتبع ما
كان يقتفيه واشبهه خلقا وخلقا وطريقة وحذقا ولم يزل منذ نشا موفرا
علي قراءة الكتب وتحصيلها ونفسه تتشرب الي طلب جمل الفضايل وتفصيلها
قرا علي ابيه وعلي الموفق عبد اللطيف البغدادي واخذ عن السخاوي وغيره واجاد
اتقان الادب وكان يحب التخلي للقراءة والدرس والاطلاع علي آثار القدماء
والانتفاع بنصا بيف الحكماء ولد بدمشق سنة ثلث وثمانين وخمس مايه وحكي
انه قبل مرض موته بمدة كان يخبر انه بعد قليل يموت ويقول وذلك عند قران
الكوكبين ثم يقول قولوا هذا للناس حتي يعرفوا مقدار علمي في حياتي وفي

وقت موتي فكان كما قال وتوفي بذات الجنب حادي عشر المحرم سنة سبع
وستين وست مايه ودفن بقاسيون ومن شعره قوله

سهام المنايا في الورى ليس تمنع ... فكل له يومًا وان عاش مصرع
فقل للذي قد عاش بعد قرينه ... الى مثلها عما قليل ستدفع
فتبًا لدنيا ما تزال تعلنا ... افاويق كاس مرة ليس تنفع
أفق وانظر الدنيا بعين بصيرة ... تجد كلما فيها ودايع رجّع

وقوله

تساق بنو الدنيا الى الحتف سرعة ... ولا يشعر الباقي بحالة من يمضي
كانهم الانعام في جهل بعضها ... بما تم من سفك الدماء على بعض

ومنهم عمران الاسرايلي واسم ابيه صدقه ويلقب بالاوحد حكيم حكم له على نظرايه وحتم بصواب آرايه لنظر كان له اثقب من نظر الغراب واحد من السيف عند الضراب حتى ظهر ظهور الشمس واشتهر اشتهار ما كان في امس فاستدعته الملوك الى مجالسها وادنته ادناء مجالسها فاخذ منها بحظ ازلف له الغرف واشرف به على ابعد مشترف وقدمه لديهم لفضل طار به محلقا واطال باعه محققا وعرف بحسن التدريب وصحة التجريب فاجزلت له الجوايز حتى كان ياخذها الافا ويعجل لها اتلافا واخلافا وهلك بعد السرف وكثرة ما صرف واموال قد زادت على القياس وامسى الحال شرًا على الاكياس قال ابن ابي اصيبعة كان ابوه طبيبًا مشهورًا واشتغل هو على الرضي الرحبي وتميز في الطب وحظي عند الملوك واعتمدوا عليه في المداواه والمعالجه ونال من جهتهم الاموال الجسيمه والنعم ما يفوق الوصف وحصل من الكتب الطبيه

وغيرها ما لا يكاد يوجد عند غيره ولم يخدم عند احد من الملوك في الصحبة ولا تقيد معهم في سفر وانما كان كل منهم اذا عرض له مرض او لمن يعز عليه طلبه ولم يزل يعالجه ويطببه بالطف علاج واحسن تدبير الى ان يفرغ من مداواته ولقد حرص به الملك العادل ابو بكر بن ايوب بان يستخدمه في الصحبة فابى وكذلك غيره من الملوك وحدثني الامير صارم الدين التبنيني رحمه الله انه لما كان بالكرك وصاحبه الملك الناصر داود بن الملك المعظم وكان الملك الناصر قد توعك مزاجه واستدعى الحكيم عمران اليه من دمشق فاقام عنده مدة وعالجه حتى صلح فخلع عليه ووهب له مالا كثيرا ورتب له جامكية في كل شهر الف وخمس مايه درهم ناصريه ويكون في خدمته وان يطلق منها عن سنه ونصف سبعة وعشرين الف درهم **اقول** وكان السلطان الملك العادل لا يزال يصله بالانعام الكثير وله منه الجامكية الوافرة والجراية وهو مقيم بدمشق ويتردد الى خدمة الدور السلطانيه والقلعه وكذلك في ايام الملك المعظم وكان قد اطلق له ايضا جامكيه وجرايه تصل اليه ويتردد الى البيمارستان الكبير ويعالج المرضى به وكان به ايضا في ذلك الوقت شيخنا مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله وكان يظهر من اجتماعهما كل فضيلة وتنبيهًا للمرضى من المداواة كل خير وكنت في ذلك الوقت اتدرب معهما في اعمال الطب ولقد رايت من حسن تاتي الحكيم عمران في المعالجه وتحقيقه للامراض ما يتعجب منه ومن ذلك انه كان يومًا قد اتى الى البيمارستان وبه مفلوج والاطبة قد الحوا عليه باستعمال المغالي وغيرها من صفاتهم فلما راه وصف له في ذلك اليوم تدبيرًا ليستعمله ثم بعد ذلك امر بفصده ولما فصد وعالجه صلح وبرئ برءًا تامًا وكذلك رايت له اشياء كثيرة من صفات مزاوير والوان كان يصفها للمرضى

علي سبيل شهواتهم ولا يخرج عن مقتضي المداواة فينتفعون بها وهذا باب عظيم في العلاج ورايته ايضا وقد عالج امراضا كثيرة مزمنة كان اصحابها قد سيموا الحياة ويئس الاطبا من برءهم فبروا علي يديه بادوية غريبة يصفها ومعالجات بديعة قد عرفها وقد ذكرت من ذلك جملا في كتاب التجارب والفوايد وتوفي الحكيم المذكور في مدينة حمص في جمدي الاول سنة سبع وثلثين وستمايه وقد استدعاه صاحبها لمداواته

ومنهم يعقوب بن صقلاب النصراني حكيم الماح طبه رداء الشقم والطارد عن الاعضاء لوثة السقام فقامت به الاجسام كانما نشطت من عقال او حودثت بعد صداء الاسقام بصقال تحظي عند الملوك حظوة زادت في انسه وقضي بها يعقوبه حاجة كانت في نفسه هذا الي علم بصناعة الطب حفظت له فيه دروس ونشأت له به غروس وكان كانما خلق من طينة افلاطون وجالس جالينوس حتي اخترمته المنون قال ابن ابي اصيبعة كان اعلم اهل زمانه بكتب جالينوس ومعرفتها دايم الاستحضار لها كانها مصورة بين عينيه لا ينقل الا عنه وكان يشرح كتب ابقراط ويورد نص ما قاله جالينوس في شرحه وكان يجتمع هو والمهذب عبد الرحيم بدمشق بدار السلطان ويجري بينهما مباحث وكان المهذب افصح عبارة واقوي براعه واحسن بحثا وابن صقلاب اكثر سكينة وابين قولا واوسع نقلا وكان في معالجاته غاية في الجودة والنجح لانه كان لا يداوي حتي يجيد تحقيق المرض وكان المعظم يشكر هذا من فعله ويصفه به ويقول لو لم يكن في الحكيم يعقوب الا استقصاء الامراض ليعالجها علي الصواب ولا يشتبه عليه شي من امرها لكفاه وكان متقنا للسان الرومي ونقل كتاب حيلة البرء وغير ذلك من

كتب جالينوس منها الي العربي قال كان مولده بالقدس واخذ الطبيعي والهندسه والحساب والنجوم عن فيلسوف كان قد ترهب بها في دير السيق قال وكانت له في النجامة احكام صحيحه وانذارات عجيبه وعلت مكانته عند المعظم حتي اراد ان يوليه بعض تدبير دولته فامتنع وكان قد عرض له نقرس في رجليه فكان المعظم اذا سافر اخذه معه في محفة وقال له يوما يا حكيم لم لا تداوي هذا المرض الذي في رجليك فقال له الخشب اذا سوس ما يبقي في اصلاحه حيله وادرك الناصر داود بعد ابيه وولد بدمشق سنة احدي وستين وخمس مايه وتوفي بها يوم فصح النصاري سنة خمس وعشرين وست مايه

ومنهم الرشيد الصوري ابو المنصور ابن ابي الفضل ابن علي رجل تهادته الملوك وهادنته الايام لحسن السلوك وكان الحظ معه حيثما خيم والسعد قرينه اينما يمم وهو من بيت تعد معه رجال وتمتع الدهر بهم الي آجال وطالما زهت بهم الايام الخوالي وحسنت بهم الليالي الحوالي وكان هو اخرهم الذي كان لمسكهم ختاما وضرب لهم حول قباب الجوزاء خياما قال ابن ابي اصيبعة اشتمل علي جملة من الصناعة الطبيه واطلع علي محاسنها الجليه والخفيه وكان فريدا في الادوية المفردة وماهياتها واختلاف اسمايها وصفاتها وتحقيق خواصها وتاثيراتها اشتغل علي عبد اللطيف البغدادي بالقدس سنتين وصحب الحاى وكان عارفا بالادوية المفردة فانتفع به واشتغل بها مع ما هو عليه من المروءة التي لا مزيد عليها والعصبية التي لم يسبق اليها والمعرفة المذكورة والشجاعة المشهورة وخدم بالطب العادل ثم صار الي المعظم وحضر معه دمياط ثم صار الي الناصر داود فلما توجه الي الكرك اقام الرشيد بدمشق وكان يشتغل بها ولابي نصر المهذب الحلبي فيه مديح منه

سري طيفها والكاشحون هجود فبات قريبا والمزا وبعيد
وتالله ما عاد الخيال وانما تخيله الافكار لي فيعود
فيا لائمي كف الملام ولا تزد فما فوق وجدي والغرام مزيد
الا في سبيل الحب من مات صبوة ومن قتلته الغيد فهو شهيد
ولم تر عيني مثل اسماء حلة تضن بوصلي والخيال يجود
وبت وجنح الليل مرخ سدوله اضم غصون البان وهي تذود
الى ان بدا الصبح غير مذمم وزال ظلام الليل وهو حميد
وكيف اذم الصبح اولا اوده وان ربع مودود به وودود
وكل صباح فيه للعين حظوة بوجه رشيد الدين وهو سعيد
فقل لبني الصوري قد سدتم الورى وما الناس الا سيد ومسود
وما جزتم ارث العلا عن كلالة كذلك آباء لكم وجدود
ومن بابي المنصور اصبح لايذا فقد قارنته بالنجاح سعود
فيا كعبة الآمال يا ديمة الندى ويا من به روض الرجاء مجود
ومن عنده يوم السماحة حاتم وعند مديحي في علاه عبيد
اياديك عندي لا اقوم بشكرها فما فوق ما اولت يداك مزيد

ولد سنة ثلث وتسعين وخمس مايه بصور ونشا بها وتوفي بدمشق يوم الاحد غرة رجب سنة تسع وثلثين وست مايه

ومنهم السديد بن رقيقه ابو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن ابرهيم ابن شجاع الحانوي طبيب كان كالنسيم في لطف العلاج والصباح الوسيم عند الانبلاج وكان لا يباري في خفة يد ولعب انامل في جد مما تقدم له مما تقدم به في ذوي الحظوظ وعرف انه بعين الحظ ملحوظ فما قاوي جدول تيار

ولا طاولت الحاجب نارة وكان يستحق هذا من ايامه الذاهبه وفي زمانه وعطايا انعامه الواهبه ∴ ذكره ابن ابي اصيبعة فقال ذو النفس الفاضله والمروة الكامله جمع من الطب ما فاق به اقوال المتقدمين وتميز على جميع نظرائه من الحكماء والمتطببين هذا مع الفطرة الفايقه والالفاظ الرايقه والنظم البليغ والترسل البديع ولازم ابن عبد السلام الماردين واخذ عنه الطب والحكمة وكانت لابن رقيقة يد طولى في الكحل والجراح وعمل الحديد وداوى امراض العين وقدح الماء النازل وانجب عمله وكان المقدح الذي له مجوفا وله عطفه ليتمكن وقت القدح من امتصاص الماء ويكون العلاج به ابلغ واشتغل بعلم النجوم ونظر في حيل بني موسى وعمل فيها اشياء مستظرفه قال ولد بحاني سنة اربع وستين وخمس مايه وعالج صاحبها الارتقي من مرض في عينيه فراى سريعا وكان اذ ذاك دون العشرين فاستخدمه عنده ثم خدم المنصور صاحب حماه مدة ثم سافر الى اخلاط وكان صاحبها الاوحد ايوب ابن العادل فخدمه وخدم صهره صلاح الدين ابن غبسان وكان زوج ابنة الاوحد وكانت بنت الاوحد محسنة اليه ثم خدم بعده الاشرف شاه ارمن ثم اتى اليه الى دمشق فاكرمه واستخدمه للحرم وفي البيمارستان ولم يزل بها الى ان توفي سنة خمس وثلثين وست مايه

وله شعر منه

يا ملبسي بالنطق ثوب كرامة ومكملي جودا به ومقومي
خذني اذا اجلي تناهى وانقضى عمري على خط اليك مقوم
وقد احتويت ثواي ثم ومن يكن دار الغرور له محلا ييام
دار يغادر بوسها وشقاوها من حلها وانه لم ينعم

لا يرتضي الدنيا الدنية موطنا تعلي على رتب السواري الانجم
فتشاهدي ما ليس يدرك كنهه بالفكر او يتوهم المتوهم
وتجاوري الابرار في مستوطن لا داثر البقيا ولا متهدم
يا ايها المغرور شبت ولم تحد عما لهجت به ولم تتندم
لا تحسبن المشيب فيك لعلة عرضت ولا لتلزج في البلغم
لكن شبابك كان شيطانا ومن يك ماردا بالشهب حقا يرجم
والشيب اشراق الحجي وضياوه فاهزز هواك او ان شيبك يكرم
يا جابر العظم الكسير وغافر الجرم الكبير لكل عبد مجرم
مالي اليك وسيلة وذريعة انجو بها الا اعتقاد المسلم

وقولـــــه

لا تكن ناظرا الي قايل القول بل انظر اليه ماذا يقول
وخذ القول حين تلفيه معقولا ولو قاله غبي جهول
فنباح الكلاب مع خسة فيها علي منزل الكريم دليل
وكذاك النضار معدنه الارض ولكنه الخطير الجليل

ومنهم صدقة السامري وهو صدقة بن منجا بن صدقة راس حكمة وادب وحلف همة لم يقصر في داب لم يلف مثله سامريا ولا مضطلعا سام ريا ورد علي الغمايم حياضها وراد في جنبات المجرة رياضها طالما سهر الليالي الطوال واكثر في طلب العلم السوال الي ان جمع علي الفضايل رذنه واتخذ كرم الفضايل خدنه الا انه لم ينزع حب دينه ولا جفا ما جف في طينه قال ابن ابي اصيبعة فيه من الاكابر في صناعة الطب والمتميزين من اهلها والاماثل من اربابها وافر العلم جيد الفهم قويا في الفلسفة

وكان يدرس في الطب وله فيه وفي الحكمة تصانيف وخدم الاشرف شاه ارمن وكان يحترمه غاية الاحترام ويكرمه كل الاكرام ويعتمد عليه وتوفي بحران فيما ينيف علي سنة عشرين وست مايه وخلف مالا جزيلا ولم يخلف ولدا ❁ ومن كلامه قوله الصوم منع البدن او كف الحواس عن الخطا والجوارح عن الآثام وللصوم ثلث درجات صوم العموم وهو كف البطن والفرج وصوم الخصوص وهو كف السمع والبصر واللسان وصوم خصوص الخصوص فصوم القلب والافكار وقولـــه ما كان من الرطوبات الخارجة من الباطن ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط واما ما له مقر وهو مستحيل فهو نجس كالبول والروث ❁ ومن شعره قولـــه

وضامن رد كل روح همت عن الجسم بالبعاد
اقسم لو كان طب دهرا لما ذكونا بلا فساد

وقولـــه

مهندس في طول ايامه مع قصره يبتلغ التاريه
مثلث يدعمه قايم لانه منفرج الزاويه

ومنهم المهذب يوسف ابن ابي سعيد ابن خلف السامري سامري لم يخفر ذمته ولم تقصر في طلب العليا همته حتي داني الغاية علي قلة ناصريه وكثرة حساده في معاصريه ولم تزل العداوة تشب اللهب وتجلل الرماد الذهب فالصقت به العيوب وخرقت اليه استار الغيوب ولم تزل تزعزعه العواصف الي ان زحزح وتكشف غمامه حتي صحصح قال ابن ابي اصيبعة اتقن الطب والحكمة واشتغل بعلم الادب وبلغ في الفضايل اعلا الرتب وكان كثير الاحسان عزير الامتنان فاضل

النفس صايب الحدس قرا في الخدمة الصلاحية على شمس الحكماء ابرهيم السامري
وعلي اسمعيل ابن ابي الوقار الطبيب وعلي ابي اليمن الكندي والمهذب ابن
النقاش وتميز في الطب واشتهر بحسن العلاج وعالج ست الشام بنت ايوب
من ذوسنطاريا كيدية بالكافور المنصوري بحليب بزر بقلة محمصة وشراب
رمان وصندل فسارعها الدم ثم لاطفها حتى برأت وخدم فرخشاه بن ايوب
ثم خدم ابنه الملك الامجد واقام عنده ببعلبك وحظي عنده وكان يستشيره ويعتمد
عليه ثم استوزره وحصل بسببه الاموال وتوفر النعم وقال فيه فتيان

الملك الامجد الذي شهدت له جميع الملوك بالفضل
اصبح في السامري معتقدا ما اعتقد السامري في العجل

قال ابن ابي اصيبعة ولم يزل المهذب على علو منزلته حتى كثرت
الشكاوي من اقاربه السامرة وما كثر منهم من العسف والظلم واكل الاموال
وافساد الحريم ولامت الملوك الملك الامجد عليه فقبضه وقبض على اقاربه واستصفى
منهم اموالا كثيرة واعتقله ثم اطلقه فاتى دمشق واقام بها في داره ∴
ومن شعره قوله

ان ساءني الدهر يوما فانه سر دهرا
وان دهاني بمال فقد تعوضت اجرا
الله اغنى واقنى والحمد لله شكرا

ومنهم امين الدولة ابو الحسن ابن غزال ابن ابي سعيد السامري
وزير الصالح اسمعيل كان سامريا واسلم ولقب كمال الدين وكان المهذب
السامري عمه وكان لا يطمع في مفاضلته ولا يقدر على مناضلته الا انه
قتل نفسه بحمقه وتبرد بالنار من حرقه ولم يزل منذ اخذ في الطلب يترقى

ويتدرج بين المعالم ولا يتوقى حتى تسنم ذرى الوزاره وغلط طيفها في غفلة
الحلم وزاره فتصدى للاموال حتى صادها واقام على الاعيان ارصادها
الا انها فرت من شباكه وانفلتت لتستقر في املاكه ثم كان آخر ما
حمله عليه الهوج وطلب به استقامة حاله من العوج انه ارقيم من الدست
الذي لم يقدمه احد الى صدره ولا جزي به بعد طول الحبس على عاقبة صبره ثم
اخذ وشنق وكان قد ابرم بيده حبل سعادته فخنق قال ابن ابي اصيبعة
كان له الذكاء الذي لا مزيد عليه والعلم الذي لا يصل سواه اليه والانعام العام
والاحسان التام والهمم العاليه والالاء المتواليه قد بلغ من صناعة الطب الى
غاياتها وانتهى الى نهاياتها وفاز بحصولها واتقن علم فروعها واصولها
حتى قل له المماثل وقصر عن معانيه كل فاضل كان اولا عند الامجد صاحب بعلبك
طبيبا فلما توفي بدمشق استقل امين الدولة بالوزارة العمادية فساس احسن
السياسه وبلغ في التدبير نهاية الرياسه وثبت قواعد الملك وابدها ورفع
مباني الفضل وابدها وجدد معالم العلم والعلماء واوجد من الفضايل ما لم يكن
لاحد من القدماء ولم يزل عالي القدر نافذ الامر مطاع الكلمه كثير العظمه
الى ان ملك دمشق الملك الصالح ايوب وجعل نايبه بها ابن شيخ الشيوخ واعطى
الصالح اسمعيل بعلبك فانتقل اليها وبقي وزيره بدمشق وقد جمع له ولصاحبه اموالا
عظيمة جدا اخذها من اهل دمشق بموافقة القاضي الرفيع الجيلي فاتفق ابن شيخ
الشيوخ والصاحب ابن مطروح على مكيدة عملت وهو انهما طلبا امين الدولة
فلما اتى قاما له وقالا له ان اردت الاقامة بدمشق فابق على حالك وان
اردت ان تلحق صاحبك فنقيم عنده فافعل فقال لا والله بل الحق مخدومي واكون
عنده ثم انه خرج بجميع امواله وذخايره واحواله وخواصه وجميع ما يملكه حتى

اثاث بيته وحصر دونه فلما صار الظاهر دمشق بما معه قبض عليه واخذ جميع ما
كان قد جمعه واحتيط على املاكه واعتقل ثم حمل الى القاهرة فاودع السجن
بقلعة الجبل مع جماعة اخر من الحاشية العمادية فلما اتى الملك الناصر يوسف
ابن العزيز من حلب الى دمشق وملكها صار معه الصالح اسمعيل وساير ملوك
الشام ثم توجه يريد مصر فخرجت اليه عساكر المعز ايبك وكان قد ملك بعد مولاه
الصالح ايوب فلما التقوا كانت الكسرة اولا على العسكر المصري ثم دارت
الدايرة لهم على العسكر الشامي وقبض الصالح اسمعيل وجماعة من الملوك والامراء
وحبسوا بمصر ثم اطلق بعضهم واما الصالح اسمعيل فكان آخر العهد به
وحكي ان امين الدولة لما سمع بما كان من ظهور العسكر الشامي على
المصريين على ما كان اولا وعدا المتحدث في القلعة عند طلوع الملوك بمواعيد
اطمعته فاخرج من كان عنده وكانوا ثلثه امين الدولة وناصر الدين ابن يغمور
وامير كردي فقال الكردي يا قوم لا تستعجلوا واقعدوا مكانكم فان كان الامر
صحيحا فاستاذنا يخرجنا ويحسن الينا وان كان غير صحيح فقعودنا اصلح لنا فلم يلتفت
امين الدولة وابن يغمور اليه وخرجوا وتاخر هو وقعد الوزير امين الدولة وابن
يغمور في القلعة وامروا ونهوا فلما جاءت الاخبار الموكدة بعكس ما طار اليهم به
اول الخبر امر المعز بقتل ابن يغمور وشنق امين الدولة واطلاق الكردي فاطلق
الكردي وقتل ابن يغمور وشنق امين الدولة قال ابن ابي اصيبعة
وحكي لي من راه لما شنق وعليه قندورة عتابي خضرا وفي رجله سرموزة قال
ومن العجايب ان امين الدولة لما حبس ارسل الى منجم بمصر كانت له اصابات لا تخرم
وساله عما كان وما يكون من حاله فاخذ طالع الوقت ورسمه ثم قال يخلص هذا من
الحبس ويخرج منه فرحا مسرورا ويبقى له امر مطاع يمتثل فيه امره ونهيه ففرح

فلما جاءه ذلك الخبر ظن انه يبقى وزيرا بمصر فتم له ما ذكره المنجم في يوم خروجه
ثم لم يعلم ما يجري له بعده وكان ذلك في الكتاب مسطورا

ومنهم المهذب الدخوار ابو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد طبيب
نهض به طب العناصر ونهى علمه ان تعقد على غيره الخناصر كان في الحكماء علما
وفي اثبات الحكم قلما عز وجوده وقلما فاض اناوه وآض اجتناوه وكان لفروع
الطب شجرة يكاد زيتها يضيء ويقال في ظلها ويفيء كانما جالس ارسطاطاليس وجال
مع تلك الجماعة في تقرير تلك النواميس ولهذا اشتهر وملا العيون وبهر وكان ممن
يستنصح برايه ويستصبح بذكايه هذا الى خط اوتيه وحظ كان يواتيه
قال ابن ابي اصيبعة انتهت اليه رياسة صناعة الطب ومعرفتها على
ما ينبغي ولم يكن في اجتهاده من يجاريه ولا في علمه من يماثله اتعب نفسه في الاشتغال
وكد خاطره في تحصيل العلم حتى فاق اهل زمانه وحظي عند الملوك ونال من جهتهم
من المال والجاه ما لم ينله غيره من الاطباء وكان في مبدا امره كحالا وكذلك كان اخوه
حامد بن علي وكان الدخوار يكتب خطا منسوبا ونسخ الكثير وقرا النحو على الكندي
والطب على الرضي الرحبي ثم لازم الموفق ابن المطران ثم اخذ عن الفخر المارديني
لما قدم دمشق وخدم الملك العادل ابن ايوب ثم لم يزل يسمو منزلته عنده حتى صار
جليسه وصاحب مشورته وظهرت له منه نوادر في تقدم المعرفة منها ان العادل
عرض له مرض واشار الدخوار عليه بالفصد فلم يوافقه بقية الاطباء على ذلك
فقال لهم والله ان لم يخرج دما والا خرج الدم من غير اختياره فما مضى ايسر وقت
حتى طفر الدم من انفه ورعف رعافا كثيرا وصلح فعلم انه ليس في الكل مثله
ومنه انه كان يوما على باب دار السلطان في جماعة من الاطباء اذ خرج خادم
ومعه قارورة جارية ليستوصف لها الشيء شكت منه فلما راوها وصفوا لها ما حضرهم

فقال الدخوار ان هذا الذي شككت منه ما يوجب صبغ الماء هكذا ويوشك
انه من حناء اختضبت به فقال له الخادم نعم تخضبت بحناء فاخبر العادل بذلك
فتزايد حسن اعتقاده فيه ∴ ومن احسن ما يوثر عنه ان الملك العادل
كان قد غضب على قاضي القضاه محيي الدين ابن الزكي لامر نقمه عليه وامر باعتقاله
بقلعة دمشق الى ان يزن عشرة الاف دينار مصريه وشدد عليه فاقام في السجن
والمطالبه ووزن البعض وعجز عن البقية وقال السلطان ان لم يزن والا عذبته
فتحير القاضي وباع جميع موجوده واثاث بيته حتى الكتب التي له وتوسل الى السلطان
بكثير من الامراء والخواص في المسامحة او التقسيط فلم يقبل فاتى الدخوار
اليه ليتفقده لمودة قديمة بينهما فشكا اليه حاله وما قد تم عليه فوعده بالمساعدة
بحسب الطاقة ثم قام فدخل على ام الصالح اسمعيل ابن العادل وكانت ممرضة
فلما دخل عليها عرفها بحديث القاضي وانه مظلوم وسالها في امره فقالت كيف
احدث السلطان في امر من لا اعرفه ولو كان طبيبا يدخل علينا او تاجرا نعامله
لامكن الكلام فيه فقال لها فثم طريق اخر يحصل به القصد قالت وما
هو قال في وقت يكون السلطان نايما عندك تظهرين له انك رايت مناما ما
يقتضي ان القاضي مظلوم وعرفها ما تقول فقالت هذا يمكن فلما عوفيت اتاها
الملك العادل فنام عندها وهي الى جانبه فلما كان اخر الليل انتبهت واظهرت
انها مرعوبة وامسكت فوادها وبقيت ترتعد وتتباكى فانتبه السلطان وقال
لها ما لك وكان يحبها حبا كثيرا ثم جعل يرش عليها من ماء الورد وقال لها ما الذي
بك فقالت رايت مناما عظيما هالني وكدت اموت منه وهو اني رايت كان القيامة
قد قامت في بهو عظيم وبه خلق عظيم ونيران كثيره تشعل وناس يقولون هذه
للملك العادل لكونه ظلم القاضي ثم قالت قط فعلت بقاض شيا فما شك في قولها وانزع

ثم قام لوقته وطلب الخدام وقال امضوا الى القاضي وطيبوا قلبه وسلموا عليه عني
وقولوا له يجعلني في حل مما تم له وان جميع ما وزنه يعود اليه وما الطالبه بشي ثم لما
اصبح امر له بخلعة كاملة وبغلة واعاده الى رتبته واعاد اليه جميع ما وزنه واسترد
له ما باعه وقال مرض العادل بالشرق مرضا صعبا وولي علاجه
الدخوار الى ان بري فلما عوفي حصل له نحو سبعة الاف دينار وبعث له اولاد العادل
وساير ملوك الشرق واكابر الامراء الخلع والبغال باطواق الذهب وغير ذلك ∴
ومرض الكامل فعالجه فلما برا حصل له نحو اثني عشر الف دينار واربعة عشر
بغله باطواق الذهب وخلع كثيره من الاطلس وغيره وولي ذلك الوقت رياسة
الاطباء وخدم مرة الاشرف واعطاه اقطاعا جليلا ووقف دارا بدمشق بالمناخليين
مدرسة على الطب ووقف عليها عقارات له

ومنهم الرشيد علي بن خليفة بن يونس ابن ابي القاسم بن خليفة
الانصاري الخزرجي من ولد سعد بن عبادة رضي الله عنه طبيب لو شكا اليه
البرق اختلاف نبضه لابراه او حاول منه الرعد ما في صحف النهر لاقراه من
اسرة سارت بهم الامثال وسراة اسفا على عقدهم كيف انثال اراق الكرى
عن كؤوس اجفانه وجعل طوارق السهاد من ضيفانه همة يقظ وعزمة متحفظ
حل بها اجل الرتب وجلا بها عن الجسوم الريب وكان لا يفقد السبات
ولا يخرج الى حد الاعنات لعلاجه بالملايم واحتجاجه بما يكفي الملاوم هذا الى
تفنن في علوم اخر وفضايل كانها البحر اذا زخر ومحاسن لو اراد بها الفخر ∴
قال ابن ابي اصيبعة انه عمه وانه ولد بحلب سنة تسع وتسعين
وخمسمايه وقال ان جده المعروف بابن ابي اصيبعة كان قد توجه الى مصر اذ
استقلت بها الدولة الصلاحيه وان الشهاب يوسف الكحال وابن ابي الحوافر كانا

اصدقآيه فلما اتيا مصر اشار عليه باشتغال ولديه في الطب يعني المورخ عمه هذا
واباه فامرهما بملازمة ذينك الرجلين وان اباه اكثر الاخذ عن الشهاب يوسف
ثم قرا علي الرئيس موسى واهل طبقته وان عمه كان اول اشتغاله علي ابي التقي
صالح بن احمد المقدسي ثم لازم ابن ابي الحوافر وكان اذذاك رئيس الاطباء في ايام
العزيز ثم باشر المرضى بالمارستان ثم اخذ صناعة الكحل عن النفيس بن الزبير
وقرا علي عبد اللطيف البغدادي وكان يشتغل بالسديد المنطيقي واشتغل بعلم
النجوم واخذ الموسيقي عن ابن الدعو المصري وعلي بن السان ثم اجتمع باعيان
المصنفين فيه ثم لما عاد ابوه الي الشام انتقل معه واجتمع بمن به من المتعينين
وباشر المارستان النوري ثم خدم الامجد صاحب بعلبك ثم خدم العادل ثم المعظم
ثم الناصر ابنه وتوفي في الثاني والعشرين من ربيع الاخر سنة ست عشرة
وست مايه ودفن بمقبرة باب الفراديس ؛ ومن كلامه قوله ما احسن الصبر
لولا ان النفقة عليه من العمر وقوله الاصدقآء كنفس واحدة في اجساد
متفرقة وقوله المال مغناطيس انفس الجهلآء والعلم مغناطيس انفس
العقلآء وقوله القانع مساعد علي بلوغ ماربه ؛ ومن شعره قوله

يا صاحبي سلا الهوى وذراني كفا الملام عن المحب العاني
لا تسالاه عن الفراق وطعمه ان الفراق هو الممات الثاني
نادى الحداة دنا الرحيل فودعوا ففجعت في قلبي وفي خلاني
وبكيت وجدا بعد ذاك فلم يفد اني وقد صار اللقآء اماني

وقوله

ارايتما يا صاحبي فتى له ذل الاسود تذله الغزلان
ما كنت ممن يسترق فواده عشق ولكن الهوى سلطان

ومنهم ابن قاضي بعلبك المظفر بن عبد الرحمن بن ابرهيم الحكيم الفاضل
الملاطف بدر الدين ابو النابيد فاق في علم وقرآءة وفهم تقدم به والناس وراه قدمه
فضله واستحقاقه ونبله الذي ضرب علي زنى المجرة رواقه ولحق في اوانه بجلة
الرؤسآء وحل من ايمة زمانه محلة الجلسآء وسبق اهل جيله حيث لا يلحقه احضار
وخلق مع ابنآء جنسه الا ان طينته جبلت من معدن النضار ولم يعالج عليلا
ثم اصبح ببقايه لعيش ينتفع ولا دافع مطل الا ثم اضحى بملاطفته لا ينتفع وكان
لا يطب الا بالاهون علي العليل والاحب اليه وان كان النفع به من القليل
علي انه البحر الذي لا يشق له غباب والوقوف عليه اذا لم يوجد باب والقيت
عليه من الله محبة لم ير الا من شغف بحبه وشغل بطبه وفضله علي كل نكرة
ومعروف وكل ذي طب يسترح نظرا باحسان ويمسك يدا بمعروف ولم الحق
احدا من الكبرآء واهل العلم الا من كان يحسن عليه الثنآء ويحلو باوصافه الحسنآء
قال لي عمي الصاحب شرف الدين ابو محمد عبد الوهاب رحمه الله هو اخر الاطبآء
الذين رايتهم عيني وسالت عنه شيخنا شهاب الدين ابا الثنآء الحلبي فقال كان يقال
هو جالينوس وقته ثم اخذ في وصفه وذكر ما كان عليه من حسن الملاطفة واحسان
العلاج قال ابن ابي اصيبعة كان ابوه مجد الدين قاضيا ببعلبك ونشا
هو بدمشق واشتغل بها في الطب علي المهذب عبد الرحيم بن علي وجمع له العلم
الغزير والذكآء المفرط والمروة التامه وكانت له همة عالية في الاشغال ونفس
جامعة لمحاسن الخلال وكان لا يخلو له وقت من التزيد في العلم والعناية بالمطالعة
والفهم وكان قد توجه صحبة المهذب لمطالبة الملك الاشرف وخدم بالمارستان
بالرقة وصنف مقالة حسنة في الرقة واشتغل بها في الحكمة علي الزين الاعمي وكان
اماما في العلوم الحكمية ثم عاد ابن قاضي بعلبك الي دمشق فلما طلبها الجواد يونس حظي

عنده وتمكن في دولته واعتمد عليه في صناعته وولاه الرياسة على الاطباء والكحالين والجرائحيه وكتب له توقيعا بذلك فجدد من محاسن الطب ما درس واعاد من الفضايل ما دثر ولم يزل مجتهدا حتى اشترى ادرا كثيرة جوار المارستان النوري وهدمها وبناها واضافها اليه ثم خدم الصالح ايوب وارصد لمعالجة الحرم وجدد له توقيعا بالرياسة على اطباء الشام ثم خدم من بعده من الملوك ولم تتغير عليه عادة مستمرة له ثم تجرد لعلم الفقه وسكن بيتا بمدرسة ابن قليج وكانت جوار داره وتصدى لحفظ القران الكريم ومعرفة القراآت والتفسير وقراءة الفقه وفنون الادب ولازم ابا شامه وداب في العبادة والدين **قلت**

قال لي والدي رحمه الله كان ابن قاضي بعلبك مختصا بصحبتنا وكان يعود من مرض منا ويتولى معالجته وكان لا يرى التعمق في الوصف ولا المداواه بالكريه ويقول ما ينتفع المريض بالكريه بقدر ما يتضرر به لكراهيته له ويقول ما لم يكن من المريض اقبال على الدواء لا تقبله اعضاوه ويقول ربما صار الدرياق سما والدواء داء بافراط كراهية المريض قال والدي رحمه الله وقد ذكره يوما رحم الله ابن قاضي بعلبك لم يكن في زمانه مثله في حسن شكله وسمته وحسن حديثه وصحة صحبته ولطف علاجه وتبرك الاعلاء بمقدمه لرفقه بهم وعدم اكراهه لهم على الكريه وقال دخل علينا يوما ونحن ناكل طعاما فيه باذنجان قد قلي بدهن الاليه فقعد فاكل وكان اكثر الله منه فقلت له يا حكيم الباذنجان مولد للاخلاط السوداويه كما يقال فقال ذلك الباذنجان الاسود الشديد الحرافه فاما هذا الابيض باذنجان دمشق المقلو بدهن الالية فلو راه جالينوس لجعله دواء للسوداء

ومنهم العماد الدنيسري محمد بن العباس بن احمد بن عبيد الربعي

ابو عبد الله رجل يرجع الى كرم خيم وينفع فيه كرم تخييم تفنن في فضايل وتيقن ان كل عظيم عنده متضايل بعزم اطل على النجوم في آفاقها وعلم استخدم السعود باوفاقها ولطف ذات وظرف ادوات وكمال محاسن بجده بلغها واخذ مع توشيع حظه بلغها وقد كان للزمان روجا والى الغايات طموحا وكانت به الايام سوافر ومنه حظ للناس وافر الى ان غشيت المنايا في هامته وصرعته من قامته ووسدته التراب وافسدته على الاتراب وخرس منه لسان كان يجادل وسكن منه متحرك تحت حصا وجنادل ∴ ذكره ابن ابي اصيبعة ولقب اباه بالقاضي الخطيب تقي الدين وقال في عماد الدين هو ذو الاريحية التامة والعوارف العامة مولده بدنيسر سنة خمس وست مايه ونشا بها واشتغل بالطب اشتغالا برع به قال واجتمعت به فوجدت له نفسا حاتمية وشنشنة اخزمية وخلقا الطف من النسيم ولفظا احلا من مزاج التسنيم واسمعني من شعره البديع معناه والبعيد مرماه وهو في علم الطب قد تميز على الاوايل والاواخر وفي الادب قد عجز كل ناظم وناثر وكان قد سافر من دنيسر الى مصر ثم رجع الى الشام واقام بدمشق وخدم الادر الناصرية اليوسفيه بقلعة دمشق والمارستان النوري ∴ ومن شعره قوله

نعم فليقل من شاء عني فانني كلفت بذاك الخال والمقلة الكحلا
فلا تعذلوني في هواه فانني حلفت بذاك الوجه لا اسمع العذلا

وقوله

عذارك المخضر يا منيتي بدا لنا في الخد ثم استدار
فكان في ذاك لنا اية اذ جمع الليل معا والنهار

وقوله

حلفت له لاحلت عن ولهي به وقلبي على ما قد حلفت له حلف
اذا باعني منه الوصال لمهجتي شريت وها قلبي اقدمه سلف

وقولـــه

وحياة ناظره وعامل قده روحي بعارض خده متمململه
هب انني متجن في حبه فعذاره في خده من سلسله

وقولـــه

اذا رفع العود تكبيره ونادى على الراح نادي الفرح
رأيت سجودي لها واجبا ولكن عقيب ركوع القدح

ومنهم العز السويدي ابرهيم بن محمد الانصاري الاوسي من ولد سعد بن معاذ رضي الله عنه عز الدين ابو اسحق طبيب توخذ عنه الصناعه وامام يقدم على الجماعه بز النظراء وشاءها وابعد القرناء وأناءها وتقدم في عصره تقدم استحقاق وعرف علم الطب والطبيعة وما ناسبه معهما ولم يكن مثله في علا ولا شبهه فيمن خلا فشفيت به الاجساد وأمنت مما يعرض للكون من الفساد ورايت من خطه ما كانه ريش الطاوس او عذار الغلام وسالفة العروس لا يقاس به خط قابوس ولا على صحايف النهار اشعة الشموس قال ابن ابي اصيبعة مولده سنة ست مايه بدمشق ونشا بها وهو علامة اوانه واوحد زمانه مجموع الفضايل كريم الابوه عزيز الفتوه وافر السخاء حافظ الاخاء اشتغل بالطب حتى اتقنه ولم يصل احد من اربابه الى ما وصل اليه اخذ عن اكابر الحكماء كالمهذب عبد الرحيم وغيره وقرا في علم الادب وهو اسرع الناس بديهة وكان ابوه تاجرا من السويدا بحوران حسن الاخلاق طيب الاعراق وقال الحكيم عز الدين هو اجل الاطباء قدرا وافضلهم ذكرا واعرف

مداواه وافضل مداراه وانجح علاجا واوضح منهاجا ودرس بالدخواريه وخدم السلطان والمارستان وكتب خطا منسوبا طريقة ابن البواب وخطا بيشيه مولد الكوفي وكل خط احسن من الرياض المونقه وانور من الشموس المشرقه ومن شعـــره قوله

وناسك باطنه فاتك يا ويح من يصغي الى مينه
منزله احرج من صدره وخلقه اضيق من عينه

وتوفي بدمشق في وذفن جوار الشبليه بالشهم الاعلى بتربة اعدها لنفسه

ومنهم الموفق السامري وهو يوسف بن يعقوب بن غنايم بحر طب لم يبق الا من ملا من قلبه ولم يبعد يدا من قربه واثنه الطلبة حتى ملا كل سقاءه واملّ بقاءه وكان لا يعدم منتابا ولا يدع مرتابا ولا يسمح ان يكون احد عنده مغتابا فسعد بحضره جلساوه ووضح الصباح وجلاوه وكان في مثل هذا موفقا وفي نقل الطب موثقا قال ابن ابي اصيبعة فيه رئيس زمانه وعلامة اوانه مولده ومنشاوه بدمشق بارع في الصناعة الطبيه جامعا للعلوم الحكمة قد اتقن صناعة الطب علما وعملا واحتوى على معرفتها تفصيلا وجملا وكان محمود المداواه مشكور المداراه متعينا عند الاعيان متميزا في كل مكان موبدا في اجتلاب الصحة وحفظها على الابدان واشتغل عليه جماعة المتطببين وانتفعوا بفضله المبين وله التصانيف الصحيحة العبارة الفصيحة الاشاره قوية المباني بليغة المعاني وعددها

ومنهم ابو الفرج يعقوب بن اسحق بن القف النصراني بيعة قوم توقد نبراسها ودوحة علم متمرة غفل حراسها فاق بطب له بالابدان

امتزاج وبدان في تعديل كل مزاج فطبب كل داء ولاطف لطف الادواء وكان ذا فهم كاما كشفت له السجف وعلم هو البير الذي لا ينزح وابو القف ولم يزل علي وثبات تقدمه وثبات قدمه حتي قيدت الحتوف خطاه واثقلت المنون مطاه فما استقلت له قدم ولا شبح للموت به قرم ⁘ ذكره ابن ابي اصيبعة وقال مولده بالكرك لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلثين وست مايه وكان ابو الموفق يعقوب صديقا لي مستمرا علي اكيد مودته حافظا لها طول ايامه ودهره تستجلي نفايس مجالسته وتستجلي عرايس موانسته المعي اوانه واصمعي زمانه مجيدا في حفظ الاشعار علامة في نقل التواريخ والاخبار متقدما في علم العربيه فاضلا في الفنون الادبيه استملي في الكتابة علي اصولها وفروعها وبلغ الغاية من بعيدها وبديعها وله الخط المنسوب الذي هو نزهة الابصار والعناية التي لا تلحق في جميع الاقطار والامصار وكان في ايام ابن العزيز كاتبا بصرخد والنجابة تلوح علي ولده ابي الفرج من صغره كما تحقق منه في كبره وافر الذكاء محبا للعلماء فسالني ابوه في تعليمه فقرا علي ما عرف به اقسام الاسقام وجسم العلل ثم انتقل ابوه الي دمشق وخدم بها وسافر معه ولده ولقي العلماء ولازم الفضلاء وقرا الحكمة علي الخسروشاهي والخنوي الضرير وقرا الطب علي علي بن المنفاخ والموفق السامري وقرا اوقليدس علي المويدي العرضي وفهمه فهما فتح به مقفل اقفاله وحل به مشكل اشكاله ثم خدم بقلعة عجلون ثم عاد الي دمشق وخدم السلطان بها ⁘ وذكر الجزري في تاريخه قال سالت ابا الفرج ابن القف عن مرض قاضي القضاة عز الدين ابن الصايغ فقال يموت بعد مدة عينها وعن نفسه انه يموت بعده بمدة عينها فقلت له ايش سبب ذلك فقال القاضي كذب عليه فحصل له مراقيا سوداويه

غارت الي قلبه فتقتله سريعا غيرا اني اشرب الخمر فاظهره الشراب الي ظاهري فاورثني الصفرة في جميع البدن فانا ابقي بعده مدة عينها فاعتبرت قوله فكان كما قال وقلت له انت من كبار الفضلا ولك تصانيف في الطب ما تدفع عنك فقال علة الموت ما لها دوآء وكان يتحسر علي نفسه قلت وانشدني القاسم بن المظفر بن محمود بن عساكر لنفسه اجازة في مرض الحكيم ابن القف المذكور

قيل ان ابن القف اشفي علي الموت ولم يبق منه غير رسيس
ما ترى طبه افاد ولا رد الردي عنه قول جالينوس
قلت كفوا اما سمعتم بما قيل وسارت به حداة العيس
لو نجا الطب فاضلا كان بقراط ولم يعبث الردي بالرئيس
انما غاية الطبيب مع العلة تخفيف ضرها المحسوس
والليالي لها سعود بعفي بعد خير او عاجلا بالنحوس

قال الجزري توفي ابو الفرج ابن القف في سنة خمس وثمانين وستمايه

ومنهم المهذب يوسف كاتب الزردكاش والناس فيه وفي النفيس علي خلاف ولكل واحد منهما فريق يتعصب له ويقطع بتفضيله والانصاف ان النفيس كان اقعد بالعمليات والمهذب كان اقعد بالعلميات لكونه كان يشغله خدمة الامرآء عن المباشرة وكان راس اهل زمانه في التعليم والتقريب الي الافهام وكان جامعا للطب بارعا في فنونه مفترعا لابكاره وعونه وكان يربا بنفسه عن التمحض للاسترزاق بالطب وكانت له بلالة من الرزق تعله وقليل من متاع الدنيا يغنيه قله ونشات له عدة

وافرة من التلاميذ وتقدموا واشتهروا باسمه وبانتسابهم اليه والى اشتغالهم عليه وهو والد الحكيم الفاضل غنايم الآتي ذكره والوافي بحب شكره

ومنهم النفيس ابو الفرج ابن اسحق ابن ابي الخير الشامري

طبيب جرى في مجال جالينوس وتقدم وان جاء بعد اسقلبيوس لوراه الدخوار الحار او الرئيس صاحب الدلالة الجار او ابن التلميذ لتلمذ لطبه او الرحبي لرحب به وفقد حاسة بصره لا بصيرته وجناه الكبير وهو على وتيرته ولم يبق في وقته من اكابر الاطباء الا من كان يحسده على فضله ولا يسعه الا الاعتراف فاذا اراد التنقص به لا يجد سبيلا اكثر من انه يقول انه فقد حاسة البصر وبها كان يرى السحنة التي يستدل بها ويرى بها العلامات وكان جل زمانه للاقراء والاشتغال في علم الطب وفروعه والتوقيف على دقايقه والاجادة في حسن التعليم والتفهيم والتوقيف والتثقيف فانشا اهل ذلك الجيل وتخرجوا عليه حتى تاهلوا وبرعوا في الطب وزكوا واذن لهم في الطب والتصرف ولهم من عذبه الزلال استقوا ومن شعبه ذي الاظلال ارتقوا وكان النفيس رايض الاخلاق طويل الروح كثير الاحتمال كان للامين سليمن رئيس الاطباء بمصر لفتات عليه ويتنقص به ويسمعه القبيح ويفاجيه بالصريح وهو لا يبالي ولا يتقلقل بكلامه ولا يتكثر وعلماء الدهر وفضلاء العصر كلهم على خلاف قول الامين سليمن فيه ويصفه بالفضل كل طبيب فاضل وفقيه ولما كبر انحنى ظهره وتاطر زججه فلما احدودب كان يقال له صندوق العلم يسميه بهذا عامة الناس ويعتقد فيه الفضل ويشهد له جمهور الخلق من عرفه منهم ومن لم يعرفه بالتقدم في الطب والتبريز على كل معاصر وكان له تفقه في الطب وآراء في المداواه

وتفنن في العلاج ولم يزل مشارا اليه الى ان هلك ومتبوعا في الطب اية سلك

ومنهم الامين سليمن الحكيم وهو سليمن بن داود امين الدين

ابو الربيع رئيس الاطباء بالشام لحق بالاوايل وعرف العلم بالدلايل لو عالج المعتذر لازاح علله او شاء اصلاح ما بين الافقين لسد خلله لم يتقدمه جالينوس الا بالزمان ولا ابن سيناء الا بكثرة الادمان نبي به كل من تقدم ونسب اليهم من الفضل ما قدم . قرا على العماد الدنيسري والعز السويدي والموفق الشامري واخذ عن تلك الطبقه الا انه كان الى الدنيسري اشد انقطاعا واليه صارت كتبه وعليه وقف املاكه وكان وارث علمه وماله وخلفه في كل احواله وكان منه اصل ثروته وما حصله واثره واثله . وكان من ابناء النصارى وحكي من راه في حال صباه وغصنه رطيب ومفرقه كله مسك وطيب وخده مصقول السوالف وطرفه اما ساحرا و سايف ولاهل بلده به فتون وفي كمده فنون والدنيسري قد اعتلقه وخيل اليه دوام الحياة بقربه فاعتنقه قال وكان على هذا لا يخلو منه للحكماء ملعب ولا للعلماء ندي فضل به يستوعب فلما صارت اليه الرياسه وسارت به النفاسه قال بعض حسده

يا معشر الحكماء لا تسخطوا لعظيم ما قدمته في ذا العالم
هذا سليمن بن داود الذي نال الرياسة دونكم بالخاتم

قلت وانما نبح القمر وعارض ادنى البحر وهيهات ان تغطى السماء بالسحاء او يضار في رويته ذو نظر فلقد كان فردا في

الزمان منقطع القرين معدوم النظير شارك في الحكمة وبرز في علم الطب
وصار علما فيه وتقدم باستحقاق والقي عليه القبول ومال اليه الحقير
والجليل واقتصرت علي طبه الاكابر ومالت اليه العلماء واثني عليه شيخنا
ابن الزملكاني وحصلت بينه وبين ابن الوكيل منافره ثم اتفق لابن
الوكيل ان ركب للافرم نايب الشام سفوفا يعينه علي الهضم ويسهله
فلما اخذ منه الافرم افرط به الاسهال ووثب مماليك الافرم بابن الوكيل
ليقتلوه فاتي الامين سليمن وكفهم عنه ثم دخل علي الافرم واعتبر اعراضه
ثم اعطاه امراق الفراريج وشرع في اعطاء المسهلات له واستفرغه
حتي كمل اخراج تلك المادة التي اندفعت ثم اعطاه المقبضات والممسكات
فبرا وافاق **قلت** وانما اعطاه اولا المسهلات مع وجود الاسهال
لانه راي السفوف قد هيج مادة ردية ولم يتم اندفاعها وان انحباس بقيتها
مفسد للبدن فاستعمل استفراغ تلك المادة الردية ثم امسك ما سواها
وهذا من محاسن العلاج وله غير هذا من الغرايب والعجايب في صناعة
الطب منها ان بعض بني صصري كان يشكو نزلة متقدمة
به لا تزال تعاوده ويلتاث حسه ببقاياها فشكا اليه ما يجد منها فامره
بالحمية وتعهد الحمام حتي لطف اخلاطه ثم اخرجه من الحمام وكشف راسه
عقيب خروجه منه حتي نزلت به نزلة اخري ثم استمر به علي الحمية وشرع
في معالجته واعطاه المسهلات حتي استفرغ مواد تلك النزله واندفعت
معها مواد النزلة القديمه وبرا الرجل وافاق ومنها ما حكاه لي
الشيخ احمد بن براق قال كنت عند الامين سليمن فاتي رجل قد حصل له
ورم في وجهه وقد تلون بالحمرة والزرقة فلما رمي عمامته عن راسه وكانت

عمامة كبيرة وبقي الرجل يخاف من البرد وسليمن يقول له ارمها بلا افتشار
ثم امر بسطل من الماء البارد فصبه علي راسه وكان الفصل شتاء ثم
نقله الي المرستان وشرع في معالجته وسئل عن هذا فقال كانت قد تحركت
مادة في دماغه اردت ان اجمدها قبل ان تنصب جملة واحدة **قلت**
وقد تقدم مثل هذا عمن تقدم وله كل معالجة طايلة وحدس صحيح وتجربة
محققة ؛ ولما مرض اسندمر الكرجي وهو في نيابة طرابلس حارت فيه
الاطباء فاستدعاه واستطبه فبرا بقدرة الله علي يده فغمره بالاحسان وحصل
له منه ومن حاشيته نحو اربعين الف درهم ما هو دراهم وقماش وغير ذلك
ثم عاوده المرض فاستدعاه فطببه وبرا فحصل له منه نحو عشرين الف درهم
وحكي لي انه كان اقل ما يدخر في كل يوم دينار من الذهب بعد
كلفه وساير نفقته وانه علي هذا منذ بلغ عشرين سنة من العمر والي اخر
وقت ؛ وكان صحيح الاسلام حسن المعتقد جميل اليقين وحج مرات الي
البيت الحرام وزار النبي صلي الله عليه وسلم وكان اذا اتي المدينة الشريفة
لزم المسجد واكثر الصلاة ؛ ولم يزل علي رتبته ومكانته حتي سعي عليه
عند تنكز نايب الشام وغير عليه خاطره هذا الي ما كرهه منه من
قوة النفس وكثرة الجراة والاقدام فعزله عن الرياسة وحطه عن رتبته
واغري بذمته والتنقص به وقام عبد المولي اليهودي لعناده ورماه
سليمن بالبرص وكشف فلم يصح قوله فيه وولي عوضه جمال الدين محمد
ابن الشهاب الكحال فجرت بينهم عواصف وتمت بينهم مع تعمد الظلم مناصف
ونامت علي بغضاء تنكزله الايام والليالي ثم عطفته عليه عاطفة الرضي
فاقبل عليه ولاكل الاقبال واستصحبه في سفرة كنت فيها الي جهة غزة ولما

اتينا فاتون اتينا بانواع من الطعام فيها من السمك واللبن فقلنا له من
ايهما ناكل فقال انا طبيبكم وكلوا ما اكل ثم اكل من السمك واكلنا معه حتى
كاد يشبع ثم ثرد خبزا في اللبن واكل منه بالملاعق واكلنا معه ثم قال علينا
بالمصلح فقلنا ما هو قال العسل فاتينا به فلعق منه لعقا كثيرا ولعقنا معه
ثم مكث ساعات ثم امر فعملنا شرابا من السكر والليمو فشرب
وشربنا معه ثم قال عملنا اليوم بطب الهند قالوا اما ان يكون احدهما
ابرد من الاخر او هما سواء في الدرجة فان كان احدهما ابرد من الاخر
فالاخر مصلح له فان كانا سواء في الدرجة كنا كمن اكل من شي واحد
واستكثر منه ؛؛ ثم طلب الامين سليمان الى باب السلطان ولحق
به لتطبيب القاضي علاء الدين ابن الاثير كاتب السر رحمه الله من فالج
اصابه فجاءه وطبه فلم ينجح وسعى لامر فما انجح ولم يقع من السلطان بموقع
ولا لقي اطباء الحضرة بما يجب فتقهقر وذم واعيد الى دمشق مبرقع
الوجه بالخجل خايب الظنة والامل ؛؛ ثم عقد له مجلس بحضرة تنكز لدواء
وصفه لابنه وكان قد جمد اللبن في معدته فوصف له انفحة الجداي فانكرت
الاطباء ذلك فادعى الصواب وحضر المجلس المعقود له اعيان الفقهاء
والحكماء وطولب بالنقل فاحضره فلم ينهض بصدق دعواه وعلى
هذا فلم ينقم عليه تنكز على كراهيته له وتوفي في

ومنهم احمد بن شهاب الدين ابو محمد الكحال الجرايحي

ذو يد في صناعته ولسان واساءة لاعمال يديه واحسان جرى ممتد
الارسان واتخذ يدا عند كل يد وصنيعة عند كل انسان وكان رب
علم يدرس وينسخ وعمل يقطع لاجل ميل منه مائة فرسخ فطالما تبصر

من عمي وحقن دما اذ اراق دما بعلاج كم جبر من كسر واطلق من اسر
وظهر باشتات من المحاسن جمع منها عديدا وجعل سيف النظر بالجلاء
مجوهرا وكان جديدا هذا الى خبرة بمفردات الاكحال وتركيبها ومجمعات
اجزايها وتركيبها فكم سوى منها ما اخلق وداوى رمد العين وقد خلق
الانسان من علق

ومنهم الفتح السامري هو ابن يوسف بن اسحق بن مسلم من
سبط يوسف عليه السلام هو اخر من بقي في الاقليمين وصلح للتعليمين
برع في الحكمة على اطلاقها واعرف عن بدايع اخلاقها واتقن فروع الطب
حتى اصبحت به فروعها مثمره واغصانها على اصول الحكمة نضره
وقرا جانبا من النحو اقام به اود اللسان وقام به في جدد الاحسان
وكتب خطا ما خشي عثير الاصداغ وسلك طرقا من العبارة لها من
نطف القلوب مساغ ؛؛ قرا الطب على النفيس السامري وغيره وتخرج
مع سلف الاطباء وزاحم بقايا تلك القرن وطبب وعالج وظهر حسن
اثره وعرف يمن علاجه واثنى عليه الافاضل وشهدت له الاطباء
بالاجادة وكان شيخنا ابن الزملكاني يقول ما رايت في المسلمين اصح
من ذهن البرهان الزرعي وفي غير المسلمين من ابي الفتح السامري
قلت له مرة فايهما اصح ذهنا قال ابو الفتح وكان رحمه الله يدع مشاهير
الاطباء في زمانه ومنهم الامين سليمن وهو اصدق صديق له واصحب
صاحب يعتمد عليه ويطلب الحكيم ابا الفتح ويستطبه واذا حضر هو
وغيره من الاطباء وهم كهول وهو شاب ترك اقوالهم واتبع قوله وجعل
عمدة طبه عليه وحكى لي ولده تقي الدين عبد الرحمن قال مرض

اني مرضةً استشعر في مبادِيها انها ستطول به مدتها وتثقل عليهِ فطلبني
وقال يا بني انا ما اعتمد في الطب الا علي ابي الفتح السامري فان ثقل بي المرض
وغاب ذهني عني بالحمي او غير ذلك لا تعدل بي عن طبهِ ومعالجتهِ واياك ان
تغترّ وتميل الي قول سِواه فان ابا الفتح صحيح الحدس في معرفةِ المرض وعليهِ
ربّ المداواه قال وكان كثير الثناء عليهِ ولما كنا بحلب كان يقول اذا ذكر
دمشق وحسنها يقول كيف لا اتاسف علي دمشق وفيها ربيت ونشات
وفيها مثل ابي الفتح وكان لا يزال يشتاق اليهِ ويتاسف عليهِ **قلت**
والحكيم ابو الفتح هو اليوم واحد زمانه منقطع القرين ما له نظير في معرفة
علم الطب وحسن العلاج ولطف المداواه الي حسن الوجهِ والشكل والعبارة
والخط وما عليهِ من القبول مع اذعان كل حكماء زمانهِ واطباء دهرهِ له بالتقدم
والتفرّدِ وحدهُ في الرتبة والمكانِ وما خلا الوقت ومثله موجود في الزمانِ

ومنهم عنايم السامري

وهو ابن المهذب يوسف كاتب المزردكاش
ملاطف ملاطيف كل جفن من كري وعدل مزاج الزمان فلم يدع منكرا
ابطل ذِكر ابن بطلان واسخط علي علي بن رضوان واتي بما لو راه ابن ماسويه
لمسّه الاعجاب او حنين بن اسحق لما وسعه الان يتستر بما طال من الثياب
قرا علي أبيهِ المهذب واخذ عن النفيس واذن له في الطب وتصرف وطبب
واشتهر بالعلم والاستحضار للنقل والمفردات والعلاج الحسن والملاطفة
التامة وغرايب المداواه وهو ممن تزهي به دمشق وتستطيل في الفخار
مع ما طبع عليهِ من اناءة ورفق وتودد وحسن تبصر ومعرفة لا تقصر ورايت
من يرجحهُ علي ابيهِ ويصفه ويبالغ فيهِ والناس فيهِ وفي الحكيم ابي الفتح علي
قولين وعلي الجملة فابن مثلهما اين

فاما أطباء الغرب بما وقع في جانبه من مصر والاسكندريه

فمنهم اسحق بن عمران

حلّق تحليق العقاب وحل حيث لا يعاب
واتي ديار مصر فكان زلالا واتي بلاد المغرب فكان هلالا فطاب به الواديان
وكان كقاب قوسين منه الواليان واستوطن افق المغرب وشمسه ما
اذنت بافول وشهبه ما آن لقلايصها قفول ثم كان يتشوق العراق وبرد
نسيمه وورد تسنيمه ولكن لم تدن له الاماني ولم تدن لسعيهِ المتواني
ولم يتمناها الا حين لا اوان وحيث دنت وقد حيل بين العير والنزوان
قال ابن ابي اصيبعة كان طبيبا مشهورا وعالما مذكورا ويعرف
بسم ساعه قال ابن جلجل كان مسلم الدين بغدادي الأصل بعث اليه
ابن الاغلب الف دينارٍ وراحلة وكتاب امان بخط يدهِ انه متي احب الانصراف
الي وطنهِ انصرف واستجلبه حتي دخل افريقيه علي شروطٍ ثلثةٍ لم يف له بواحدٍ
منها قال وبه ظهر الطب في الغرب وعرفت الفلسفة وكان خبيرا بتاليف
الأدوية المركبه بصيرا بتفرقة العلل اشبه الاوايل في علمهِ وجودة قريحتهِ
استوطن القيروان حينا والف سكنه والف فيه كتبا منها كتابه في داء
الماليخوليا لم يسبق اليهِ ثم توحش له ابن الأغلب فصلبه وكان السبب
ان ابن الأغلب كان نهما وكان اسحق يمنعه من كثيرٍ من المآكل فقدم عليهِ حاذق
يهودي من الاندلس فكان يخالف اسحق فيما يشير به علي ابن الاغلب فقدم اليهِ
يوما لبن وكان يشكو ضيق نفس فنهاه اسحق عن اكلهِ وهوّنه اليهودي عليهِ
فاكله فعرض له في الليل ما اشرف منه علي الهلاك فارسل يقول لاسحق هل
عندك فرج فقال لا فقيل له هذه خمس مايه دينارٍ وعالجه فابي فلم يزل حتي اوصل
الي الف دينارٍ فاخذها واطعمه الثلج حتي امتلا ثم قياه فخرج جميع اللبن وقد تجبّن

ببرد الثلج فقال له اسحق ايها الأمير لو دخل هذا اللبن انابيب رئتك وتجمع فيها اهلكك بضيق النفس لكنني اجهدته واخرجته قبل وصوله فقال ابن الأغلب باع والله اسحق زوجي في النداء اقطعوا رزقه فخرج اسحق الي مكان من رحاب القيروان وصار يكتب الصفات كل يوم بدنانير كثيرة فقيل لابن الاغلب طردت اسحق اودللته علي الغني فسجنه فتبعه الناس الي السجن يستوصفونه فاخرجه ليلا ثم كانت له معه حكايات ومعاتبات احنقته عليه ففصده في ذراعيه حتي مات ثم صلبه ومكث حتي عشش في جوفه الطاير

ومنهم اسحق بن سليمن الاسرايلي ابو يعقوب المعروف المشهور والمالوف طبه المشكور طالما وهب الكواكب النقاض نومه ومنح الغياهب النقاض يومه وداني العلياء لوحفظ لسانه ولفظ الا احسانه لم يسلم من عثرات لا تقال وتحفظ ولا تقال لعجلة كانت له خلقا وكالت بالمكابيل عليه الشقا فلم تخل من ملام وكلام مثل كلام قال ابن ابي اصيبعة كان طبيبا فاضلا بلبغا عالما مشهورا بالحذق والمعرفة جيد التصنيف عالي الهمة وهو الذي شاع ذكره وانتشرت معرفته بالاسرايلي وهو من اهل مصر وكان يكحل في اوليته ثم سكن القيروان ولازم اسحق بن عمران وتلمذ له وخدم المهدي عبيد الله بالطب وعمر الي ان نيف علي مايه سنة ولم يتزوج امراة ولا اولد ولدا وقيل له ايسرك ان تخلف ولدا فقال اما اذا بقي بعدي كتاب الحميات فلا يعني ان بقاء ذكره بهذا الكتاب الذي صنفه اكثر من بقاء ذكره بالولد ويروي انه قال لي اربعة كتب تحيي ذكري اكثر من الولد وحكي قال لما قدمت من مصر علي ابن الاغلب بعث الي بخمس مايه دينار فقويت بها علي السفر فلما وصلت دخلت عليه ساعة وصولي فسلمت عليه بالإمرة

وفعلت ما يجب ان يفعل للملوك من المتعبد فرايت مجلسه قليل الوقار والغالب عليه حب اللهو فابتداني بالكلام فقال ابن حبيش المعروف باليوناني يقول ان الملوحة تحلو قلت نعم قال ويقول ان الحلاوة تحلو قلت نعم قال فالحلاوة اذن هي الملوحة والملوحة هي الحلاوة فقلت ان الحلاوة تحلو بلطف وملايمة والملوحة تحلو بعنف وتمادي علي المكابرة واحب المغالطة فلما رايت ذلك منه قلت له انت حي قال نعم قلت والكلب حي قال نعم قلت فانت الكلب والكلب انت فضحك ضحكا شديدا فعلمت ان رغبته في الهزل اكثر من الجد قال فلما وصل داعي المهدي الي رقاده اداني وقربني وكانت به حصاة في الكلي فعالجته بدواء فيه العقارب المحرقة فجلست ذات يوم مع قوم من كنانة فسالوني عن صنوف من العلل وبقيت كلما اجبتهم لا يفقهون قولي فقلت لهم انما انتم بقر فبلغ الخبر داعي المهدي فقال لي تقابل اخواننا المومنين بما لا يجب وتالله الكريم لولا انني اعذرك بانك جاهل بحقهم وبما صار اليهم من معرفة الحق واهله لاضربن عنقك

ومنهم احمد بن ابرهيم ابن ابي خالد المعروف بابن الجزار القيرواني ابو جعفر طبيب كان في فعله محمودا وعلي فضله محسودا يكاد طبه يدافع الآجال ويضيق علي جالينوس المجال الي دقايق اخري وحقايق القت له الي الاخري مع رتبة لو انها للنجوم لتقرطت باشنافها او بالعلوم لما كانت الا لأشرافها وكان لا يشمخ الكبر بعرنينه ولا يطمع البير في دخول عرينه وانما كان يتحلي بالانفاع ولا يروع بفصال له من صاع ثم سكن الترب مضجعا وساء شامتا ومتوجعا وامسي رهين عمله وضمين الياس لانقطاع امله قال ابن ابي اصيبعة طبيب بن طبيب ابن ابي طبيب ممن اخذ

عن اسحق بن سليمن وكان من اهل الحفظ والتطلع والدراسة في الطب وساير
العلوم حسن الفهم لها قال ابن جلجل كان قد اخذ لنفسه ماخذا
في سمته وهديه وقعده ولم تحفظ له زله ولا اخلد الى لذه وكان يشهد الجنايز
والاعراس ولا يركب الا الى المهدي عبيد الله والى عمه ابي طالب فانه كان
له صديقا حميما واليفا قديما وكان ياتيه في كل يوم جمعة وكان ينهض في كل عام
الى رباط البحر فيكون طول مدة القيظ وعالج ولد النعمان القاضي فبعث اليه بمنديل
مملوه كسى وثلثمايه دينار فلم ياخذ شيا فقيل له رزق ساقه الله اليك
فقال والله لا كان لرجال معد قبلي نعمه وعاش نيفا وثمانين سنة وترك اربعة
وعشرين الف دينار وخمسة وعشرين قنطارا من كتب طبية وغيرها
ومنهم حمدون اثا شفي المرض بطبه وهون عن المريض هم خطبه
واحسن علاجا واحسب في ليل المساءة ابتلاجا وسلك من طرق القدماء احسنها
واجل من رمق الذماء احصنها وكان لا يكره على مر الدواء ولا يضيق في
علاج الداء لمعرفته بالابدال وقدرته اذا جد الجدال فلم يزل محظيا ولم
يبرح في قومه رضيا قال ابن ابي اصيبعة كان في ايام محمد بن عبد الرحمن
الاوسط وكان حاذقا مجربا وكان صهر بني خالد وله بقرطبه اصول ومكاسب
وكان لا يركب الدواب الا من نتاجه ولا ياكل الا من زرعه ولا يلبس الا من كتان
ضيعته ولا يستخدم بلاده الا من ابناء عبيده
ومنهم يحيى بن اسحق حكيم لم يكذب صدق حدسه ولا خفي غامض
على حسه كان بصره منورا ونظره لخفايا البواطن متصورا ولهذا قرطس سهمه
وقرط بالثريا اسمه وسبق ذكره النجوم وقطعها وسار في جميع الارض كانه
اقطعها وكان اهل زمانه بها دونه تهادي الرياحين ويظنون انهم يحيون

به الى حين وهيهات فيم يفخرون وهيهات اذا جاء اجلهم لا يستقدمون ساعة
ولا يستاخرون ذكره ابن ابي اصيبعة وقال كان طبيبا بصيرا بالعلاج صانعا
بيده وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر بمكان الثقة وكان يطلعه على الكرايم
والحرم وكان قد اسلم قال ابن جلجل عن رجل كان بباب داره اذ اتى
بدوي على حمار وهو يصيح فخرج اليه وقال له ما بالك يا هذا فقال ايها الوزير ورم
في احليلي منعني من النوم منذ ايام كثيرة فقال له اكشف عنه فكشف فاذا
هو وارم فقال لرجل كان مع العليل اطلب له حجرا املس فاتاه به فقال ضعه على
كفك وضع عليه الاحليل ففعل فلما تمكن احليل الرجل من الحجر جمع الوزير يده
وضرب على الاحليل ضربة غشي على الرجل منها وجرى من الاحليل صديد الدم الى
ان نزف ثم فتح عينيه وبال البول فقال له اذهب فقد بريت وانت كنت قد عبثت
فاتيت بهيمة في دبرها فصادفت شعيرة من علفها فلحجت في عين الاحليل فورم
لها وقد خرجت الآن في الصديد فقال الرجل قد كان ذلك مني واقر بفعلته
ومنهم ابو داود ابن جلجل وهو سليمن بن حسان المعروف بابن
جلجل حكيم فاض بحره التيار وفات سرى الكواكب ذكره السيار وحام
على المجره ووردها وجفا بطبه بنات نعش ووادها ولج على عارض الحرارة واطفا
موقدها وحل مجالس الملوك وحل عقدها وخزي به المرض واكتئب وحصل
بصناعته الاموال واكتسب ولم يكن ممن يتهور في اقدام ولا يتصور ان ينقل
الى ذي سفالة اقدام فكان مدة حياته موقرا لا يطا اخمصه الا حريرا وعبقرا
قال ابن ابي اصيبعة كان خبيرا بالمعالجات جيد الصرف في صناعة
الطب وكان في ايام هشام المويد وخدمه وله اعتناء بقوى الادوية وفسر اسماء
الادوية المفردة من كتاب دسقوريدس العين زربي وافصح عن مكنونها

واوضح مستغلق مضمونها وهذا الكتاب ترجمة اصطفان ايام المتوكل وفسّر
من مفرداته ما عرف له اسم في اللغة العربية وابقي اسم ما لم يعرف له اسم
قال واهدي ارمانوس صاحب القسطنطينية الي عبد الرحمن الناصر
هدايا جليلة عظيمة المقدار منها كتاب ديسقوريدس مكتوبا بالاغريقي وهو
اليوناني مصورا بالتصوير الرومي العجيب وكتب الي الناصر يقول له ان هذا الكتاب
لا تجتني فايدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف اشخاص
الادوية فان كان في بلدك من يحسن هذا فزت بفايدة هذا الكتاب فبقي في خزانة
الناصر ثم بعث ارمانوس الي الناصر راهبا اسمه نقولا ففسر من اسماء عقاقيره
ما كان مجهولا وهو اول من عمل بقرطبه درياق الفاروق قال ابن جلجل
واجتمع اطباء قرطبه مع نقولا علي معرفة اشخاص الادوية المذكورة في كتاب
ديسقوريدس قال وادركت نقولا الراهب ومن اجتمع معه في ايام المستنصر
الحكم في صدر دولته وصحبتهم فصح ببحث هولاء الوقوف علي اشخاص هذه العقاقير
بمدينة قرطبه وتصحيح اسمايها الا القليل الذي لا بال به ولا خطر له وذلك يكون
في مثل عشرة ادوية

ومنهم ابو جعفر يوسف بن محمد بن خشداي حكيم جل قدره
وجلا الظلماء بدره تصدي طبه للادواء فحسمها وشد بناء الاعضاء وقد حطمها
وسري علاجه في العلل الجسام سري الارواح في الاجسام وبهذا ثبت زلزالها
وردها الي مصاحبة الجسوم وقد نوت اعتزالها وفعل في هذا الغاية بلطف مداراته
وكف ما لم يقدر الثوب علي مواراته ثم لم يعز عنه طبه اذ حان حينه وقرب مدى
ما بينه وبين الموت بينه قال ابن ابي اصيبعة فيه من الفضلاء في
صناعة الطب وله اعتناء بالغ بالاطلاع علي كتب ابقراط وجالينوس وفهمها

وكان قد سافر من الاندلس الي مصر واشتهر بها ذكره في ايام الآمر وكان خصيصا
بالمامون الآمري الوزير وكان قد امره المامون بشرح كتاب الايمان لابقراط
فشرحه وكان مدمنا للشراب وعنده دعابه ونوادر حكي انه كان قد
رافق بعض الصوفية في سفرة سافرها من الاسكندرية الي القاهره فقال له الصوفي
ابن تنزل في القاهرة حتي اكون اراك فقال ما في نيتي انزل الا في الخمارة واشرب
فغضب الصوفي عليه فلما اتيا القاهرة تفرقا فلما كان في بعض الايام مر ابن خشداي
في السوق واذا بافواج الناس مزدحمه وبينهم صوفي يعزر فنظر اليه فاذا هو صاحبه
قد امسك وهو سكران فقال له ابن خشداي والله ما قتلك الا الناموس

ومنهم الغافقي وهو ابو جعفر احمد بن محمد بن سند رسا في العلم
ورسخ وانسي ما في كتب القدماء ونسخ وطلع في هالات الاهله واراع علالات
العله وناسب ما يلايم النفوس وصفا وورد مثل زرق النطاق واصفي ولم يعد
مريضا الا كشف غماء المرض وكف ايماء المرض وكان يتبرك بعيادته
ويتيمن تيمنا كان سببا لسيادته الا انه بمعرفة قوي الادوية ادرب
وحدسه فيها اغرب وكلامه فيها كلام من راي وجرب قال
ابن ابي اصيبعة فيه امام فاضل وحكيم عالم ويعد من الاكابر وكان اعرف
اهل زمانه بقوي الادوية المفرده لا نظير له في الجودة ولا شبيه له وقد استقصي
فيه ما ذكره ديسقوريدس والفاضل جالينوس باوجز لفظ واتم معني ثم ذكر
ما تجدد للمتاخرين فيها من الكلام وما الم به كل واحد منهم فجاء كتابه جامعا لما
قاله الافاضل فيها ودستورا يرجع اليه فيما يحتاج الي تصحيحه منها

ومنهم ابو بكر عتيق بن تمام ابن ابي البون الازدي طبيب ابرا الاسقام
واربت له من الفضل اوفر الاقسام جري في طلق الوفا وجرب منه مطلق الشفا

هذا وهو شاعر لا يذعر له جنان ولا يشعر الا وفي فيه سنان بعث سمام الارقم
ويجرع الحمام في كاس العلقم قال ابن رشيق غلب عليه اسم الطب
فعرف به لحذقه فيه ومكان ابيه منه وهو شاعر حاذق مغنوق اللسان
حاضر الخاطر لم ار قط اسهل من الشعر عليه بحاذ لا يتكلم الا به واكثر نادبه
بالاندلس لقي بها ناسا وملوكا واخذ الجوايز وقارع فحول الشعراء ومما
انشد له قوله

ولم انسها لاشمس اسيل فوقها من الشعر الوحف الاثيث غذوق
فلو ذاب ذا او سال جريال خدها جرى سبج منها وسال عقيق

قال فانت ترى الطبع كيف حمل هذا المعنى كما تحمل الارواح الاجسام ولو وضع
بين قسطاط المجبرين وحمل على مذاهب المتعصبين لراتيه اثقل من العذل
واقتل من الجهل لان التصنع تكلف والتكلف مغضوب مكره غير ان القسم
الآخر منقول بذاته من شعر ابن هاني في وصف فرس ومن ابيات ابن البوق

فمت تسترح يا قلب ان كنت عاشقا فانك فيها بالممات خليق
ومن لم يمت في اثر الف مودع فليس له بالعاشقين لحوق

ومما انشد له ايضا قوله

تحمل المرهفين الطايعين له في منتهى الحظ او في منتهى الفتن
حتى اذا انكشفت عن عارض خشن سحب تصدي لها بالمنصل الخشن
اراه ضربا يريه اهله معه ويقدح النار بين الراس والبدن
تركت اهلي واوطاني لقصد فتى براه احضى من اهلي ومن وطني
على الماجد الحر الجواد ومن في حزمه جمع الاشتات للحسن
ومن اذا استمطر العافون راحته سقتهم فوق سقي الوابل الهتن

ومن حوى رتبا لم يحوها بشر الا الذي ولذو معدن المنن
والفرع عن جده ينمى ومحتده والخير والشر منشور وبان في اللبن
تجري النجابة طبعا في شمايله والمجد والبشر جري الماء في الغصن

وقوله

يا قايدا امثلة قايد يشكره القايم والقا   عد
وواحدا ما ان له مشبه وماجدا ما فوقه ما   جد
ومن غدا بابيه والدا برا لمن ليس له وا   لد
ان قلت كالبحر عطاء فان البحر لا يشكره الوا   رد
او قلت كالقطر سماحا فان القطر مع كثرته نا   فد
او قلت كالبدر فقد ينقص البدر وهذا ابدا زا   يد
هذا علي واحد للعلى اوحد في عصره الوا   حد
انا الفتى الشاكر احسانه والله والله ابدا شا   كر

ومنهم ابو محمد المصري الحكيم لا يقصر في حكمه ولا يعجز
ان ينطق من تمادي في بكمه جرى الادب بقلمه وسرى نفس في كلمه
وحظي بقبول كان يتلقاه حيث حل وبحلة اكرم محل وبتحفة بحباء الملوك
بما ينعم به بالا ويعم حساده وبالا وكان لا يحب دعوة الصلاح ولا يستطيع
سلوة الملاح قدا وثقفته الحدق النجل جراحا او بقته الذوايب الجثل فلا
يجد سراحا وكان كالخمر في سلب العقول وكالسحر في الخلب بما يقول
حاذقا بصيد الدراهم واستخراج خبايا الجيوب ولو زرت بحذق الاراقم
قال ابن بسام فيه شيخ الفتيان وآية الزمان وكان رحل
الى مصر واسمه خامل وسماؤه عاطل فلم ينشب ان طرا على الاندلس خلقا جديدا

وجري الى النباهة طلقا بعيدا فتهادته الدول وانتهت اليه التفاصيل والجمل وكل ماطرا على ملك فكانه معه ولد واياه فقصد تجري مع كل احد وتمول في كل بلد وتلون في العلوم بلون الزمان وتلاعب بالملوك بافقنا تلاعب الريح بالاغصان حتي ظفر به ابن ذي النون فشد عليه يد الصنين فوجد كنفا سهلا وسلطانا غفلا فسترو ساء وارتسم في اي الدوا وين شاء وكان بالطب اكلف وعليه اوقف فتعلق بسببه حتي اشتهر به وكان حسن البيان مليح المجلس حاضر الجواب كثير النادر راوية للشعر والمثل السائر نسابة للمفاخر عارفا بالمثالب والمناقب وكان بالجملة روضة ادب وهيهات ان ياتي الدهر بمثله وتحيز الي اشبيليه فانس المعتمد بمكانه وجعل له حظا من سلطانه ثم بقي بعده على حاله مشتملا بفضل اقباله ممتعا مقبلا علي لذاته ومما انشد له قوله

قال الوشاح ودمع العين منحدر ودمعه فوق روض الورد قد جارا
النار تحرقها قلبي بزفرته من العجيب فواد يحرق النارا

وقوله

ظلمك اضحي لي بلامرية مؤثرا في خدك الناضر
ما ارفق الله باهل الهوي اذ صير الجور علي الجاير

وقوله

ومن اصبحت فيه المكارم جوهرا بلا عرض فالمدح فيه قبيح
لكن رايت الشعر يثبت ذكره فلا غرو ان يهدي اليك مديح

وقوله وهو معني قول ابي نواس ولكنه نقله

وما تحتاج يوم الحرب جيشا فان عداه بالزرع الخطيم

وان ابقي لهم فرعون سحرا ففي يده عصا موسي الكليم

وقوله في مهر قتلته تغالب الفحول عليه

يا يوسف الخيل يا مقتول اخوته قلبي لفقدك بين الحرب والحرب
ان كان يعقوب لم يقنع بكذبهم اني لاقنع منهم بالدم الكذب
وما التناسب في القربى بنافعة ان لم تكن نفس العربي ذوي نسب

وقوله يصف قصر طليطله

قصر يقصر عن مداه الفرقد عذبت مصادره وطاب المورد
وكانما الاقداح في ارجائه در جماد ذاب فيه العسجد

وقوله يصف القبه

شمسية الانساب بدرية تحار في نسبتها الخاطر
كانما المامون بدر الدجي وهي عليه الفلك الدائر

وقوله

اي هلال الحلّ فينا مطلعه الطوق والجيوب
يقودنا كيف شاء طوعا لان اعوانه القلوب

ومنهم ابو الصلت امية بن عبد العزيز ابن ابي الصلت الداني رجل يرتع في حديقته ويرجع في الفضل الي حقيقته لا يقف سيف ذهنه عند حد ولا تخرج ما سمع في حافظته من لجد حسيبا في الطلب لا ينال باللمس ونسبا في الادب الان امية بن عبد العزيز لا يقاس به امية بن عبد شمس قال ابن خلكان كان فاضلا في علوم الاداب صنف كتابه الذي سماه الحديقة علي اسلوب يتيمة الدهر للثعالبي وكان عارفا بفن الحكمة وكان يقال له الاديب الحكيم وكان ماهرا في علوم الاوايل وانتقل من الاندلس وسكن

الاسكندرية ثم انتقل الي المهدية فمات بها وذكره العماد في الخريدة واثني
عليه وذكره ابن ابي اصيبعة وقال وهو من الاكابر الفضلاء في الطب وغيره
وبلغ في الطب مبلغا لم يصل اليه غيره من الاطباء وحصل من الادب ما لم يدركه
كثير من الادباء وكان فريدا في علم الرياضي مجيدا في صنعة الموسيقي جيد
اللعب بالعود لطيف النادرة فصيح اللسان جيد المعاني لشعره رونق
واتي مصر واقام مدة بالقاهرة ثم عاد الي الاندلس وحبس بالاسكندرية
لانه كان قد غرق بها مركب فيه اموال جليلة فالتزم بعمل الات تخرج بها
المركب بما فيه وشرع في عمل الالة بحبال ابريسم تنطوي علي دواليب
ليرفع بها المركب الغارق فغرم عليها جملة طايلة فلما ظهر المركب الغارق وقارب
الخارج ثقل علي الحبال فقطعها وسقط الي قعر البحر فغضب الوالي عليه
وحبسه فكتب الي ابن الصير في بيت يستشفع به وبعث اليه بقصيدتين
يمدح بهما الافضل ابن امير الجيوش واول الاولي

الشمس دونك في المحل والطيب ذكرك بل اجل

واول الثانية

نسخت غرايب مدحك التشبيبا وكفي بها غزلا لنا ونسيبا

فاجابه بجواب وهو

لين سترتك الخدر عنا فربما رايت جلابيب السحاب علي الشمس

وردتني رقعة مولاي فاخذت في تقبيلها كاني ظفرت بيد مصدرها او تمكنت
من انامل مسطرها ووقفت علي ما تضمنته من الفضل الباهر وما اودعته
من الجواهر

يكر زطورا من قراءة فصوله فان نحن اتممنا قراءته عدنا

اذا ما نشرناه فكالمسك نشره ونطويه لا طي السامة بل ضنا

فاما ما اشتملت عليه من الرضا فحكم الدهر ضرورة وكون ما اتفق عارض
يتحقق ذهابه ومروره ثقة بعواطف السلطان ومراحمه وسكونا الي ما
جبلت النفوس عليه من معرفة فواصله ومكارمه فهذا قول مثله ممن
طهر الله دينه ونزه من الشكوك ضميره ويقينه

لا يوبسنك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الانكد

صبرا فان اليوم يتبعه غد ويد الخلافة لا يطاولها يد

واما ما اشار اليه من ان الذي مني به من تمحيص اوزار سبقت وتنقيص
ذنوب اتفقت فقد حاشاه الله من الدنايا وبراه من الاثام والخطايا
بل ذلك اختبار لتوكله وثقته كما يبتلي المومنون الاتقياء ويمتحن البررة
الاولياء والله يدبره باحسن التدبير ويقضي له بتسهيل كل عسير
وقد اجتمعت بفلان فاعلمني انه تحت وعد وانه ينتظر فرصة من التذكار
ينتهزها ويغتنمها ويرتقب فرجة للتقاضي يتولجها ويقتحمها والله
يعينه علي ما يضمر من ذلك وينويه ويوفقه فيما يحاوله ويبغيه واما
القصيدتان فما عرفت احسن منهما مطلعا ولا اجود متصرفا ومنقطعا
ولا املك للقلوب والاسماع ولا اجمع للاغراب والابداع ولا احلي في فصاحة
الالفاظ وتمكن القوافي ولا اكثر تناسبا علي كثرة ما في الاشعار من
التباين والتنافي ووجدتهما يزدادان حسنا في التكرير والترديد
وتفاءلت فيهما بترتيب قضية الاطلاق بعد قضية التقييد والله يحقق
رجاي في ذلك واملي ويقرب ما اتوقعه فمعظم السعادة فيه لي ثم اطلق
سراحه ومن شعره قوله في جالي نجم الثريا مشرقا ومغربا ولطالما

رايت الثريا لها حالتان منظرها فيهما معجب
لها عند مشرقها صورة يريك مخالفها المغرب
فتطلع كالكاس اذ تستحث وتغرب كالكاس اذ تغرب

وقوله

لله يومي ببركة الحبش والافق بين الضياء والغبش
ونحن في روضة مفوقة دبج بالنور عطفها ووشي
قد نسجتها يد الربيع لنا فنحن من نسجها علي فرش
واثقل الناس كلهم رجل دعاه داعي الصبي فلم يطش
فعاطني الراح ان تاركها من سورة الهم غير منتعش
وسقني بالكبار مترعة فذلك اروي لشدة العطش

وقوله

وارحمتا لمغرب يشكو الجوي بمنعم يشكو فراغ البال
نشوان من خمرين خمر زجاجة عبثت بعقله وخمر دلال
لا يستفيق وهل يفيق لحاله من ريق فيه سلافة الجريال
علم العذول بما لقيت فرق لي ورأي الحسود بليتي فرثي لي

وقوله

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين اقاربي
ولا بد لي ان اسال العيس حاجة تشق علي شم الذري والغوارب

وقوله

دب العذار بخده ثم انثني عن لثم مبسمه البرود الاشنب
لا غرو ان خشي الردي في لثمه فالريق سم قاتل للعقرب

وقوله

كيف لا تبلي غلايله وهو بدر وهي كتان

وقوله يصف فرسا اشهب

واشهب كالشهاب اضحي يجول في مذهب الجلال
من انجم الصبح بالثريا واسرج البرق بالهلال

وقوله في طبيب اسمه شعبان

يا طبيبا ضجر العالم منه وتبرم انت شعبان ولكن قبلك الناس المحرم

وقوله

يقولون لي صبرا واني صابر علي نائبات الدهر وهي فجايع
ساصبر حتي يقضي الله امره وان انا لم اصبر فما انا صانع

وقوله

سادا صغار الناس في عصرنا لا دام من عصر ولا كانا
كالدست مهما هم ان ينقضي عاد به البيذق فرزانا

وقوله وقد راي مليحا ابيض قد قام فجاء قبيح اسود فقعد مكانه

مضت جنة الماوي وجاءت جهنم فقد صرت اسقي بعد ما كنت انعم
وما هي الا الشمس حان افولها واعقبها قطع من الليل مظلم

وقوله

وقايلة ما بال مثلك خاملا انت ضعيف الراي ام انت عاجز
فقلت لها ذنبي الي القوم انني لما لم يحوزوه من المجد حايز
وما فاتني شيء سوي الحظ وحده واما المعالي فهي عندي غرايز

وقوله

جذ بقلبي وعبث ثم مضي وما اكترث
واحربا من شادن في عقد الصبر نفث
يقتل من شاء بعينيه ومن شاء بعث
فاي ودٍ لم يخن واي عهدٍ ما نكث

وقوله

ومهفهف تركت محاسن وجهه ما مجه الكاس من ابريقه
ففعالها في مقلتيه ولونها من وجنتيه وطعمها من ريقه

وقوله

عجبت من طرفك في ضعفه كيف يصيد البطل الاصيدا
يفعل فينا وهو في غمده ما يفعل السيف اذا جردا

وقوله

وتمت اذ تعد الاملاك لهم تذب عنه وتحميه وتنتصر
بالبيض تسقط فوق البيض انجمها والسمر تحت ظلال النقع تشتجر
بيض اذا خطبت بالنصر السنها فمن منابرها الاباد والقصر
وذبل من رماح الخط مشرعة في طولهن لاعمار العدي قصر
تغشي به غمرات الموت اسد شري من الحماة اذا ما استنجدوا ابتدروا
مستلئمين اذا سلوا سيوفهم شبهتها خلجا مدت بها غدر
ترتاح انفسهم نحو الوغي طربا كانما الدم راح والظبي زهر
الله زان بك الايام من ملك لك الحجول من الايام والغرر
وللعجاج علي ضم القنا ظلل هي الدخان واطراف القنا شرر
اذ يرجع السيف بندي خده علقا كصفحة البكر ادمي خدها الخفر

اما يهولك ما لاقيت من عدد سيان عندك قل القوم او كثروا
فاضرب بسيفك من ناواك منتقما ان السيوف لاهل البغي تدخر
ما كل وقت تري الاملاك صافحة عن الجرائر تعفو حين تقتدر
ومن ذوي البغي لا يستهان به وفي الذنوب ذنوب ليس تغتفر
ان الرماح غصون تستظل وما لهن شئ سوي هام العدي ثمر
اضحي شهنشاه غيثا للذي غدقا كل البلاد الي سقياه تفتقر
الطاعن الالف الا انها نسق والواهب الالف الا انها بدر
ملك تبوا فوق النجم مقعده فكيف يطمع في علياته البشر
يرجي نداه ويخشي عند سطوته كالدهر يوجد فيه النفع والضرر
ولا سمعت ولا حدثت عن احد من قبله يهب الدنيا ويعتذر
ولا بصرت لشمس قبل غرته اذا تجلا سناها اغدق المطر
ولم اطلها باني جد معترف بان كل طويل فيه مختصر

واورد له ابن سعيد قوله في الرقص لمن جاد عليه قبل مديحه

لا غرو ان سبقت يداك مدائحي فتدفقت جدواك ملء اناتها
يكسي القضيب ولم تحن اثماره وتطوق الورقاء قبل غنائها

ومنهم بنو زهر فمنهم ابو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الايادي الاشبيلي حكيم دافع قوي الضراء وتابع صواب الاراء فراد الاسقام ومانع الداء وقد فتح فاه للانتقام علي لطف في علاجه وتسكين لثواير المرض وعجاجه ورفق زانه في تانيه وزاده في تاتيه فكان يبعد فردا ويبعد مزاح مشربه وردا ثم لم يخلف له موعد ولا يخاف معه من سحابه مرض مرعد لكنه لم تغن عنه حيله ولم يكن له بد ان يابيه اجله

قال صاعد انه دخل القيروان ومصر وتطبب بها زمانا طويلا ثم رجع الي الاندلس وقصد مدينة دانيه واتصل بمجاهد ملكها وامره ان يقيم عنده فحظي واشتهر بالتقدم في الطب وشاع ذكره منها في الاقطار وله في صناعته ارشاد منه منعه من الحمام لاعتقاده فيه انه يعفن الاجسام ويفسد تركيب الامزجه قال وهذا راي يخالفه فيه الاوايل ويشهد بخطايه فيه الخواص والعوام بل اذا استعمل علي الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي كان رياضة فاضلة ومهنة نافعة لتفتيحه للمسام وتطريقه للفضول وتلطيفه لما غلظ من الكيموسات قال ابن ابي اصيبعة واقول انه انتقل الي اشبيلية ولم يزل بها الي ان مات وخلف اموالا جزيلة ونظيرها من الرباع والضياع

ومنهم ابنه ابو العلاء زهر بن عبد الملك فرد في بني ادم وواحد ما اتي بمثله وقد تقادم ابن ابيه وفوق كل من يليه لم يقف سيف ذهنه عند حده ولا جاري البرق وقد اضمر له نار حقده وامسي وهو ابو العلاء واخو النجم في الاعتلاء ربي في حجر العلم ربيبا واصبح منذ كان في سن الوليد حبيبا فطلع بدرا كامل الانوار وطمي بحرا يتمسك له بجوار حتي استهل سحابا واستقل انسكابا وكان لبيته تقف عليه زمر وركبا يحج اليه ويعتمر قال ابن ابي اصيبعة فيه مشهور بالحذق والمعرفة وله علاجات مختارة تدل علي قوته في الصناعة واطلاعه علي دقايقها وكانت له في هذا نوادر ومعرفة باحوال المرضي من غير ان يستخبرهم بل بمجرد جسه لعروقهم او نظره الي قواريرهم وحظي في دولة المرابطين وقال ابن جميع ان رجلا من التجار جلب نسخة فايقة بكتاب القانون الي الاندلس فاتحف ابا العلاء

زهرا به تقربا اليه ولم يكن وقف عليه فلما تامله ذمه واطرحه ولم يدخله خزانة كتبه ثم جعل يقطع من طرره ويكتب فيها نسخ الادوية للمرضي وقال ابو يحيي اليسع بن حزم ان ابا العلاء زهرا كان مع صغر سنه يصرخ النجابة بذكره وتخطب المعارف بشكره ولم يزل يطالع كتب الاوايل متفهما ويلقي جلة الشيوخ متعلما حتي برز في الطب الي غاية عجز الطلب عن مرامها وضرف الفهم عن ابرامها الي ان خرجت عن قانون الصناعة الي ضروب الشناعه يخبر فيصيب ويضرب في كل ما ينتحله باوفي نصيب ويستغرق المدي ويعمر في وجوه سوابق الفضلاء ومحتدا ويفوق الجلة سماحة لا توصف وندي لولا بذاذة لسان وعجلة ركب عليها الانسان واي الرجال تكمل خصاله وتتناسب اوصاله قال ابن ابي اصيبعة توفي باشبيليه ودفن بها ومما انشد له قوله

يا راشقي بسهام ما لها غرض   الا الفواد وما منه لها عوض
امنن ولو بخيال منك يطرقني   فقد يسد مسد الجوهر العرض

ومنهم ابنه ابو مروان ابن ابي العلاء واسمه عبد الملك شيخ الجلاله وفتي العلم الذي ما ورثه عن كلاله ارتقي الذروة والغارب وفاض علي المشارق والمغارب جني من الفضل غضه وختم ختامه وفضه مهدت له المضاجع لليالي اشتغاله فاقضها وزفت عليه المعالي ابكارا فافتضها فلم يستدر لثام عارضه ولا تمت ايام رايضه الا وهو معني الجمله وراس الاكابر الجلة ثم لم يصدر شي عن جابات الحمام ولا رثاه الا نايحات الحمام قال ابن ابي اصيبعة لحق بابيه في المعالجة وشاع ذكره في الاندلس وغيرها وعكف الاطباء علي مصنفاته ولم يكن

في زمانه من يماثله في صفاته وله حكايات كثيرة في حسن العلاج مما لم يسبق
الي مثله وخدم الملثمين وحصل من جهتهم النعم وفي وقته الذي كان
فيه دخل ابن تومرت الاندلس ومعه صاحبه عبد المومن وشرع في بث الدعوة
له دونه وقرب عبد المومن ابن زهر هذا واعتمد عليه في الطب واناله فوق
امنيته وله الف الدرياق المسبعيني واختصره عشاريا ثم اختصره سباعيا
ويعرف بدرياق الانسله واحتاج عبد المومن الي شرب دوا مسهل وكان
يكره الدوا فجاء ابن زهر الي كرمة في بستانه وجعل الماء الذي يسقيها به
ماء قد اكسبه قوة الادوية المسهله التي ارادها لاسهاله فطلع فيها العنب
وفيه تلك القوي فحمي عبد المومن واتاه بعنقود منها وقال له كل منه وكان حسن
الاعتقاد فيه فلما اكل منه وهو ينظر اليه قال له حسبك يا امير المومنين فقد اكلت
عشر حبات من العنب وهي تخدمك عدد هذه الحبات مجالس فقام العدة التي
ذكرها ووجد الراحة واستحسن منه فعله وتزايدت به منزلته عنده وكان
يجد في مزوره الي دار الخلافة مريضا به سو قنيه وقد كبر جوفه واصفر لونه
فلما كان في بعض الايام وقف عنده ونظر اليه فوجد عند راسه ابريقا عتيقا يشرب
منه الماء فقال له اكسر هذا الابريق فانه سبب مرضك فقال له لا بالله يا سيدي
فانه مالي غيره فامر بعض خدمه بان يكسره فكسره فطلع منه ضفدع
وقد كبر مما له فيه من طول الزمان فقال له زهر خلصت يا هذا من المرض
وحكي انه كان باشبيليه حكيم فاضل في الطب يعرف بالفار
صنف كتابا في الادوية المفردة كان يري ابن زهر كثيرا ياكل التين الاخضر
وكان الفار لا ياكله الا نادرا فكان يقول لابن زهر لا بد ان يعرض لك بمداومة
اكل التين علة النغلة وهي الدبيله فقال له ابن زهر وانت لكثرة حميتك لا بد

ان يعرض لك علة السيح فلم يمت ابن زهر الا بدبيله في جنبه ولا مات الفار الا
بعلة السيح قال وكان ابن زهر يداوي دبيلته فيقول له لو زدت
هذا الدوا كذا او ابدلته بكذا او عملت كذا فكان يقول له يا بني اذا اراد الله
تغيير هذه البنيه لا يقدرني ان استعمل الا ما تتم به مشيئته

ومنهم ابو محمد ابن الحفيد ابي بكر بن زهر نير في سماء وكوثر
في عذب الماء من بيت زاحم الايوان وازاح عن رتبته كيوان واستمسك
علي خيط المجرة ببت علاه ولبس من حليه الشفق والاصيل حلاه ولم يزل
منذ في سن اللبون يصول صولة البزل القناعيس ولا يقنع الان يكون في
اول العيس فطالما حصل الفوايد الغزار وحل الفراقد وقد سلبت من
جفنه الغرار وبات الليالي في طلب العلم لم يطعم غمضا ولا شام لغير سنا
الصباح الي الصباح ومضا قال ابن ابي اصيبعة كان جيد الفطرة
حسن الراي جميل الصورة مفرط الذكا محمود الطريقه معتنيا بالطب
اشتغل علي ابيه واطلعه علي كثير من اسرار هذه الصناعة وعملها وكان الناصر
ابو عبد الله يري له ويحترمه ويعرف مقدار علمه وبيته وروي انه لما
خرج الي حضرة مراكش احتاج في نفقة سفره الي عشرة الاف دينار فلما حضر
لدي الناصر شكر سالف احسانه واحسان سلفه اليه والي سلفه ثم
قال وبيدي مما سلف ووصل الي ابي من انعامكم ما يغنيني مدة حياتي وانما
اتيت لاكون في الخدمة كما كان ابي واجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين
يدي امير المومنين فاكرمه كثيرا واطلق له مالا جزيلا وخوله في النعم
الجمة واجلسه في مجلس ابيه وكان قريبا منه حكي القاضي ابو مروان
الباجي عنه قال كنت يوما معه واذا به قد قال اني رايت البارحة اختي

وكانت اخته قدمانت قال فقلت لها بالله عرفيني كم يكون عمري فقالت طابيتين
ونصف والطابيه هي الخشب يكون طولها عشرة اشبار تتخذ للبناء قال فقلت
لها انا اقول لك الجد وانت تجيبيني بالهزو فقالت لا والله ما قلت الا جدا وانما انت
ما فهمت اليس ان الطابية عشرة اشبار فانظر الي الطابيتين ونصف خمسة
وعشرين شبرا فيكون عمرك خمسة وعشرين سنة قال القاضي
ابو مروان فقلت له لا تتوهم من هذا فلعله اضغاث احلام قال فلم تكمل تلك السنة
الا وقدمات فكان عمره كما قال لم يزد ولم ينقص وخلف ولدين كل واحد منهما فاضل
في نفسه كريم في ابناء جنسه وهما عبد الملك وابو العلاء ولابي العلاء نظر
جيد في كتب جالينوس وصناعة الطب وكانا باشبيلية **قلت**
كانا علمي طرازها وابني اعجازها على سن شبيبه ووقت اشتغال بحبيب وحبيبه
ومنهم ابو جعفر ابن الغزال من اهل المرية تغرب عن الاوطان حتى
تقرب الي السلطان وباشر في الخدم اجلها وحصل من النعم جلها فكان واسطة
العقد ولاقطة المنهل العذ وحل محل الثقة من خليفته وكان مكان المقة
في وظيفته لفضايله التي ثبتت عند امامه واوجبت له ان يتسلم عقد
زمانه فعلا رتبه وامتدت اليه الايدي رغبه ذكره ابن ابي اصيبعة قرا
علي الحفيد ابن زهر وعلي غيره واتقن الطب وخدم المنصور به وكان خبيرا
بالمفردات وكان المنصور يعتمد عليه في الادوية المفردة والمعاجين ويتناولها
منه وكان المنصور قد ابطل الخمر وشدد فيه ثم انه امر ابن الغزال ان يجمع
حوايج الدرياق ويركبه فجمعها ثم اعوزه الخمر لعجنه فانهي ذلك الي المنصور
فقال تطلبه من كل ناحية وانظر لعله ان يكون عند احد منه ولو شيء يسير
فتطلبه فلم يجد شيئا منه فاعلم المنصور فقال والله ما كان في تركيب الدرياق

في هذا الوقت الا لاعتبر هل بقي عند احد من الخمر شيء ام لا
ومنهم ابو العباس ابن الرومية وهو احمد بن محمد بن مفرج النباتي
من اهل اشبيلية جوال في كل تنوفه وجواب لكل مخوفه نزل بكل ارض مخيما
ورادا يما عشب وابما وطالما جني النبات وجاء منها بالبينات وشخصها
باشخاصها وبين ما بين عامها وخاصها فعلا محلا وطاف كالسحاب فلم يدع
محلا قال ابن ابي اصيبعة من اهل اشبيلية ومن اعيان علمايها
واكابر فضلايها قد اتقن علم النبات ومعرفة اشخاص الادويه وقواها ومنافعها
واختلاف اوصافها وتباين مواطنها وله الذكر الشايع وحسن الوصف الجامع
قد شرف نفسه بالفضايل وسمع الحديث وانتفع الناس به واتي مصر والشام
وعاين فيهما نباتا كثيرا لا ينبت بالمغرب وشاهد اشخاصها في منابتها ونظرها
في مواضعها ولما قدم الاسكندرية كان الملك العادل ابن ايوب بالقاهرة
فاستدعاه واكرم ملتقاه واراده علي الاقامة عنده فقال انما اتيت لاحج
ثم اعود الي بلدي واهلي وولدي ثم قضي فريضة حجه وعاد
ومنهم ابن الاصم وهو ابن الاصم الا انه كان اسمع وانعقد عليه
التفضيل واجمع وكان يكرم ابا ويعد منه والدا لو كان من المشهور لكان
رجبا الي طب طالما صادبه المنون وصادما لم تجله الظنون وانتاش
مهجة لم يبق منها الا اخر الذماء ورد مرضا لم يطل زاخر الدماء وكانت اشبيليه
به في حلل المفاخر تختال وتكف باس من يغتال وتتيه بنسبته اليها
وسمته التي دلت دليل نسيم السحر عليها قال ابن ابي اصيبعة
هو الاطباء المشهورين باشبيلية وله قوة نظر في الاستدلال علي الامراض
ومداواتها وله حكايات مشهورة ونوادر في معرفته بالقوارير واخباره عند

ما يراها بجملة حال المريض وما يشكوه وما قد تناوله من الاغذية حدثني ابو عبد الله المغربي قال كنت يومًا عند ابن الاصم واذا بجماعة قد اقبلوا اليه ومعهم رجل وفي فمه حية قد دخل بعضها مع راسها في حلقه وبقيتها ظاهر وهي مربوطة بخيط قنب الي ذراع الرجل فقال لهم ما شان هذا فقالوا له ان من عادته ان ينام وفمه مفتوح وكان قد اكل لبنًا ونام فلما جات هذه الحية لعقت من فيه ودخلته وهو نايم فاحست بمن اتي فخافت وانسابت بعضها في حلقه وادركناها فربطناها بهذا الخيط ليلا تدخل في حلقه وقد اتينا به اليك فلما نظر الي ذلك الرجل وجده وهو في الموت من الخوف فقال لا باس عليك كدتم تهلكون الرجل ثم قطع الخيط فانسابت الحية وبلغت الي جوفه واستقرت فقال له الان تبرا وامره ان لا يتحرك واخذ ادوية وعقاقير فاغلاها في الماء غليًا جيدًا وجعل ذلك الماء في ابريق وسقاه الرجل وهو حار فشربه وصار يجس معدته حتي قال ماتت الحية ثم سقاه ماء اخر مغلي فيه حوايج وقال هذه تهري الحية مع هضم المعدة وصبر مقدار ساعتين وسقاه ماء قد اغلي فيه ادويه مقيية فجاشت نفس الرجل وذرعه القي فغمضت عينيه وبقي يتقيا في طست فوجدنا تلك الحيه وهي قطع وهو يامر بكثرة القي حتي تنظفت معدته وخرجت بقايا الحية وقال له طب نفسًا فقد تعافيت وذهب الرجل مطمئنًا صحيحًا بعد ان كان في حالة الموت

اما اطباء مصر فمنهم بلطيان

وهو رجل مشهور في النصاري معروف بينهم معدود في بطاركتهم طبيب تدارك النفوس وسيوف المنايا تنوشها ومواقيت الامال قد قدمت لها تغوشها راس

في ملته وكان رئيس نحلته لخلال حمدت وافضال شعلة ما خمدت وكان من ايمة اليعقوبية وذوي القسمة بالسوية الي صحة حدس وذكاء نفس وكرم في عشيرة وشيم بالتفضل مشيرة قال ابن ابي اصيبعة كان نصرانيًا من الملكية عالمًا بشريعة النصرانية وجعل بطرك الاسكندرية حكي انه كان للرشيد جارية مصرية كان يحبها فاعتلت علة عظيمة فعالجها الاطباء فلم تنتفع بشيء فقيل له لو بعثت الي عاملك بمصر ليبعث اليك بطبيب منها فانه ابصر بهذه الجارية من اطباء العراق فكتب اليه فبعث اليه ببلطيان وكان طبيبًا عارفًا حاذقًا فاخذ معه من كعك مصر والصير المعمول بها فلما اتي بغداد ودخل علي الجارية اطعمها من الكعك والصير فرجعت الي طبعها وزالت عنها العلة ووهب له الرشيد مالًا جزيلًا وكتب له منشورًا باعادة كل كنيسة تغلب اليعاقبة فيها علي الملكية ثم امر بان يكون يحمل مثل هذا من الكعك والصير الي خزانة السلطان في كل وقت فكان ذلك لا يزال يحمل موظفًا فيما يحمل اليها الي اخر ايام المتوكل

ومنهم سعيد بن نوفيل

جمرة تشتعل توقدًا وجملة لا يضم اليها الا فرقدًا سعي للعلم سعيه واوعاه وعيه حظي بالخدم وحل حيث لا تنصب الخيم الا ان الايام قلبت له ظهر المجن وحققت له خلاف ما ظن فافلتت رداءه واشمتت به اعداءه ولم يجن ذنبًا سوي نصحه الذي حمل علي الغش وقتل عقابًا به جانيه عليه ولم ينعش قال ابن ابي اصيبعة كان طبيبًا نصرانيًا يخدم ابن طولون ولا يفارقه فلما ادركت ابن طولون الهيضة التي مات بها طلبه فلم يجده الا بعد يومين فعنفه ثم قال له ما الصواب قال ان لا تقرب غذاء قال انا والله جايع وما اصبر فقال له هذا جوع كذاب لبرد المعدة فلما نهض

الليل استدعي بشي ياكله فجي بفرارج كردماج جاته وبزماورد من دجاج
وجدي باركه فاكل منها فانقطع الاسهال عنه فخرج نسيم الخادم وسعد في
الدار فقال له اكل الامير فخف عنه القيام فقال سعيد الله المستعان ضعفت
قوته الدافعة بقهر الغذاء لها وستتحرك حركة منكرة فما وافي السحر حتي
قام قياما كثيرا وخرج من انطاكية وعلته تتزايد ثم الي مصر علي عجله تجر
بالرجال فلما اتي الفرما شكا انزعاجا فركب الماء الي الفسطاط وضربت
له بالميدان قبة نزل فيها ثم ظهرت منه لسعيد بن نوفل نبوة وشكاه الي كاتبه
اسحق بن ابرهيم فاخذ يلوم ابن نوفل فقال والله ما خدمتي له الا خدمة الفار
السنور والسخلة الذيب قال نسيم الخادم وكان ابن نوفيل ايسا من
حياته لان ابن طولون امتنع من مشاورته ولعتقد فيه انه فرط في اول
امره وجي بفاكهة من الشام فقال له ما تقول في السفرجل فقال تمص
منه علي خلو المعدة فلما خرج سعيد من عنده اكل سفرجلا عقيب عصيدة كان
قد اكلها علي غير راي سعيد فعصرها فتدافع الاسهال فدعا به ثم قال يا ابن
الفاعلة قلت ان السفرجل نافع لي وقد عاد الاسهال فقام فنظر المادة ورجع
اليه فقال هذه العصيدة التي عقدتها وقلت اني غلطت في منعها عصرها السفرجل
وانا ما اطلقت لك السفرجل وانما اشرت بمصته فقال يا ابن الفاعلة تريد تحجني
وانت صحيح سوي وانا عليل مدنف ثم ضربه مايتي سوط وطاف به علي جمل
ونودي عليه هذا جزاء من ايتمن فخان وامر بنبته فنهب ثم لم يعش سعيد بعد
ذلك الا يومين ومات

ومنهم سعيد بن البطريق طبيب طالما خلص الاجسام من دايها
واستل النفوس من اعدايها مع علم بشريعته وعمل حسن في شيعته

الا انه لم تصف له موارد الايام ولم ينصف علي عوايد الانام وبلي باختلاف قومه
وما برحوا في شقاق ولا صحوا من سكرة اشفاق ولم يزل عودهم معه في
التواء وعودهم اليه بغير استواء هذا ولم يكن غرا ولا راي وجوه التجارب
الا غرا مع سعة اطلاع كانما اشرف عليه من عالي التلاع واضطلاع قل
ان حنيت عليه خبايا اضلاع وبما قصرت في ضبط ولا غرب عنها ما في
قط قط ولكنها الايام وعاداتها ومواهبها واستعاداتها قال
ابن ابي اصيبعة كان من اهل مصر وكان طبيبا نصرانيا مشهورا عارفا بعلم
صناعة الطب وعملها وكانت له دراية بعلوم النصاري ومذاهبها ثم صير
في اول يوم خلافة القاهر بطرك الاسكندرية وكان في زمانه شقاق عظيم
وشر متصل بينه وبين شيعته وله تصانيف كثيرة وتواريخ محررة ولحقه
اسهال مات به بالاسكندريه

ومنهم التميمي وهو ابو عبد الله احمد بن سعيد جاءه احسان
ومادة بقاء لانسان عرف الادوية لطول ما الفها وركب مفرداتها والفها
وجناها من رؤوس الشجر ومما يعرشون ويبسطون من الارض ويفرشون
الي اتقان لقواعد الطب واصوله وعوايد المستطب في العام وفصوله
حتي انه اليه المرجع وعليه الاعتماد في كل دواء ينجح ذكره ابن ابي اصيبعة
وقال كان مقامه اولا بالقدس ونواحيه وله معرفة جيدة بالنبات وماهياته
وكان متميزا في صناعة الطب والاطلاع علي دقايقها وله خبرة بتركيب
المعاجين والادوية المفردة واستقصي معرفة الدرياق الكبير الفاروق
وتركيبه وركب منها شيئا كثيرا علي اتم ما يكون من حسن الصنعة وانتقل
الي مصر واقام بها حتي مات قال ابن القفطي ان التميمي هو الذي

أحمل الدرياق الفاروق بما زاده فيه من المفردات وكان خصيصا بالحسن بن عبد الله بن طغج صاحب الرملة وعمل له معاجين ولخالخ طيبة وانواع دخن دافعة للوباء وركب سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة وكان يذكر انه نقله عن راهب كان بالقدس فاضلا في الحكمة والطب وادرك الدولة العلوية بمصر وصحب يعقوب بن كلس وزير المعز والعزيز ولقي الاطباء بمصر وناظرهم وحكي عن ابيه انه سكر مرة سكرا مفرطا غلب علي عقله فسقط في بعض الخانات من موضع عال الي سفل الخان وهو لا يعقل فحمله صاحب الخان وخدمه حتي ادخله الحجرة التي كان ساكنها فلما اصبح قام وهو يجد وجعا ووهنا في مواضع من جسده ولا يعرف لذلك سببا فركب وتصرف في بعض اموره الي ان تعالي النهار ثم رجع فقال لصاحب الخان اني وجدت في جسدي وجعا وتوهنا شديدا لست ادري ما سببه فقال صاحب الخان ينبغي ان تحمد الله علي سلامتك قال فماذا قال او ما علمت ما نالك البارحة قال لا قال فانك سقطت من اعلا الخان الي اسفل وانت سكران قال ومن اي موضع فاراه الموضع فلما راه حدث به للوقت من الوجع والضربان ما لم يجد معه سبيلا الي الصبر واقبل يصيح ويتاوه الي ان جاوه بطبيب ففصده وشد علي مفاصله المتوهنة جبارا واقام اياما كثيرة الي ان برا وذهب عنه الوجع **اقول** ومما يناسب هذه الحكاية ان بعض الناس كان في بعض اسفاره في مفازة ومعه رفقة له فنام في منزلة نزلها في الطريق ورفقته جلوس فخرجت حية من بعض النواحي فصادفت رجلا فنهشته فيها وذهبت وانتبه مرعوبا من الالم وبقي يمسك رجله ويتاوه منها فقال له بعضهم ما عليك مددت رجلك بسرعة وقد صادفت رجلك شوكة في هذا

الموضع الذي يوجعك واظهر له انه اخرج الشوكة وقال ما بقي عليك باس وسكن عنه الالم بعد ذلك ورحلوا فلما كان بعد عودهم بمدة وقد نزلوا في تلك المنزلة قال له صاحبه اتدري ذلك الوجع الذي عرض لك في هذا الموضع من اي شي كان فقال لا فقال ان حية ضربتك في رجلك وراينا ها وما اعلمناك فعرض له في الوقت ضربان قوي في رجله وسري في بدنه الي ان قرب من قلبه وعرض له غشي ثم تزايد به الي ان مات وكان السبب في ذلك ان الاوهام والاحداث تؤثر في البدن تاثيرا قويا فلما تحقق ان الافة التي عرضت له كانت من نهشة الحية تاثر ذلك وسري ما كان في ذلك الموضع من بقايا السم في بدنه ولما وصل الي قلبه اهلكه **قلت** ومن نسبة ما حكي عن ابيه ما شاهدته بعيني سنة ست وسبع مايه وذلك انه كان عندنا صغير في سطح الدار يلعب وبيده تفاحة فجعل يلقيها من يده ثم يجري وراها وياخذها والقاها مرة فتدحرجت وجري هو خلفها فوقعت من طاقة في السطح معدة لرمي الثلج ترمي الي الطريق علوها عن الارض يقارب عشرين ذراعا واستمر هو جاريا خلفها لياخذها فوقع من ذلك العلو الي الارض قايما علي قدميه واستمر جاريا خلف التفاحة حتي اخذها ولم يصبه شي البتة وكان سداسي السن وكنت قريبا من سنه وانا اشاهده وانا علي باب الدار فسبحان الله اللطيف بخلقه

ومنهم ابن الهيثم وهو ابو علي محمد بن الحسين بن الهيثم البصري ثم المصري رجل اخذ الفرايد فنظمها والفوايد فاجلها قدرا في الصدور وعظمها بطرف طموح وطرف تحت عقدنا به جموح فانثت الغرر وانبت الدرر وصاغ النجوم واشباهها وتجشم فحكي الغيوم وامواهها

لفضايل حصلها من الصغر ووردمنها اصفي المناهل ولم يعرف الصدر
فبقيت كتبه قدوة للمتامل وجلوة مثل الصباح المتهلل قال
ابن ابي اصيبعة اصله من البصرة ثم انتقل الي مصر فاقام بها الي اخر عمره
وكان فاضل النفس قوي الذكاء متفننا في العلوم وكان كثير التصنيف
ظاهر الزهد ولخص كثيرا من كتب ارسطو وجالينوس وشرح العويص وكان
حسن الخط جيد العربية حكي انه كان قد وزر بالبصرة ونواحيها
فمنعته عن النظر فاثر التجرد ليتوفر علي العلم فاظهر خبالا في عقله وتغيرا
في تصوره حتي تمكن من مراده ثم اتي مصر واقام بالجامع الازهر ثم كان
يكتب اوقليدس والمجسطي وينقوت بالثمن وقيل انه بلغ الحاكم
انه كان يقول لو كنت بمصر لعملت في النيل عملا تحصل به النفع في كل حالة
من حالاته من زيادة ونقص فاستدعاه ومشي عليه فلم يجد انه تم له ما ارادة
فعاد خجلا واعتذر الي الحاكم بما قبل منه ظاهرة ثم انه ولاه بعض الدواوين
فوليها رهبة لا رغبة ثم تحقق غلطه اذ قيل لكثرة استحالة الحاكم واقدامه
علي سفك الدماء فلم يجد طريقا الا معاودة الجنون فاحتيط علي موجوده وقيد
ووكل به من يخدمه ويقوم بمصالحه فلما مات الحاكم اظهر العقل وعاد الي
ما كان عليه واعيد عليه ماله فاستوطن قبة علي باب جامع الازهر ملازما
وظايف الاشتغال والافادة والتصنيف حتي مات

ومنهم علي بن رضوان رجل كان جمال ايوان وكمال ديوان
ورئيس قوم وراس ذكره باق الي اليوم طالما اخليت له المجالس وخليت
الصدور له ولمن يجالس فطال في الدولة الفاطمية ذيلا ومال به الدهر
ميلا وحصل من اوليك الكرام المرام وبلغ لديهم غاية الاحترام وفضايله

تقول هل من مزيد وتندفق فوق برداو بزبد حتي آن ان تخلق ردآء مفاخره
وينتهي كل شي الي اخره قال ابن ابي اصيبعة مولده ومنشاه
بمصر وبها تعلم الطب وحكي عنه انه قال اخذت في تعلم الطب ولم يكن
لي مال انفق منه فلذلك عرض لي في التعليم صعوبة ومشقة قال
انه ولد بالجيزة وكان ابوه فرانا ولم يزل ملازما للاشتغال والنظر في العلم
الي ان تميز وصار له الذكر الحسن والسمعة العظيمة علي سفهه وازرايه
بالعلماء وخدم الحاكم وجعله رئيسا علي الاطباء ثم اخذت يتيمة كان رباها
مالا جليلا كان له نحو عشرين الف دينار وهربت به فاختل عقله

ومنهم افرايم الاسرايلي طبيب صفت له المشارب وصحت
معه التجارب واتصل بالدولة الفاطمية اتصال اليد بالعنان وطال بها
طول الرمح بالسنان وكان منها مكان الشجاعة من الجنان وقر لديها استقرار
الخاتم في البنان فاحرح السوت بما حرز وطاول الحل اووزن ثم جاءته
منيته وقرعت بصفا اللحود ثنيته قال ابن ابي اصيبعة
وهو من الاطباء المشهورين بديار مصر وخدم الخلفاء الذين كانوا في زمانهم
وحصل من جهتهم من الاموال والنعم شيا كثيرا وكان قد قرا صناعة الطب
علي ابي الحسن علي بن رضوان وهو من اجل تلامذته وكانت له همة عالية في
تحصيل الكتب وفي استنساخها حتي كانت عنده خزاين كثيرة من
الكتب الطبية وغيرها وكانت ابدا عنده النساخ يكتبون ولهم ما يقوم
بكفايتهم منه ومن جملتهم محمد بن سعيد بن هشام الحجري وهو المعروف
بابن ملماقه ووجدت بخط هذا عدة كتب وعليها خط افرايم وحدثني
ابي ان رجلا من العراق وكان قد اتي الي مصر ليشتري كتبا ويتوجه

بها وانه اجتمع بافرايتم واتفق الحال فيما بينهما ان اباعه افرايتم من الكتب
التي عنده عشرة آلاف مجلدة وكان ذلك في ايام الافضل ابن امير الجيوش
فلما سمع بذلك اراد ان تلك الكتب تبقي بالديار المصرية ولا تنتقل الي موضع
آخر فبعث الي افرايتم من حمل اليه الاموال التي كان الاتفاق من الثمن
بين افرايتم والعراقي عليها ونقلت الكتب الي خزانة الافضل وكتبت
عليها القابه ثم خلف من الكتب ما يزيد علي عشرين الف اخري ومن الاموال
والنعم شيئا كثيرا جدا

ومنهم سلامة بن رحمون ابو الخير قرن لا يمل المصاع ولا
يكايل بالمد والصاع فكان لو عوقه في طريقه جبل لاقتلعه او اشرقه
بريقه اسد لابتلعه الا كدية عرضت له فلم يستطع صعود ذروتها
ولا قدر علي ارتقاء صفاها ولا مروتها فباء بخجلته وبقي تحت مذلة مضلته
قال ابن ابي اصيبعة كان يهوديا له اعمال حسنة واطلاع
علي كتب جالينوس والبحث عن غوامضها ولما وصل ابو الصلت الي
مصر اجتمع به وجرت بينهما مباحث ومشاغبات وقد ذكره ابو الصلت
في رسالته المصرية قال واشبه من رايته منهم وادخله في عدد
الاطباء رجل من اليهود يدعا ابا الخير سلامة بن رحمون فانه لقي ابا الوفاء
المبشر بن فاتك واخذ عنه شيئا من صناعة المنطق تخصص بها وتميز
علي اضرابه وادرك ابا كثير ابن الزيار تلميذ ابا الحسن ابن رضوان فقرا
عليه بعض كتب جالينوس ثم نصب نفسه لتدريس جميع المنطق وجميع
كتب الفلسفة الطبيعية والالهية وشرح بزعمه وفسر ولخص ولم يكن
هناك في تلخيصه وتحقيقه واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه بل كان

يكثر كلامه فيضل ويسرع جوابه فيزل ولقد سالته اول لقاي له واجتماعي
به عن مسايل استفتحت مباحثته بها مما يمكن ان يفهمها من لم يكن يمتد في العلم
باعه ولم يكثر تبحره واتساعه فاجاب عنها بما ابان عن تقصيره ونطق بعجزه
واعرب عن سوء تصوره وفهمه وكان مثله في عظم دعاويه وقصوره عن اليسير مما
هو متعاطيه كقول الشاعر

يشمر للج عن ساقه ويغمره الموج في الساحل

او كما قال الآخر

تمنيتم مايتي فارس فردكم فارس واحد

قال ابو الصلت وكان بمصر طبيب من اهل انطاكية يسمي بجرجس
ويلقب بالفيلسوف علي ما قيل في الغراب ابي البيضاء وفي اللديغ سليم قد تفرغ
بالتولع بابن رحمون والازراء عليه وكان يزور فصولا طبية وفلسفة يفردها
في معارض الفاظ القوم وهي محال لا معني لها وفارغة لا فايدة فيها ثم انه ينفذها
الي من يسايله عن معانيها ويستوضحه اغراضها فيتكلم عليها ويشرحها بزعمه
دون تيقظ ولا تحفظ بل باسترسال واستعجال وقلة اكتراث واهتبال فيوجد
فيها عنه ما يضحك منه وانشد لجرجس هذا عنه وهو احسن ما سمعته

ان ابا الخير علي جهله يخف في كفته الفاضل
عليله المسكين من شومه في بحر هلك ما له ساحل
ثلثة تدخل في دفعة طلعته والنعش والغاسل

ومنهم المظفر بن معرف وهو ابو المظفر نصر بن محمود بن
المعرف عالم باسرار الطبيعة وعارف باخبار الشريعة وفاضل كاد يحوز
الفضل جميعه وكان محبا لكثرة الثراء ومبتلا بثري تربته الخضراء لا يعدل

شيء عنده نعمة الغني ولا يصرف الي غيرها همة المني وعاني الصنعة فلم يبتل
له منها عود بماء ولا حصل له صاد الصديق ولا كاف الكيمياء معما انفق
من مال واخفق من مال ذكره ابن ابي اصيبعة واثني علي فضله وقال كان
مغرما بصناعة الكيمياء والاجتماع باهلها وكتب بخطه كثيرا من الكتب
التي صنفت فيها وفي الطب والحكمة وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب وقراءتها
قال ومن اعجب شي منه انه كان قد ملك الوفا كثيرة من الكتب
في كل فن ولا يوجد شي منها الا وقد كتب علي ظهره ملحا ونوادر مما يتعلق بالعلم
الذي صنف ذلك الكتاب فيه وقد رايت كتبا كثيرة من كتب الطب وغيرها
كانت له وعليها اسمه وما منها شي الا وعليه تعاليق حسنة وفوايد متفرقة
وانشد من شعره قوله

وقالوا الطبيعة مبدا الكيان فيا ليت شعري ما ذا الطبيعه
اقادرة طبعت نفسها علي ذاك ام ليس بالمستطيعه

وقوله

وقالوا الطبيعة معلومنا ونحن نبين ما حدها
ولم يعرفوا الان ما قبلها فكيف يرومون ما بعدها

ومنهم اولاد ابي الحوافر وهم افاضل اطباء واماثل الباء
خدموا الملوك واحسنوا السلوك ولاطفوا الامزجه وشارفوا في العلم اعلا
درجه لو استسقي بهم الحظ العليل لبرا او شكن بهم ما صف الريح العقيم
لما درا **منهم ابو عمرو عثمان** بن هبة الله بن احمد بن عقيل القيسي جمال الدين
هو الذي شيد بناء البيت ومهد لمشاهيره الحي منهم والميت قال
ابن ابي اصيبعة فيه افضل الاطباء وسيد العلماء وله اشتغال بالادب وشعر

صحيح المباني بديع المعاني خدم العزيز ابن صلاح الدين ودام حتي خدم الكامل
ومنهم ابنه الفتح وكان مثل ابيه وان لم يكن مثله فيدانيه وقال
ابن ابي اصيبعة فيه كان نزهة النفس صايب الحدس حسن المداواه لطيف
المداراه فصيح اللسان كثير الاحسان خدم الكامل والصالح وفي ايامه توفي بالقاهرة
ومنهم ابنه المهذب زاد علي ابيه فضله وزان علا سلفه نبله
وقال ابن ابي اصيبعة فيه جمع بين الفضايل وتميز علي الاواخر والاوايل
علامة وقته في حفظ الصحة ومراعاتها وازالة الامراض وعلاجاتها اقتفي
سيرة ابايه وفاق نظراه في همته واباىه

ورث المكارم من ابيه وجده كالرمح انبوبا علي انبوب

فاما من سواهم فمنهم الخونجي محمد بن ناماور افضل الدين
ابو عبد الله قاضي القضاه تمام الافاضل وامام كل فاضل ولهذا لقب بافعل
التفضيل ولقي الود من كل فضيل الي علوم شرعيه وعلو قدر لرتبة مرعيه
هذا الي وفور احسان وظهور ايادي احسان مع سلامة صدر وسذاجة مفرطة
بلا قدر فلم يكن مثل بن الرفيع الشامخ ومهز الرطب عند قضاء الحوايج
قال ابن ابي اصيبعة فيه اجتمعت به ووجدته الغاية القصوي في
ساير العلوم وكان يعرض له انشراه خاطر لكثرة الضباب ذهنه الي العلم
وتوفر فكره عليه وولي قضاء القضاه بمصر واعمالها
ومنهم بنو فاته اهل بيت تناسقوا في الفضايل وتناسبوا في كرم الشمايل
وتناسلوا لا تكذب فيهم المخايل كانما توالدوا من ظهر افلنيقوس او نعا قدوا علي
حل مشكلات جالينوس لو جلسوا في رواق ارسطو لسطا بهم في النظر
وسما بهم الا انه برضي حب العمر **واولهم ابو سليمن** داود ابن ابي المني

ابن فاته وكان في اهل ملته ياوي الي جناب منيع ويهمي بسحاب لا يجحد له حسن
الصنيع وهذا الي فهم ثاقب وعزم لا يوني في طلب المناقب قال
ابن ابي اصيبعة كان طبيبا نصرانيا من اهل القدس حظيا عند الخلفاء فاضلا
من فضلاء الاطباء واخذه الملك ماري من مصر الي القدس ليقيم عنده به
ولما وقع الفقيه عيسي عنده في الاسر مرض مرضا اشفي منه فامر ماري ابن فاته
بمعالجته فلما راه مثقلا بالحديد في قعر الجب قال لماري هذا رجل ذو نعمة ولو سقيته
ماء الحياة علي مثل هذه الحال لم ينتفع به فاطلقه من الحديد والجب واكرمه فان ذلك
كاف في علاجه فقال له هذا عليه قطيعة كثيرة واخاف ان يهرب فقال ابن فاته
ايها الملك سلمه الي وضمانه علي فقال له تسلمه فاذا جاءت قطيعته لك فيها
الف دينار ثم اخذه اليه وفك حديده واخلا له موضعا من داره وبالغ في اكرامه
فلما مضت سته اشهر امره ماري باحضاره فاحضره فوجد قطيعته قد جاءت
في اكياس فاعطي ابن فاته منها كيسا فيه الف دينار حما وعده واطلق سراح الفقيه
عيسي فقال ابن فاته ايها الملك هذه الالف دينار قد صارت لي واتصرف
فيها تصرف الملاك في املاكهم قال له نعم فاعطاها للفقيه لوقته وقال له
انا اعرف ان هذه القطيعة ما جاءت وقد تركت خلفك شيئا وربما استدانوا
لك فيها فاقبل مني هذه في نفقة الطريق فقبلها منه وكان ابن فاته عارفا بالنجامة
وراي ان صلاح الدين سيدخل القدس من باب الرحمة فبعث ولده ابا الخير اليه مبشرا
بذلك فاجازه جائزة سنية واعطاه علما اصفر ونشابه لامانه فلما دخل صلاح الدين
الي القدس دخل الفقيه عيسي داره وحماها ان تنال بسوء هي وجميع ما جاورها

ومنهم ابنه الموفق ابو شاكر موفق الدين لم يقف عند غاية ابيه وهي
نابيه ولم يقف اثاره والسحب وراها غير متوانيه تشرف بالاسلام وتعترف بالهدي

وعراة الملام وحظي ممن خدمهم من الملوك بما لم يحظ به من مخدوم وغلام وقف له
مثل العادة في بحه وامطاه من مراكبه ما ركب منه في غير سرجه قال
ابن ابي اصيبعة قرا علي اخيه ابي سعيد ثم تميز واشتهر وحظي عند الكامل واقطعه
ضياعا وغيرها وكان يفتقده بالهبات الوافره والصلات المتواتره وكان يدخل في
جميع قلاعه راكبا لا ينزل ثم اسكنه عنده بقلعة الجبل وركبه العادل مرة بغلته
التي كانت قد شدت في النوبة له وركب ووقف بين القصرين ينتظره حتي جاء
ثم اخذ بيده وجعل يتحدث معه الي ان اتيا دار الوزاره وكان العادل يسكنها وهو
معه راكب والامراء ومن سواهم مشاه في الخدمة وفيه يقول ابن منقذ

رايت الحكيم ابا شاكر كثير المحب مع الشاكر
خليفة بقراط في عصرنا وثانيه في علمه الباهر

ومنهم الرشيد ابو حليقة وهو ابو الوحش ابن الفارس ابن ابي الخير
ابن ابي سليمن داود ابن ابي المني ابن فاته وسبب تسميته بابي حليقة لان اباه
كان لا يعيش له ولد فقيل لامه لو عملت في اذنه حليقة لعاش فعملتها والملك الكامل هو
الذي سماه بهذا الاسم لانه طلبه مع غلام فقال له من هو من الاطباء فقال هو ابو حليقة
فعرف بذلك وكان مذ كان منقطع القرين مهيبا لا تقتحم له عرين معظما في النفوس
متمما المحاسن اهله الشموس بجلة الملوك ونحله حيث لا يصل اليه سلوك قال
ابن ابي اصيبعة بعد الثناء الجميل عليه بالعلم والدين والمروة انه ربي بجعبر وكان ابوه
يلبسه زي الجند فدخل الملك الكامل مرة الحمام قريبا من داره فبعث اليه ابوه معه
ما ورد واطباق فاكهه فقبلها وملا اطباقه تفاصيل سنيه ثم دخل به علي ابنه الملك
العادل فلما راه قال هذا ابن الفارس لانه عرفه بالشبه فقال له نعم فالتفت الي ابيه
وكان قايما في الخدمة وقال له ولدك هذا ولد ذكي لا تعلمه الخدمة فالجند عندنا كثير وانتم

أهل بيت تبرّكنا بطبكم فسيّره الى عمه ابي سعيد الى دمشق ليقرئه الطب ففعل فمهر ثم رحل الى القاهرة وخدم الكامل وحظي لديه واقطعه ثم خدم من بعده الى الملك الظاهر بيبرس على اجمل العوايد قال وكانت له نوادر في العلاج منها انه كان يعالج حظية الكامل كانت معه بالعباسة ثم عرض للرشيد شغل دخل لأجله الى القاهرة واقام بها ثمانية عشر يوما ثم عاد فوجد الاطباء قد ترددوا اليها فلما حضر باشر معهم فقالوا له ان هذه على موت والمصلحة ان نعلم السلطان بهذا قبل ان يفجأه امرها بغتة فقال لهم الذي عندي ان هذه ما هي في مرض الموت فقال له شيخ منهم انا باشرت المرضى اكثر منك فطالع السلطان فلم يوافقه فاجمع الاطباء على المطالعة بهذا الا هو فكتبوا الى السلطان بموتها فارسل اليهم رسولا ومعه نجار ليعمل لها تابوتا تحمل فيه فاتيا والاطباء جلوس فقال له الرشيد ما هذا فاخبره بما اتيا له فقال للرسول انضعها في التابوت وهي في الحياة فقال لا ولكن بعد موتها فقال له ارجع بهذا التابوت وقل للسلطان عني خاصة انها لا تموت في هذه المرضة فرجع واخبره بذلك فلما كان الليل استدعاه وقال له انت منعت عمل التابوت قال له نعم قال له بما عرفت ذلك دون الاطباء قال بمعرفتي بمزاجها دونهم فقال له امض فطبّبها فعوفيت ومنها ان الكامل لفّ منديله واخرجها مع ايدي الحرم وهو يجس الايدي فلما انتهى الى نبض الكامل قال هذا نبض مولانا السلطان وهو صحيح بحمد الله ومنها انه جاءته امراة من الريف ومعها ولدها شاب غلب عليه النحول لتريه اياه واتفق انها جاءت به اليه بالغداة والوقت بارد فجس نبضه وبينما هو يجس نبضه اذ قال لغلامه ادخل ناولني الفرجية لالبسها فتغير نبض الشاب عند قوله تغيرا كثيرا فحدس

ان يكون عاشقا ثم جس نبضه بعد ذلك فتساكن وعندما خرج الغلام اليه وقال له هذه الفرجية جس نبضه ايضا فوجده قد تغير فقال لوالدته ان ابنك هذا عاشق والذي يهواها اسمها فرجية فقالت اي والله يا مولاي هو يحب واحدة اسمها فرجية وقد عجزت مما اعذله فيها وتعجبت من قوله لها غاية التعجب ومن اطلاعه على اسم المراة من غير معرفة متقدمة له بذلك **اقول** ومثل هذه الحكاية كانت عرضت لجالينوس لما عرف المراة العاشقة وذلك انه كان استدعي الى امراة جليلة القدر وكان المرض قد طال بها وحدس انها عاشقة فتردد اليها ولما كان عندها وهو يجس نبضها وكانت الاجناد قد ركبوا في الميدان وهم يلعبون فحكي بعض الحاضرين ما كانوا فيه وان فلانا تبينت له فروسية ولعب جيد فعند ذلك لما سمعت باسم ذلك الرجل تغير نبضها واختلف ثم جسها بعد ذلك فوجده قد تساكن الى ان عاد الى حاله ثم ان جالينوس اشار الى الحاكي سرا ان يعيد قوله فلما اعاده وجس نبضها وجده ايضا قد تغير فتحقق من حالها انها تعشق ذلك الرجل وهذا مما يدل على وفور العلم وحسن النظر في تقدمة المعرفة

ومنهم ابنه المهذب ابو سعيد محمد ابن ابي حليقة واري الرجال المهذب واري الاصال عصره المذهب وكان له اي مجلس مغشي والنس اصنوا من مصابيح العشي يعشي الى ضوء ناره ويعزي الفضل الى ساكن داره ويوصف بخلايق تتكفل بري الظماء وتلذ لذة العسل بالماء ولم يزل فجره يتزيد في انارته وبدره لا يخرج من دارته حتى طما على روضته سيل المنون وطحنه تحت ضرسه المنجنون قال ابن ابي اصيبعة فيه اوحد العلماء واكمل الحكماء ولد بالقاهرة وسمي محمدا لما اسلم ايام الظاهر

منحه الله من العقل احمله ومن الادب افضله ومن الذكاء اغزره ومن العلم اكثره
أتقن الطب وعرف الحكمة ولا احد يدانيه فيما يعانيه ولا يصل الى الخلايق
الجميلة التي اجمعت عليه انتهى ذكرهم

فاما من سواهم فمنهم الرشيد ابو سعيد واسمه يعقوب
ويلقب بالموفق وكان في فعله موفقا وفي نقله موثقا يصيب شاكلة الرمي ويتلقى
عدو المرض تلقي الكمي وله علاج يقوم بالابدان ويدوم تهاديه في البلدان
وينقل من خبره ما يكون ارجا للمجالس وحرجا للمنافس وطالما طال امثاله في
البيع وكان نواله كالنبع ثم خدم السلطان فتم ممتد الاشطان حتى تشجب
بعلته وانتحى بالبكاء عليه اهل ملته قال ابن ابي اصيبعة هو من
نصارى القدس كان خبيرا في الطب علما وعملا حاد الذهن وخدم الكامل ثم
ابنه الصالح وعالجه وهو بدمشق من اكلة كانت في فخذه وكانت بينه وبين
الرشيد ابي حليقة منافسة فقال ابو سعيد ان معالجة ابي حليقة على غير الصواب
فنظر الصالح الى ابي حليقة نظرة غضب فقام من بين يديه وقعد بباب الدار
ثم عرض ابو سعيد اليه مرة اخرى في مجلس السلطان فعرض له فالج فوقع لقا
لذنبه فحمل الى داره فمات بها بعد اربعة ايام ثم عاد الصالح الى مصر بعلته وبها مات

ومنهم ابن البيطار عبد الله بن احمد المالقي النباتي ضياء الدين
ابو محمد سحاب ابي سيله فطم على القرى وسحب ذيله فتم لنشر العبقري
وكانما كان باسرار الادوية مناجيا او اوتي اجزل من ابن جزلة منهاجا
لعلم بالعقاقير واشخاصها وعموم منافعها واختصاصها مع حسن جمع واتقان
ما يلج في سمع وعرف فيها مقالات الحكماء وحررها والف فيها المطولات وحبرها
وكان لنسج وحده ووشيج جفان باسله تقلب في البلاد وجلب ما يبقى على

الآباد ثم مات ولله في خلقه امر وحناها على نفسه وقال بيدي لا بيد عمرو
قال ابن ابي اصيبعة فيه اوحد زمانه وعلامة اوانه في معرفة النبات
وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت اسمايه على اختلافها وتنوعها سافر
الى بلاد الاغارقة واقصى بلاد الروم ووجد جماعة ممن يعاني هذا الفن واخذ
عنهم معرفة نبات كثير وعاينه في مواضعه واجتمع ايضا في المغرب وغيره
بكثير من الفضلاء في علم النبات وعاين نباته وتحقق ماهيته واتقن دراية
كتاب ديسقوريدس اتقانا بلغ فيه الى ان لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه
وذلك انني وجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات وفي نقل ما ذكره
ديسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه اول اجتماعي به كان بدمشق سنة
ثلث وثلثين وستمايه ورايت ايضا من حسن عشرته وكمال مروته وطيب
اعراقه وجودة اخلاقه وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه ولقد
شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيرا من النبات في مواضعه وقرات عليه ايضا
تفسيره لاسماء الادوية كتاب ديسقوريدس فكنت اجد من غزارة علمه
ودرايته وفهمه شيئا كثيرا وكنت احضر لدينا عدة من الكتب المولفة في الادوية
المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي وامثالها من الكتب
الجليلة في هذا الفن فكان يذكر اولا ما قاله ديسقوريدس من نعته وصفته
وافعاله ويذكر ايضا ما قاله جالينوس فيه من نعته وافعاله ومزاجه وما يتعلق
بذلك ويذكر ايضا ما قاله المتاخرون وما اختلفوا ومواضع الغلط والاشتباه
الذي وقع لبعضهم في نعته فكنت اراجع تلك الكتب معه ولا يغادر شيئا مما فيها
واعجب من ذلك ايضا انه كان ما يذكر دواء الا ويعين في اي مقالة هو من
كتاب ديسقوريدس وجالينوس وفي اي عدد هو من جملة الادوية المذكورة

وفي تلك المغالاة وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب وكان يعتمد
عليه في الادوية المفردة والحشايش وجعله في الديار المصرية رئيسا على ساير
العشابين واصحاب البسطات ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الكامل رحمه الله
بدمشق وبعد ذلك توجه الى القاهرة ثم خدم الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن
الملك الكامل وكان حظيا عنده مقدما في ايامه وكانت وفاة ضيا الدين العشاب
رحمه الله بدمشق في شهر شعبان سنة ست واربعين وستماية وكتابه الجامع
في الادوية المفردة لا يوجد كتاب في الادوية اجل ولا اجود منه وصنفه للملك
الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل **قلت** ويحكي انه سم نفسه
فمات حدثني الحكيم امين الدين سليمن بن داود المنطبب قال كان الملك
الصالح قد اعطى ابن البيطار الف دينار لينفقها على اثمان ادوية دعت اليها
حاجته واجتناء حشايش شامية ورومية فلما اتى بيت المقدس راى امراة
نصرانية اسمها مريم فاحبها وانفق عليها ذلك المال حتى انفده واهمل حاجة
الملك الصالح فلما قدم الملك الصالح اما قال القدس او قال دمشق لم يكن لابن
البيطار داب ليلة اراد الصالح يدخل البلد في صباحها الا انه احضر النصرانية
وبات معها في اكل وشرب واستماع غناء واستمتاع حتى كان الثلث الاخر
فاخرج حشيشة معه فسحقها في هون ثم استفها ونام وقال غطوني ثم اذا
اصبحتم لا تسحقوا شيا في الهون حتى تجيدوا غسله فانه قد صار مسموما فلم
يفهموا مقاله الى ان اصبحوا فراوه ميتا ففهموا ما كان قاله وغسلوا الهون
فلما دخل السلطان سال عنه فحكيت اليه القصة فقال لقد اساء بنا الظن
واين مثله لا شتريه بشطر ملكي والله لو علمت لاعطيته عشرة الاف دينار
يصرفها في لذته وكان امتعنا بنفسه **قلت** ويحكي انه ترك عقاقير

كثيرة ومفردات عدة لم يذكرها في كتابه الجامع ضنا بها وبخلا على غيره
بمعرفتها قال لي الحكيم صلاح الدين ابن البرهان كان ابن
البيطار يعرف مما يدخل في علم الكيمياء اشياء لم يذكرها في جامعه **قلت**
وابن البرهان كان مغري بالكيمياء مصدقا بعلمها وان كان لا يعملها بيده ولهذا
اظنه قال ما قال

فكل يدعون وصال ليلي وليلي لا تقر لهم بذا كا

ومنهم علي ابن ابي الحزم هو الامام الفاضل الحكيم العلامة
علا الدين ابن النفيس القرشي الدمشقي فرد الدهر وواحده واخو كل علم ووالده
امام الفضايل وتمام الاوايل والجبل الذي لا يرقا علاه بالسلالم والحبل الذي
لا يعلق به الا الغريق السالم لم يبق الا من اغترف منه غرفة بيده واخذ منه
حلية لمقلده حل مصر في محل ملكها ونسخت لياليها باشراقه صبغة حلكها
وقرا عليه بها الاعيان وكلا افضله واعان ولم يكن في علم واحد بمقتصر
ولا شبهه بالبحر الا مختصر هذا الى حسب غير مرؤس وحسب مثل جناح
الطاوس وشرف قرشي لا تحل معه في بطحايه ولا تحث في البيد قلاص
بطايه زكا محتدا وزهي بيتا لم يضرب غير متوسط السماء وتدا وكمل ذاته
بكرم وخير ومجد في اول واخير ومزايا استحقاق وسجايا كحواشي النسيم
الرقاق ومحاسن كطوالع النجوم ما فيها شقاق قال ابن
ابي اصيبعة نشا بدمشق واشتغل بها في الطب على المهذب الدخوار وكان
الدخوار منجبا تخرج عليه جماعة منهم الرضي وابن قاضي بعلبك والشمس الكلي
وكان علا الدين اماما في علم الطب لا يضاهي في ذلك ولا يدانى استحضارا
واستنباطا واشتغل على كبر وله فيه التصانيف الفايقة والتواليف الرايقة

صنف كتاب الشامل في الطب تدل فهرسته على انه يكون في ثلث مايه
سفر هكذا ذكر بعض اصحابه وبيض منها ثمانين سفرا وهي الان وقف
بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة وكتاب المهذب في الكحل وشرح القانون
لابن سينا في عدة اسفار وغير ذلك في الطب وهو كان الغالب عليه واخبرني
شيخنا ابو الثناء محمود انه كان يكتب اذا صنف من صدره من غير مراجعة حال
التصنيف وله معرفة بالمنطق وصنف فيه مختصرا وشرح الهداية لابن
سينا في المنطق وكان لا يميل في هذا الفن الا الي طريقة المتقدمين كابي نصر
وابن سينا ويكره طريقة الافضل الخونجي والاثير الابهري وصنف في
اصول الفقه والفقه والعربية والحديث وعلم البيان وغير ذلك ولم يكن في
هذه العلوم بالمتقدم انما كان له فيها مشاركة ما وقد احضر من تصنيفه في
العربية كتابا في سفرين أبدا فيه عللا تخالف كلام أهل الفن ولم يكن
قرا في هذا الفن سوي الانموذج للزمخشري قرأه على ابن النحاس وتجاسر
به على ان صنف في هذا العلم وعليه وعلى العماد النابلسي تخرج الاطباء بمصر
والقاهرة وكان شيخا طوالا اسيل الخدين نحيفا ذا مروءة وحكي
انه في علته التي توفي فيها اشار عليه بعض اصحابه الاطباء بتناول شيء من
الخمر اذ كان صالحا لعلته على ما زعموا فابي ان يتناول شيئا منه وقال لا القي
الله تعالى وفي باطني شيء من الخمر وكان قد ابتني دارا بالقاهرة وفرشها
بالرخام حتي ايوانها وما رايت ايوانا مرخما في غير هذه الدار ولم يكن مزوجا
ووقف داره وكتبه على البيمارستان المنصوري وكان يغض من كلام
جالينوس ويصفه بالعي والاسهاب الذي ليس تحته طايل وهذا خلاف
النابلسي فانه كان يعظمه ويحث على قراءة كلام جالينوس وكان علا الدين

قد نزل يدرس بالمسرورية بالقاهرة في الفقه وذكروا انه شرح في اول
التنبيه الي باب السهو شرحا حسنا ومرض رحمه الله تعالى ستة ايام اولها
يوم الاحد وتوفي سحر يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة سبع
وثمانين وست مايه بالقاهرة قال ابو الصفاء اخبرني الامام العلا
الشيخ برهان الدين الرشيدي خطيب جامع امير حسين بالقاهرة قال كان العلا
ابن النفيس اذا اراد التصنيف توضع له الاقلام مبرية ويدير وجهه الي الحايط
ويأخذ في التصنيف املاء من خاطره ويكتب مثل السيل اذا تحدر فاذا كل
القلم وحفي رمي به وتناول غيره لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم قلت
وبهذا حدثني شيخنا ابو الثناء محمود قال ابو الصفاء واخبرني شيخنا
نجم الدين الصفدي ان ابن النحاس كان يقول لا ارضي بكلام احد في القاهرة
في النحو غير كلام ابن النفيس او كما قال وقد رايت له كتابا صغيرا عارض به
رسالة حي ابن يقظان لابن سينا ووسمه بكتاب فاضل ابن ناطق وانتصر فيه
لمذهب اهل الاسلام وآرايهم في النبوات والشرايع والبعث الجسماني وخراب
العالم ولعمري لقد ابدع فيها ودل ذلك على قدرته وصحة ذهنه وتمكنه من العلوم
العقلية واخبرني السديد الدمياطي الحكيم بالقاهرة وكان من
تلاميذه قال اجتمع ليلة هو وابن واصل وانا نايم عندهما فلما فرغا من صلاة العشاء
الآخرة شرعا في البحث وانتقلا من علم الي علم والشيخ علا الدين في كل ذلك يبحث
برياضة ولا انزعاج واما القاضي علا الدين فانه ينزعج ويعلو صوته وتحمر عيناه
وتنتفخ عروق رقبته ولم يزالا كذلك الي ان اسفر الصبح فلما انفصل الحال
قال القاضي جمال الدين يا شيخ علا الدين اما نحن فعندنا مسايل ونكت وقواعد
واما انت فعندك خزاين علوم وقال ابو الصفاء قال السديد ايضا

قلت له يا سيدي لو شرحت الشفاء لابن سينا كان خيرًا من شرح القانون
لضرورة الناس الى ذلك فقال الشفا علي فيه مواضع تريدا نتها قلت تريد
انه ما فهم تلك المواضع لان عبارة الرئيس في الشفا غلقه قال واخبرني
آخر قال دخل الشيخ علا الدين مرة الى الحمام التي في باب الزهومة فلما كان
في بعض تغسيله خرج الى مسلخ الحمام واستدعي بدواة وقلم وورق واخذ في
تصنيف مقالة في النبض الى ان انهاها ثم عاد ودخل الحمام وكمل تغسيله
وقيل انه قال لو لم اعلم ان تصانيفي تبقي بعدي عشرة الاف سنة ما وضعتها
والعهدة في ذلك علي من نقله عنه وعلى الجملة كان اماما عظيما وكبيرا
من الافاضل جسيما وكان يقال هو ابن سيناء الثاني قال ونقلت من
ترجمته في مكان لا اعرف من هو الذي وضعه قال شرح القانون في عشرين
مجلدا شرحا حل فيه المواضع الحكميه ورتب فيه القياسات المنطقيه
وبين فيه الاشكالات الطبيه ولم يسبق الى هذا الشرح لان قصاري كل من
شرحه ان يقتصر علي الكليات الى نبض الحبالى ولا يجري فيه ذكر الطب
الا نادرا وشرح كتب بقراط كلها ولاكثرها شرحان مطول ومختصر
وشرح الاشارات وكان يحفظ كليات القانون ويعظم كلام بقراط ولا يشير
علي مشتغل بغير القانون وهو الذي جسر الناس علي هذا الكتاب
وكان لا يحجب نفسه عن الافادة ليلا ولا نهارا وكان يحضر مجلسه في داره
جماعة من الامراء والمهذب ابن ابي حليقة رئيس الاطباء وشرف الدين ابن
صغير واكابر الاطباء ويجلس الناس في طبقاتهم ومن تلاميذه الاعيان البدر
حسن الرئيس وامين الدولة ابن القف والسديد الدمياطي وابي الفرج
الاسكندري وابي الفرج ابن صغير وحدثني عنه غير واحد

منهم شيخنا ابي الفتح اليعمري قال كان ابن النفيس علي وفور علمه بالطب
واتقانه لفروعه واصوله قليل البصر بالعلاج فاذا وصف لا يخرج بالحد عن
ما الوفه ولا يصف دواء ما امكنه ان يصف غذاء ولا مركبا ما امكنه
الاستغناء بمفرد وكان ربما وصف القمحية لمن شكا القرحة والتطماج لمن
شكا هواء والخروب والقضامه لمن شكا اسهالا ومن هذا ومثله ولكن بما
يلايم ما كله وبنيا كلها حتي قال له العطار السرابي الذي كان يجلس
عنده اذا اردت انك تصف مثل هذه الوصفات اقعد علي دكان اللحام واما
اذا قعدت عندي فلا تصف الا السكر والشراب والادويه وحكى
لي شيخنا ابو الثناء الحلبي الكاتب قال شكوت الى ابن النفيس عقالا في يدي
فقال لي وانا والله بي عقال فقلت له فباي شي اداويه فقال لي والله ما اعرف
باي شي اداويه ثم لم يزدني علي هذا

ومنهم احمد المغربي شهاب الدين والد الرئيس جمال الدين ابرهيم
ابن المغربي رئيس الاطباء بمصر والشام واليه انتهت الحشمة والاحتشام
كوكب الفضايل الطالع نيرا والمشرق قمرا منورا اخذ من كل العلوم
الحكمية بنصيب موفر الاجزاء موفور الجناب يعزا اليه بالاعتزاء قدم مصر
واستوطنها وقطع بفضله من قطنها وكان فريدا في انواع العلم الا انه
عرف بالطب اكثر من بقية ما عرف به من المعارف وحصل من التالد
والطارف وخدم السلطان وتقدم الرهط وتفرد في جماعة الاطباء واقرا
العلم وافاد وباشر المرضي واحسن العلاج وعدل منحرف كل مزاج وكان
وافر الحظ من السلطان والامراء والوزراء وساير الكبراء وكان بصيرا
بالنجامة متقدما في علمها وكان يتكلم فيها مع السلطان وارباب الدولة

وحصل النعم الجمة والاموال الجزيله وخدم بنوه السلطان وتقدموا في الخدم
وصحب ابنه جمال الدين للسلطان حين هم بالحج ايام سلطنته الثانيه
فلما اقام بالكرك اقام معه وترك اسبابه ورآه بمصر منقطعه فرعي له
السلطان حق انقطاعه وزاد في قدر اقطاعه وولاه الرياسه حتى تجاوز
قدر الروساء وقربه حتى كان من اخصاء الجلساء وكان لا يزال يفاوضه
في كل حديث ويطلعه على اكثر الامور ورفع اليه يوما الصلاح ابن البرهان
قصة يسال فيها الاعفاء من وظيفته في الطب بالخدمة وكنت سفيره
فيها فقال لي السلطان هذا الصلاح افضل من ابرهيم يعني ابن المغربي وما
يطلب ترك الخدمة الا لاجله لكونه مقدما عندنا عليه فقل له نحن نعرف
فضيلتك وكبر قدرك وانك افضل من ابرهيم واكبر ولكن ابرهيم له علينا
حق خدمة من وقت كنا في الكرك وهو صاحبنا ما هو طبيب عندنا
فبلغته الرسالة بنصها فسكت على مضض **قلت** هذا قول
السلطان واما الرئيس جمال الدين ابرهيم فانه من اعيان الاطباء واهل
الفضل والتقدم في العلم والعمل في الطب وصناعته والاجتهاد دايما في
توفير بضاعته ولهذا اكتفيت عن افراده بترجمة

ومنهم السديد الدمياطي اليهودي يعرف بابن كوجك
وبنو كوجك وبنو صغير اهل بيت واحد وهم من يهود بلاد العجم وكلهم
كانوا لا يعرفون الا ببني كوجك وكوجك باللغة العربية صغير فلما
قدموا مصر عرب فريق منهم اسم جدهم المنسوبين اليه وبقي فريق على
اسمه الاعجمي وكان السديد شديد المقال مديد المجال جالينوس زمانه
في الطب الذي لم يبلغ والعلم الذي لم يدرك قرا على ابن النفيس والنابلسي

وعلى ابن النفيس اكثر ومن مدده استكثر اتقن الحكمة والطب واخذ
من كل فن بطرف واذعن كل فاضل له واعترف وكان يحفظ غالب
ديوان ابي الطيب المتنبي بل كله وينشد منه ويستشهد به في موضعه
اذا تكلم وخدم السلطان وتقرر لديه فضله واستقر في كل خاطر انه لا
نظير له في الدهر وتنافست الامراء واكابر الدولة في معالجته وكانت
الاطباء اذا اختلفت في حد مرض او وصف دواء عادوا اليه
ورجعوا الى قوله فاذا قال سكت كل قايل وسلم كل منازع وكانوا اذا عرض للسلطان
مرض وحضروا عنده تقدم السديد فامسك يد السلطان وجس نبضه
قبل الرئيس وقبل كل احد وكان الرئيس هو السايل عن الاعراض بحضوره
ثم تحصل الشورى بينهم على ما يوصف ويكون مدار الكل على كلام السديد
واعتماد السلطان عليه دون الكل وكان السديد رجلا عاقلا ساكنا لا
يكاد يتكلم حتى اذا تكلم كان البحر الزاخر والسيل المنحدر والضرام المتقد
والاسد الصؤول الى نقول يستحضرها وبحوث يحررها وتجارب يذكرها
وكانت له يد في علم الموسيقى والطرب رايت ابن كر يصفه ويثني على
علمه وبصفه وكان على هذا الفضل الغزير والمدد الوافر لا يتوسع في الوصف
للاعلاء ولا يخرج عن الجادة ولا يعدل عن المعهود ولا يرى التفقه في
الطب كما كان عليه فرج الله بن صغير وكان السديد اجتهاده لنفسه
وفرج الله اجتهاده للعليل على ان السديد كان اذا لم يشاركه طبيب
آخر يطبب تطبيبا مستقصى وان لم يتوسع فاما اذا شورك سكت
وجمد واكتفى بقول المشارك له وان كان عنده في الباطن خلافه وبالجملة
كان من الافراد وممن يقدم اذا حضرت الافاضل بالاعداد

ومنهم فرج الله بن صغير طبيب لو حضر معه ابن ماسويه
لما ستر العلاج او ابو قريش لما اقر له ابن الجلاج او استشعر به حنين
ابن اسحق لجر ذيل الفاقة او كان في زمانه ابن الاشعث للم شعثه ببقائه
لنفع لو كان للمطحن لاكل جدية الجنيد او لامين الدولة لكان عنده ابن
التلميذ وصدق ود لو انه لابن كلله لوكل اليه الوفاء او لسي لابن
سيناء لنسب اليه دونه الشفاء ولم يكن شرواه في مداواة سقام
ومدافعة سمام بملاطفة ما حظي بها النسيم ولا عبث بمشبهها في ملاعبه
عطف الروض النسيم قال لي انه قرا علي ابيه وعلي ابن النفيس
وتلك الطبقة واقتصر علي علم الطب وحققه واذن له في الكحل ثم في
الطب وجلس للتطبيب وعاد المرضي وظهر اثر علمه وكثر النفع به وبرء
المرضي علي يديه وخدم السلطان واطلق له المعلوم الوافر والراتب الكامل
وتفرد بخدمة بكتمر الساقي وكان يعتمد عليه دون ساير الاطباء ويعمل
بقوله في معالجته ومعالجة ولده وحريمه وخواصه واعزائه وكان سلطاننا
الملك الناصر يثق به وافرده بعد بكتمر الساقي لخدمة الدور السلطانيه
والنساء والحرم مع مشاركة الجماعة في مباشرة طبه والحضور عنده ولم
يزل موفر الحظ من الاكرام وكانت بيننا وبينه صحبة وله بنا خصوصية
وله من حسن الملاطفة في العلاج ما لم يكن لاحد سواه وكان في هذا غاية
جري ذكره عند الحكيم الفاضل ناصر الدين محمد بن صغير وهو عليل بدمشق
فقال ما مر ان مثل الحكيم فرج الله واخذ في وصفه ووصف فضيلته والثناء
عليه وبالغ في هذا واطنب فيه فقال له بعض من حضر فكيف كان السديد
الدمياطي فقال كان السديد يعمل بما يصفه مصلحته وفرج الله يعمل مصلحة المريض

قلت والأمر هو علي ما قاله فان السديد قل ان كان يخوض الغمرات
في الوصف وفرج الله يخوض الغمرات في الوصف ويود لو نزع من جسده ثوب العافيه
والبسه المريض واذا كره المريض ومن حضره غذاء او دواء ابدله بغيره فان
كرهوها بدله بغيره يفعل هكذا حتي يصيب موافقة من رضاهم او مقاربة
وكان يري ان هذا الجاري في نفع المريض وكانت له معالجات موافقه واصابات
في تقدم المعرفة خارقه حكي لي غير واحد من جيراننا بالقاهرة انه
كان معودا بمعالجة رجل بسويقة الصاحب وقد عرف مزاجه ودربه فمر به
ذات يوم وهو راكب علي حماره قد نزل من القلعة علي بيته فراي ذلك الرجل جالسا
علي باب المدرسة الصاحبيه فوقف فرج الله قدامه وذلك الرجل لا يشعر به
واطال فرج الله النظر اليه والتامل الي سحنته وهو صحيح سوي لا يشكو مرضا
ولا عرضا ثم قال له يا فلان هل عضك في هذه الايام كلب قط فقال له نعم من
ايام قلايل فقال له قم اقعد في بيتك والحق نفسك بالمداواه ثم ساق حماره واتي
الي اهل بيت الرجل وقال لهم اعلموا انني رايت صاحبكم ورايت عليه علايم الكلب
فسالته ان كان عضه كلب فقال نعم فامرته بان يقعد في بيته ويلحق نفسه
بالمداواة والطب فالله الله فيه والله الله في انفسكم فانه قد كلب ويوشك
ان يتخيل من الماء بعد كذا وكذا يوم ثم يموت بعد كذا وكذا فكان الامر
كما ذكره لم يخرم في شي منه ولما اعتل والدي رحمه الله العلة التي
مات فيها كان اولها انصباب مادة بلغميه الي يده فورمت منها يده ونحن
لا نكترث بذلك ولا يهمنا والاطباء تتردد اليه في كل صباح ومساء لمعالجته
وفرج الله منهم فاصبح ذات يوم وقد تصرف الورم بجملته من يده واصبح باريا
لا يشك في ذلك نحن ولا الاطباء وكان منهم ابن البرهان والسديد الدمياطي

فلما انصرفوا قال لي فرج الله اعلم ان هذه المادة لم تنصرف وانما انصبت
بجملتها الي مكان استضعفته من الاعضاء الباطنة واكبر ظني ان تكون
انصبت الي قصبة الريه ولين كان كذلك ليعرض له اخر هذا اليوم
ضيق نفس ثم قل ان تنجح معالجته مع ما بلغه من هذا السن فلم يات
اخر ذلك اليوم الا وقد عرض له مبادي ضيق نفس ثم لم يزل يتزايد الي ان
اتي عليه بوم لم نشك انه لا يخرج عنه فلما اتاه وراي ماءه واستقري اعراضه
ووصف له ما وصف وقام وذلك يوم نصف شعبان قلت له تقول يمسي عليه
المساء قال نعم ويمسك الي اخر هذا الشهر الي خمسه سته ايام اخري في
شهر رمضان فكان الامر كما ذكره لم يخرم **قلت** وقل ان وصف
لي دواء الا وبين اثره ليومه ثم حمدت عاقبته فيما بعده وعرض لي مرة
دوار صفراوي فامر بماء فاسخن فوق الاسخان المستطاب ثم شد قدمي
بالنشوطه من فوق الكعبين وامر بتدليتهما في ذلك الماء وتعجيل حل
الانشوطة عند تدليتهما في الماء ففعل ذلك ثم امر باطالة اللبث ثم
حكهما بالحجر الخشن والملح والنخاله فلم يكن باسرع من زوال ذلك الدوار
لانعكاس المادة وتفتح المسام في سفل القدم واثر ذلك لساعته ولما
اردت الحج في حجتي الثالثه كان الزمان صيفا والحر شديدا الي غاية فسالته
عما اعتمده فقال لي اذا خفت الحر لعب بزر قطونا بماء ثم اضيف اليه شيئا
من الخل الحاذق الثقيف وضمد به صدرك ورقبتك فانك لا تبالي بالحر فوالله
لقد كنت انا ومن معي نعمله ونركب في الهواجر المتوقده والقيظ المضطرم
ونحن نظن ان علي صدورنا قطع الثلج لا نحس ما الحر وما ندري ما السموم
الي غير هذا مما كان فيه من الفضايل وما فاق به الانظار وفاق الاماثل

فليت الشمس لو اتقنه قليلا وواسفا علي مثله كيف مات علي اليهودية
ومنهم محمد بن صغير ناصر الدين طبيب جامع ولبيب تشرف
لمماته في المسامع وفاضل لم يقصر في نوع من الفضايل علي كثرة تشعبها
ووجي الدراسة ولقبها مع اخلاق لو تخلقت بها المدام لما قطب شاربها
ولما قدر ان يذكرها عايبها الي فضايل شريفه وشمايل ظريفه واخوة صحيحه
الاخاء صريحة الانتحاء ولقد اقول قول جازم انه قد اصبح اليوم فردا واحدا
لما جمع من شتي المحاسن وكمال الاوصاف قرا العلم واشتغل به وخدم
السلطان وباشر المرستان وقرا النحو والادب وتطبع به حتي صار خلقا
له وله في حسن العلاج يد طويلة واثار جميلة وافعال حسنة مشكورة
وهو يري لطف التدبير في معالجة المرضي وعدم الاقدام عليهم بالادوية وكان
السلطان يشكره ويثني علي لشاته الحسنة الي غير هذا مما بنفكه به
من جني الالسنه

اخر الجزء الثامن من كتاب مسالك الابصار
في ممالك الامصار ويتلوه ان شاء الله تعالي ومن يعد مع الحكماء
اهل علم الموسيقي والحمد لله رب العالمين